العلمانية
والعولمة
والأزهر

د. كمال الدين عبد الغني المرسي
مدرس الدراسات الاسلامية
بكلية التربية - جامعة الاسكندرية

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ / ١٩٩٩ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - ت ٥٩٧٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

بين الحين والحين تطفـو على سطح خـضم الثـقـافة الإسـلامـيـة مصطلحات ومفاهيم تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وتفسيرها والتنبيه على مخاطرها ، كالاستشراق ، والتطوير والتغريب والحرية، وقد تناول الكتّاب والمفكرون فى ربوع العالم الإسلامى مهـمـة الكشف عـمـا تحتويه هذه المفاهيم من الغث والسمين والأصيل والزائف .

وفى هذه الأيام ظهـرت مـصطلحـات جـديدة روّج لهـا المروجـون وصارت تجرى على ألسنة الخاصة والعامة ، حتى احتدم حولها الجدال وكثر حولها النقاش ، واختلفت حيالها الآراء ، كـمصطلح العلمانية ، والعولمة ، والحداثة ، وهى أشهر المصطلحات التى يسمع لها الآن طنين يصم الآذان ويثير فى النفوس حديثا ذا شجون .

وقد رأيت أن أجمع فى ذلك بحثا يضم أهم ما نشر فى شأن هذه المفاهيم لنوضح معانيـهـا ونبين مراميـهـا لاسيـمـا مـا تنطوى عليه من الشبهات الزائفة ، والمخاطر التى تصيب عقول شبابنا بزلزلة الثقة لمفاهيمنا وعقائدنا .

وجعلت هذا البحث فى ثلاثة فصول :

الفصل الأول عن العلمانية.

والفصل الثانى عن العولمة .

والفـصل الثـالث عن الأزهر من حـيـث هو المنارة التى تبين حـقـائق

الأشياء للناس وتهديهم إلى سواء السبيل مع تبيين موقفه من هذه المصطلحات .

والجديد فى هذا البحث أنه اعتمد إلى حد كبير فيه على المنشور من الكتب والجرائد والمجلات لكبار المفكرين والعلماء المسلمين استثمارا لما يسمى بثقافة الصحافة ، ولسوف يلحظ القارىء كيف استثمرنا المادة الصحفية التى تفوقت فيها جريدة الأهرام وكان لها نصيب الأسد فى المقالات التى اعتمد عليها البحث فى إيضاح الحقائق للناس بحيث لايدع زيادة لمستزيد .

والله أسأل أن يكون فى هذا البحث نفع للناس، وهداية تأخذ بأيديهم إلى برّ الأمـــان .

د. كمال عبد الغنى المرسى

الفصل الأول

العلمانية

أخطر أنواع الفكر المعاصر

وفيـــــه :

- تعريف العلمانية .
- اليهود من وراء فكرة العلمانية .
- قضية التطور .
- قضية الحرية .
- قضية الحداثة .
- دول الغرب تتجرع مرارة الوثنية بسبب العلمانية .
- هل يوجد علمانيون فى بلاد الإسلام .
- بعض علماء الأزهر وأساتذة الجامعة تأثروا بالعلمانية .
- العلمانية فى وسائل الاعلام .
- العلمانية والدعوة إلى العامية .
- العلمانية والتعليم .
- خطر العلمانية على التعليم التربوى فى مصر .

العَلْمَانيّـــة :

العَلْمانيّة اصطلاح حديث يقصد به ماليس دينيا ولا كهنوتيا [1].
ولعله مشتق من لفظ العَالم ، وجاء في بعض المعاجم :

العَلْماني – عند الغربيين المسيحيين : من يُعنَى بشئون الدنيا ، نسبة إلى العَلْم بمعنى العَالَم ، وهو خلاف الكهنوتي » [2]. ويمكن تلخيص مفهوم هذا المصطلح في أنه « الإيمان العقلي المادي » وأما العَلْمَنَة فمعناها الوصف بالعلمانية ، كأن نقول علمنة الثقافة وعلمنة التعليم ونقصد بذلك الوصف بالعلمانية .

ويرى الأستاذ / فتحي رضوان أن أصول العلمانية ترجع إلى ردود الفعل لثورة مارتن لوثر في سنة ١٥٢٠ م على البابا وانتقاده العنيف إياه لبيع صكوك الغفران للعصاة والخاطئين من المسيحيين مقابل مال كثير يدفع للبابا فيضمن لهم دخول الجنّة، ولسخط لوثر على عبادة القديسين ودعوته إلى العمل بالكتاب المقدس وحده، وقد ترتب على ذلك تجريد الدولة من كل نشاط ديني وعدم تحميل ميزانية الدولة شيئا من نفقات الكنائس والأديرة وتحريم التعليم الديني في المدارس والمعاهد الحكومية [3].

وعن مفهوم العلمانية يقول الدكتور محمد البهي من علماء الأزهر الشريف : –

---

١ – فتحي رضوان ؛ الإسلام ومشكلات الفكر ص ١٨٤ – مجموعة اقرأ – دار المعارف بمصر العدد ٣٧٧ .

٢ – مجمع اللغة العربية ، معجم الوجيز ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .

٣ – فتحي رضوان ، الإسلام ومشكلات الفكر ص ١٨٥ .

« هـى اعـتـقـاد بأن الدين والشـؤون الإكليـريكيـة (اللاهوتيـة والكنسية) والرهبنة لاينبغى أن تدخل فى أعمـال الدولة وبالأخص فى التعليم العـام ، ومن ثم يكون الهـدف من التحـول إلى العلمـانيـة هو التخلص من الرهبنة والعهد الرهبنى ... العلمانية إذاً تعنى الفصل الكامل بين سلطة الدولة وسلطة الكنيسة وبتعبير أدق بين الدنيوىّ غير المُقدّس والكنسىّ المُقـدّس ، وعلى ذلك تختص الدولة بالشـؤون السـيـاسـيـة والإقتصادية والتعليمية والتشريعية ، وتختص الكنيسة بشؤون الأُسرة فى مراسم الزواج وطقوس الوفاة ونظام الرهبنة « والإكليروس » [1].

خطأ شائع يجب تصحيحه :

« وتجدر الإشـارة إلـى خطأ شاع عن سـوء قصد وهـو نطق لفظة (العِلْمانيّة) بكسر العين وتسكين اللام .. بحيث تُعطى انطباعاً أو إيحاء مراوغاً باشتقاقها من (العلم) بكسر العين وتسكين اللام لكن الحقيقة أن النطق الصحيح والسليم لتلك اللفظة هو بفتح العين واللام ، وبذلك يختلف المعنى اختلافاً كبيراً .

فالمعنى الأول يحيل اللفظة إلى (العلْم) بكسر العين ، بينما يحيلها المعنى الثانى إلى (العالم) أو (العالمية) ، أى الدنيا . ومن هنا يتضح كم الزيف الذى يحاول المضللون ترويجه وإقناع البسطاء به .

فالعالمية SECULARISM هى مـجـرد نظام من المبـادىء والتطبيـقـات ، يرفض كل صـورة من صـور الإيمان أو العبـادة الدينيـة

---

١ – من كتاب العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق للدكتور محمد البهى ، من مقال بمجلة الضياء ، العدد ٥١ ، ابريل ١٩٩٨ ، ص ٣٣ عرض وتقديم : فاروق حسّان .

واعتبارها من الأمور التى لا ينبغى لها أن تدخل فى أعمال الدولة ، وذلك يتسق مع الظرف أو الظروف التى تم فيها طرح هذا المصطلح فى اوروبا، وتعنى به التخلص من سلطة الكنيسة التى ظلت طوال القرون الوسطى تسيطر وتقبض على الدولة والإنسان ، والتى بلغت ذروتها بمحاكم التفتيش وصكوك الغفران وفى محاكمة العالم الفلكى جاليليو » [1]..

وخلاصة هذا الكلام أن :

« العلمانية بفتح العين نسبة غير صحيحة إلى العالم وقد ينحرف البعض فى فهمها ويجعلها نسبة إلى العلم وهو خطأ معذور ذلك لأن مفهوم العلمانية بنسبتها إلى العالم أى إلى هذه الحياة الدنيا يعنى توجيه الاهتمام إلى ما يتعلق بالحياة الدنيا واسقاط الاهتمام بالحياة الآخرة وبعبارة أشمل وأدق تعنى اما مجرد استبعاد الدين من توجيه شئون الحياة الدنيا فى السياسة والإقتصاد والعلم والأخلاق والتربية بأن يترك له دائرة الوجدان أن المحصور فى ساعة العبادة وهذا هو المفهوم السائد فى اوروبا الغربية والبلاد التى ترفع شعار الديمقراطية الرأسمالية وإما أنها تعنى إسقاط الدين بالكلية واعتباره أفيونا للشعوب يخدرها عن الإهتمام بحياتها التى لاحياة بعدها أو اعتباره ايديولوجية مصطنعة تنسجها الطبقة الحاكمة لمصالحها الاقتصادية الخاصة وهذا هو المفهوم السائد فى اوروبا الشرقية والبلاد التى ترفع شعار الشيوعية أو تدعو إليها والعلمانى هو الدنيوى أو اللادينى وأشهر معانيه الأشياء الدنيوية المتمايزة عن الأشياء الروحية . ويرى الدكتور لويس روث أن العلمانى هو الذى ينبذ الإيمان

---

١ - فاروق حسّان ، مجلة الضياء العدد « ٥١ » (١٩٩٨م - ١٤١٨هـ) ص ٣٢ .

المطلق ويعبر عنه بالنظرة العلمانية للإنسان الحديث بمعنى الحياة فى العالم وليس فى دير أو فى مجتمع دينى مع عدم الارتباط بالآراء الاكليوكية « اللاهوتية » بحيث تكون أفكاره متعارضة تماما لأفكار الناسك أو الراهب » (١).

اليهود من وراء فكرة العلمانية :

ويرى بعض أئمة الصوفية أن اليهود هم الذين روّجوا لفكرة « العلمانية » بغرض القضاء على الملّتين المنافستين للملة اليهودية، وهما الإسلام والمسيحية فيقول :

« إن اليهودية أنشأت العلمانية فى أوربا أواخر القرن الثامن عشر الميلادى لتخريب الشرائع السماوية والعبث بالثقافات لإفساد الجيل الناشيء بالمبادىء والنظريات التى يدسونها له فى التعليم والإعلام والصحافة والنوادى الثقافية .. وأن كلمة العلمانية لا علاقة لها بالعلم وإنما تعنى « اللادينية » فالعلمانية والدين متضادان على الدوام .. وتطورت العلمانية من مرحلة فصل الدين عن الدولة إلى مرحلة القضاء على الدين – غير اليهودى– وكان من نتائجها فى الغرب تدمير الفرد والأسرة والمجتمع أخلاقيا وروحيا .. والذى ساعدها على ذلك أن النصرانية تسمح بقبول العلمانية الفاسدة [أعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر] ، بعكس الإسلام الذى لايسمح بوجودها لأنه لايتفق معها فى أى مرحلة من مراحل تطورها ... » (٢).

١ – د. زكريا أحمد محمد نور ، مقال بعنوان « العلمانية دعوة تخريب وإفساد » جريدة الحقيقة – العدد ٥١٣ ص ٦ – بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٩٩٨م .

٢ – السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم ، شيخ الطريقة العزمية ، مقال بعنوان « العلمانية الوجه الآخر لليهودية » . مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ . (١٩٩٨ م – ١٤١٩ هـ) ص ٤ .

وعليه فالعلّمانية باختصار شديد هى فلسفة جديدة فى العالم الغربى. (الأوربى والأمريكى) ترمى إلى تهميش الدين وإلغاء الإيمان بالغيب وتنصيب الإنسان إلها جديداً مع الاعتراف فقط بالعقل والمادة والشيء المحسوس الملموس .

ويجرنا الحديث عن العلمانية إلى الحديث عن قضايا أخرى لها بها صلة ، كقضية التطور وقضية الحرية ، وقضية الحداثة ، ولعلها من أبرز القضايا التى لابد من تصورها ونحن نتكلم عن العلمانية ، ولا ينبغى لنا أن يغيب عن أذهاننا أن اليهود من وراء كل ترويج لهذه المصطلحات لإثارة الفتنة والشبهات وإذاعة الفوضى الفكرية وزرع ألغام الصراع والصدام فى الثقافات والحضارات لاسيّما حضارة الإسلام :

أولا - قضية التطور *:

نشأت فكرة التطور فى مجال الفكر والثقافة نتيجة للخطوات التى اتخذها خلفاء (دارون) الذين نقلوا فكرة التطور من مجال الدراسات البيولوجية إلى مجال الدراسات الاجتماعية . وقد جاءت قوى ذات أهداف معينة فركزت على فكرة التطور وأعلتها إعلاء خطيراً دفعها إلى مجال العقائد الثابتة مع إفرادها بالسلطان على كل القيم والمقدرات الأخلاقية والاجتماعية وكان ذلك جريا مع الاتجاه المادى الخالص الذى يحاول أن يتنكر لكل ما سوى الحس والمادة من قيم .

ومن الحق أن فكرة التطور - المادى والمعنوى لايمكن أن تسير فى

* - الأستاذ أنور الجندى - من كتابه « مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام » ، سلسلة البحوث الإسلامية - العدد الحادى والخمسون (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) . ص ٤١ .

غير نطاق واضح أو إطار محدود ، أو فلك معلوم .

وأن هناك استحالة علمية فى أن تجرى حركة التطور عشوائياً فى غير نظام أو قانون يحكمها .

ومن هنا يبدو الفرق بين رأى العلم وبين آراء الفلاسفة ، ويتكشف الفارق بين الإتجاه العلمى وبين أهواء القوى التى تتخذ من النظريات العلمية والفلسفية أسلحة لتحقيق أغراض بعيدة المدى .

والمفهوم العلمى الصحيح هو : أن هناك عناصر ثابتة ، وعناصر يجرى عليها قانون التطور ، وأن تناسقاً يجرى بين عناصر الثبات وعناصر التطور .

وهذا المفهوم العلمى نفسه يطابق مفهوم الإسلام فى نظرية التطور والثبات ، فالفكر الإسلامى يؤمن بثبات الأصول العامة والقواعد العليا مع تطور الجزئيات والتفاصيل والفروع [1].

ويستمد الفكر الإسلامى مفهومه للتطور والثبات من قانون التوازن الذى يحكم الموجودات جميعاً . وعنده أن هناك عنصرين : أحدهما يمثل الثبات والإستقرار ، والآخر يمثل التحول والإنتقال ، وأنه لاسبيل إلى إلغاء أحدهما ولا سبيل إلى القول بالتطور المطلق وإنكار عنصر الثبات ولابد من الإرتباط بين العنصرين وإقامة التوازن بينهما ، وأنه من المستحيل عقلا ومن المناقضة لقوانين الوجود والحياة أن يتوقف أحدهما أو أن ينفصل ولا أن يستعلى أحدهما ويسيطر ، فالثبات والإستقرار وهو الجمود ، والتطور المستمر هو الفناء وهناك ترابط واضح بين الجمود

---

١ - الأستاذ أنور الجندى ، مرجع سابق ص ٤٢ .

والحركة ، وبين القديم والجديد ، وبين الميت والحيّ .

فالحياة ناجمة من موت والجديد منبثق من قديم ، والفكر بعامة يتطور ولكنه يظل ثابت الأصل والمقومات ، والفكر الإسلامي ثابت الجوهر متغير الصورة ، وفي الفقه يجري التطور بالنسبة للأحكام الفرعية دون الأصول ، وفي الشريعة أصول ثابتة لاتخضع لقوانين التطور - كالربا والزنا والقتل والصلاة والزكاة والحج - فهذه من القوى الثابتة التي لاتتأثر بالتطور ولا يستطيع التطور مهما بلغ من قوة الحركة أن يقضي عليها أو تختصرها ، أو يحولها عن وجهها الصحيح ، وكذلك في نظام الكون نجد القوى الثابتة ونجد القوى التي تتحول وتتحرك والأصول الثابتة ليست خاضعة للتطور ، هذا هو مفهوم الإسلام وهو مطابق للمفهوم العلمي تماماً ولكل مفاهيم العقل والمنطق ، أما المفهوم المطروح في أسواق الفكر الغربي والذي وصل صداه إلى الفكر العربي الإسلامي فهو مفهوم فلسفي خطير لم يقم على أساس علمي. وأن أخذ منطلقه من نظرية دارون في التطور البيولوجي ، وعمد إلى نقله إلى ميدان الإجتماع والفكر . (١)

* * *

ولا شك أنه بهذه النقلة إنما يستهدف غاية خطيرة ، هي واحدة من أهداف الفلسفة المادية الوثنية التي تحاول أن تسيطر بقوة على الفكر البشري كله ، وتفرغه من مفاهيم الإيمان والأديان والرسالات السماوية وتدفع فيه لكل من راجع بروتوكولات صهيون أو نصوص التلمود أو

---

١ - المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .

اتصل بالمحاولات التى جرت منذ عصر التنوير فى سبيل إخراج الفكر الغربى المسيحى الأصل من كل القيم ودفعه إلى مجال المادية المغرقة ، وتشكل هذه المحاولة : فلسفة واضحة متكاملة تهدف إلى تدمير قوى الأديان والتوحيد والأخلاق والإيمان بالله ودفع الإنسانية كلها إلى الدمار، بتحطيم قيمها ومعنوياتها وتفريغها من كل القوى التى تحملها على التماسك فى وجه الغاية الصهيونية البعيدة المدى وهى السيطرة على العالم ، ولقد كانت نظرية التطور هى المنطلق الخطير للقول بأن كل شيء يتحول ويتغير ولا يبقى على حاله وأنه يبدأ فى أول الأمر ضعيفاً ، ثم ينمو ثم جرت محاولة تطبيق ذلك على الأديان والأخلاق، ومنها انطلقت النظرية التى تقول : بأن الأخلاق تتطور مع العصور، وأن الأديان تتطور مع البيئات . والقول بهذا مخالف كل المخالفة للحقائق العلمية الصحيحة ، ومعارض لنواميس الكون والحياة .

لقد كان الترويج لمذهب التطور على هذا النحو ، خروجاً به من المجال العلمى الصارم إلى المجال الفلسفى الذى لايخضع لأى سند علمى أو عقلى ، ومن مذهب التطور انطلقت كل المذاهب والدعوات والفلسفات المادية ، فقد اعتبره المتشبثون به قاعدة لعلوم جديدة هى : مقارنة الأديان وتفسير التاريخ والنفس والأخلاق والقوميات والإقتصاد والاجتماع .

ومن هذا أخذت هذه العلوم تخضع للمناهج التى تخضع لها العلوم المادية ، بينما يتناقض هذا مع أبسط قواعد المنطق والعقل [1] .

ولقد كان القول بالتطور المطلق سبيلاً إلى نزع القداسة عن الأديان

---

١ - المرجع السابق ص ٤٤ .

والقوانين والقيم والأخلاق والسخرية منها والدعوة إلى التحلل والإباحية وإنكار مقومات المجتمعات والعقائد على النحو الذى كشفت عنه نظريات « فرويد » و « دوركايم » وغيرها .

ولقد هوجمت نظرية التطور المطلق ، فى المحيط الاجتماعى والفكرى هجوما علميا ، ودحضت بمنطق عقلى واضح ولكن أصوات دعاتها المسرفين فى استغلالها ظلت أعلى الأصوات لأنها لم تكن أصواتاً طبيعية ، وإنما هى أصوات تدفعها قوى بالغة القدرة فى مجال النشر والإعلان [1] .

* * *

ومن أبرز من دحضوا أخطاء نظرية التطور المطلق : « الدكتور كريس موريسون » الذى أجاب بعد بحث مستفيض على السؤال المطروح:

« أن حقائق الأشياء ثابتة لاتتغير وإنما الذى يتغير هو الصورة فقط » .

ومضى يضرب الأمثلة فى المجالات المختلفة :

- أن نزعة الطعام لم تتطور وإنما الذى تغير هو صورة الطعام .
- أن نزعة اتخاذ المساكن لم تتطور وإنما الذى تغير هو صور البيوت .
- أن نزعة اللباس وستر العورة لم تتطور وإنما الذى تطور هو صورة اللباس .
- أن نزعة القتال والصراع فطرة بشرية لم تتغير وإنما الذى تغير هو صورة القتال .

---

١ – المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٥ .

وقال : إن التطور إنما هو فى الصور والهيئات لا فى الحقائق ، لأن الحقائق ثابتة لاتتغير وأن القول بأن « لاشيء ثابت على الإطلاق » نظرية زائفة كما هاجم الكثيرون تطبيق فكرة التطور على الإنسان والقيم .

والمعروف أن الدعوة إلى التطور المطلق قد حمل الدعوة إليها رجال موصومـون ، لهم صلة التبعيـة بالمحافل الماسونية وبذلك فهى من نتاج فكرة السيطرة على العـالم وتدميره التى كشـفت عنهـا بروتوكـولات حكماء صهيون .

وإذا راجعنا البروتوكول الثانى فإنه يستطيع أن يلقى الأضواء على هذه الاتجاهات : يقول : (الحظوا أن نجاح داروِن وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل وأن الأثر (غيـر الأخـلاقى) لإتجـاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى (غير اليهودى) سيكون واضحاً لنا على التأكيد) [1].

* * *

ولقد جرى كثير من الكتّاب وراء بريق نظرية التطور وربما بحسن نية دون أن تتبين لهم أبعاد الخطر من القول بالتطور على إطلاقه ، بعيداً عن مفهوم الإسلام الجامع دائماً بين التطور والثبات وهو جمع يقوم على أساس علمى صحيح .

ذلك أنه من السذاجة النظر إلى التطور بعيـداً عن القيم الثـابتـة وبمعزل عن الأصول الأساسية لفكرنا ومقدراتنا والدعوة المسمومة إلى التطور إنما تحاول أن تقضى على التراث والقديم ومنها العقائد والأديان والأخلاق .

---

١ - المرجع السابق ص ٤٧ ، ٤٨ .

فالجديد لايمكن أن يقوم إلا على القديم ، والحاضر ثمرة الماضى والحىّ يخرج من الميت .

وغاية ما ندعوا إليه هـو أن لانقف عند الماضى أو القديم أو الميت وقفة الجمود .

وفى ضوء هذه النظرية لايمكن القول بتطوير اللغة وتطوير الأذواق ، وهو يعنى تطوير الوسائل والأساليب والأطر ، مع الاحتفاظ بجوهر القيم .

* * *

وقد فرّق الباحثون المسلمون بين التطور والتطوير وعارضوا القول بأن التطور معناه تفضيل الطور الأخير على الطور السابق له .

فالتطور يشمل أى تغير يحدث فى أوضاع الجماعة سواء فى اتجاه تقدمى تصاعدى أو فى اتجاه عكسى تنازلى . ثم هو فوق ذلك ينبنى على أن دوافع هذا التغيير وعوامله إنما يكون منشؤها ذات الشيء ومردها إلى ما فيه من طاقات طبيعية .

أما التطوير فهو ، على عكس ذلك ، يختص أولاً بالتغيير التصاعدى الذى يهدف دائماً إلى طلب الكمال والحياة الأفضل ؛ ويتأثر بدوافع خارجية عن طبيعته ، والقوة الخارجية هى : القيادات الإصلاحية والدعوات التقدمية [1] .

وهذا يعنى المواءمة بين أصول الفكر الإسلامى بما يقوم عليه من تشريعات وقيم ، وبين ما يتجدد فى المجتمع تحت إلحاح من عوامل

---

١ - المرجع السابق ص ٤٨ ، ٤٩ .

التطوير الضرورى فى مختلف النواحى السياسية والإقتصادية والإجتماعية، ومن هنا أمكن القول بأن التطور لايمكن أن يكون قانوناً تقدمياً ، أى أن كل طور أفضل من الطور الذى سبقه .

* * *

ومن ناحية أخرى فقد واجه الفكر الإسلامى الأخطاء التى انطوت عليها نظرية التطور ، التى ارتبطت أساساً بالمفهوم المادى الذى استخلصه الفلاسفة من نظرية دارون ، والذى قام على أساس إنكار وجود الخالق والقول بنشأة الكائنات الحية نشأة طبيعية ، والفكر الإسلامى يثبت الخلق لله لا للطبيعة ، ويقرر وقوع البعث فى الآخرة ، مع الإيمان الكامل بالغيب .

وقد واجهت النظرية من الباحثين المنصفين معارضة فى أغلب جوانبها فقال (كرلس مورلسون) إن نظرية « أن الإنسان أصله قرد » قد كذبها العلم الحديث لما بين النوعين من بعد شاسع ففى الإنسان خواص لاتوجد فى القرد منها قدرته على التفكير ، ووجود الوحدات الجماعية من القبيلة ، والأمة ، والحزب ، والدين ، ومنها خواص بيولوجية [1] .

وأنكر (الدكتور والاس) أن يكون الإنسان قد تم على طريقة التطور والإرتقاء حيث قال : إن الإرتقاء بالانتخاب الطبيعى لايصدق على الإنسان ولابد من القول بخلقه رأساً ، وقال (فرجو) إنه قد تبيّن لنا من الوقائع أن بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً فلا يمكننا أن نحكم بأن

١ - المرجع السابق ص ٤٩ ، ٥٠ .

- راجع بحث الدكتور محمد بيصار فى كتابه العقائد والأخلاق .

الإنسان من سلالة قرد أو غيره وقال أجاسيز : إن النشوء لايتم إلا وفقاً لخطة إلهية حكيمة وأن الإصطفاء الطبيعى إذا ما حلّ محل الخلق الإلهى فإن الإنسان يكون قد جرّد من روحه وغدا آلة صمّاء .

وأن التفسير الحرفى لنظرية دارون يفسح المجال لتأليه سوبرمان نيتشه وتمجيد القوى البدنية على أنها الأساس الوحيد للسلوك بين الناس [1].

* * *

« إن الفكرة التى يعتنقها الدارونيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليست إلا افتراضاً اعتباطيا يتعارض مع الآراء الفسيولوجية الرصينة » . وأكّد الباحثون أن دارون لم يورد ضمن نظريته أن الإنسان يرجع فى أصله إلى القرد وأن الذين زعموا ذلك هم غلاة الماديين الذين ألصقوا هذا القول بمذهب دارون لشهرته العلمية ونفى هكسلى تلميذ دارون : أن الإنسان قد أنحدر من القرود وأن الإجماع بين العلماء – لا الفلاسفة – على أن الحياة لم تحدث مصادفة وأنها حدثت بقدرة الله وإرادته .

وهكذا ينكشف هدف تزييف النظرية وسوقها إلى الغاية التى يريدها الماديون وعلى رأسهم (لامارك) وهيكل الذى دعا إلى تأليه الطبيعة ومن ثم انتقلت إلى مجال الاجتماع والفكر على أيدى هربرت الذى حاول تطبيق نظرية التطور على العالم كله وتحويلها من النظرية الإحيائية إلى نظرية إجتماعية [1] .

---

١ – الأستاذ أنور الجندى ، مرجع سابق ص ٥٠ ، ٥١ .

ثم جاء الدكتور شبلى شميل فى مصر لحمل لواء هذه الدعوة وترجم كتاب (بختر) الذى يعد من غلاة الماديين وحاول أن يطبق نظرية التطور فى مجال الفكر والإجتماع، وقد عارضه علماء الدراسات الطبيعية أنفسهم من أمثال يعقوب صروف وغيره ولم يكن شبلى شميل متخصصاً أصلاً فى هذه الدراسات بل كان طبيباً .

وقد راجت هذه النظرية فترة وإن وجدت المعارضة والنبذ منذ اليوم الأول من العلماء المتخصصين أنفسهم ، ثم لم تلبث أن سقطت ورفضها الفكر الإسلامى ، وعجز دعاة المادية عن أن يجدوا لهم دليلاً علميا يؤكدون به موقفهم .

* * *

ولقد أكّد الفكر الإسلامى أن التطور الذى التمسته المذاهب الفلسفية المادية بمعنى إطلاق الحريات الاجتماعية والفكرية على النحو الذى يصل إلى الإلحاد والإباحية ليس من مفهوم الإسلام ولا هو متقبل من الفكر الإسلامى وأن هذا النحو من الفهم إنما قام فى الغرب سيستمر فى ظروف محلية خاصة وليس له قيمة حقيقية فى مجال القيم الإنسانية .

ولقد دارت مناقشات متعددة حول التطور والثبات ، بافتراض أن هناك تناقض حتمى بينهما ، والواقع أن الثبات يبدو نظرياً نقيض التطور والحركة، ولكننا إذا أمعنّا النظر من الناحية العقلية والعلمية وجدنا أن للتطور والحركة ضوابط ، وهذه الضوابط بطبيعتها ثابتة باعتبار المقومات والدوافع الأساسية للحركة والتطور ، فالقطار والسيارة [1] والطائرة

١ - المرجع السابق ص ٥٢ ، ٥٣ .

والصاروخ كلها أجسام متحركة ولكنها فى نفس الوقت محكمة الصنع بضوابط ثابتة تنظم حركتها وتيسر اندفاعها باستمرار ولولا هذه الضوابط الثابتة لكانت الحركة عشوائية أقرب إلى الفوضى ، ولما تولدت الحركة قط .

فالقطار يخرج عن مساره إذا أهملت صيانته واختلطت ضوابطه وفقد أحكام صنعه ، والصاروخ ينفجر فى قاعدته إذا اختلت هذه الضوابط .

كذلك المجتمع الإنسانى ، فهو مجتمع دائب الحركة والتطور ولكن هناك ضوابط أساسية ثابتة تنظم حركته وتحكم اتجاهه ومن هنا يتقرر أن التطور ليس قانوناً أخلاقياً.وليس كل طور أفضل من الطور الذى سبقه بل التطور قانون اجتماعى واقعى ولا يقتضى مطلقاً تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة وأن الفكر الإسلامى ثابت الجوهر متطور الصور ، وقد أعطى الإسلام مبادىء ثابتة وترك للناس القدرة على التحرك من خلال الفروع والتفاصيل وأقام قيما أساسية لاسبيل إلى تطورها أو الخروج عنها وهى أشبه بالعمد فى البناء .

ثانيا – قضية الحريّة *:

من المصطلحات التى استطارت فى العصر الحديث كلمة « الحرية» وهى كلمة عذبة محببة إلى النفوس ترجع جذورها البعيدة إلى الأديان والرّسَالات السماوية فى إطارها الصحيح القائم ؛ على الجمع بين الحرية والمسئولية ، وقد أولى العرب والمسلمون هذه الكلمة فى العصر الحديث

* – الأستاذ / أنور الجندى ، من كتابه : « مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام » ص ٥٧ وما بعدها .

اهتماماً كبيراً فى مواجهة حركتهم نحو مقاومة الاستعمار والنفوذ الأجنبى والاحتلال الذى كان يسيطر على أراضيهم ومقدراتهم ، وأصبحت هذه الكلمة مرادفة للوطنية ، وشعاراً للمقاومة ، وسلاحاً فى وجه الغاصب والظالم وفى وجه الإحتلال والإستبداد ، وفى وجه كل طغيان ، وكانت الثورات المختلفة التى قامت تتخذ من « الحرية » علماً لها وشعاراً .

* * *

غير أن كلمة الحرية لم تلبث أن بدت على أقلام بعض الكتّاب ومن خلال بعض النظريات والفلسفات والدعوات الأجنبيه وهى تحمل صورة أخرى تختلف اختلافاً واضحاً عن هذا المفهوم ، بل وتتعارض معه أحياناً ، وذلك حين ارتفعت الأصوات بالدعوة إلى الحرية المطلقة فى مجال الاجتماع والفكر والسلوك . وصاحبها القول برفع القيد عن كل إنسان ليمارس ما يشاء من شئون ، دون تقدير واضح للمسئولية أو التبعية أو حدود ما يملك الآخرون، واتسع نطاق هذه الدعوة الضارة المستحدثة إلى القول بحرية التربية وحرية العلاقات بين الجنسين وحرية الفنّان والكاتب ودخل زيف كثير على هذه العبارة ذات التاريخ المجيد فى مقاومة الظلم والاستعمار والاستبداد [1] .

وجرى كثير من الكتاب والمثقفين وراء البريق ، وخدعتهم الكلمات التى تهز الحس ، وتحرّك الغزائز وتدعو إلى الانطلاق من كل قيد ، دون أن يقدر هؤلاء جميعا مدى الأخطار التى تتعرض لها الأمم

---

١ - المرجع السابق ص ٥٩ .

والشعوب ، ومدى الآثار والنتائج التى تترتب على الدعوة الضارة .

ولاشك أن من وراء هذا الإنحراف فى فهم الحرية ، وهذه الدعوة إلى إطلاقها الاندفاع بها لتدمير قيم النفس والأخلاق، ولاشك أن من وراء ذلك خلفية خطيرة ، وهدف مسبق ومحاولة مسمومة تستهدف تدمير قوى الأمم وشبابها ومقدراتها . وحين ترجع إلى بروتوكولات حكماء صهيون نجد إشارة واضحة إلى سلاح « الحرية » « والتحررية » فى تحقيق الغاية الخطيرة التى تستهدفها الصهيونية العالمية [1].

وقد أعطت النظريات الفلسفية التى صاغها الدائرون فى فلك الصهيونية للتحررية معنى يتسق مع الدعوات التى حمل لواءها فرويد ، وسارتر ، وغيره وهى (انسلاخ الفرد من كل ما تواضع عليه المجتمع من آداب وقوانين فى رغباته وشهواته [2]) .

ويمكن رد كلمة « الحرية » فى تطورها الفلسفى الغربى إلى الثورة الفرنسية ، التى قادها رجال المحافل الماسونية من أجل تحطيم القيود التى كانت تفرضها المجتمعات الأوربية على اليهود من حيث التعامل والإقامة والعبادات وغيرها .

* * *

« ثم كانت هذه الكلمة من بعد ذلك منطلقا لمذهب سياسى واقتصادى اتسمت به الرأسمالية الغربية هى مذهب الليبرالية، أو الحريين كما كان يطلق عليهم ناقلوا هذا المذهب إلى الفكر الإسلامى العربى ويقوم هذا المذهب على ما تقوم عليه الأنظمة الديمقراطية الغربية :

---

١ - بروتوكولات حكماء صهيون .

٢ - راجع محمد خليفة التونسى .

ويؤمن الليبراليون بالفردية ، فالفرد هو العنصر الأساسى فى الإقتصاد ويدعون إلى توافر أقصى حد للحرية الفردية ، وقد جاءت دعوة ماركس ونظريات الاجتماعيين من بعد كرد فعل للنظرية الفردية ، فأعلوا من شأن الجماعة والمجتمع ، وقد حاول الاحتلال أن ينقل إلى العالم الإسلامى هذه الأنظمة الليبرالية الغربية فأخفقت كثيراً فى معظم البلاد التى طبقت فيها وظهر الخلاف الواضح بين مفاهيم الإسلام السياسية وبين مفاهيم الليبرالية الغربية التى فرضها النفوذ الأجنبى باسم الإحتلال.

وكان من الطبيعى أن تفشل هذه الأنظمة لأنها لاتمثل المزاج النفسى والاجتماعى للمسلمين والعرب ولاتنبع من قيمهم وعقائدهم وذاتيتهم .

وكذلك جرت الدعوة إلى الحرية فى الفن والأدب وارتفعت أصوات بالدعوة إلى حرية الفكر ، وصدرت فى الثلاثينات مجلة تحت اسم العصور كانت تكتب على غلافها هذه العبارة : (١)

[حرّر فكرك من كل التقاليد والأساطير الموروثة حتى لاتجد صعوبة ما فى رفض أى رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب، اطمأنت إليه نفسك ، وسكن إليه عقلك ، إذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه] .

وكانت هذه دعوة إلى دحض الأديان والعقائد والقيم ، وهى تبدو فى موعدها وأهدافها وأسلوبها جارية مع النصوص التى نقلناها من بروتوكولات صهيون . فقد اتخذت الصهيونية الدعوة إلى الحرية سلاحاً لها لتدمير كل العقائد والقيم التى جاءت بها الأديان السماوية تحت

---

١ - الأستاذ أنور الجندى ، مرجع سابق ص ٦١ .

اسم (التقاليد والأساطير الموروثة) .

وما تزال هذه العبارات تجرى إلى اليوم على أقلام دعاة التغريب منذ أن رددها داعية المادية والإلحاد : الدكتور شبلى شميل قبل أكثر من تسعين عاما ، وحمل لواءها الكثيرون تحت أسماء مختلفة منها : الدعوة إلى التسامح ، والدعوة إلى حرية الفكر، والدعوة إلى التقدم ، وكانت كل العبارات المسوقة من [رجعية وتأخر وجمود وتعصب] ، إنما تعنى كلمة [الدين] دون أن تستطيع التصريح بها

* * *

وكان الهدف الأساسى هو خلق « ثقافة عربية » تقوم على أساس الفكر الغربى منعزلة عن الفكر الإسلامى وقيم القرآن والإسلام والشريعة الإسلامية، وذلك كمقدمة للإنصهار فى الفكر الغربى ، وفقدان الذاتية والشخصية الإسلامية العربية .

ونحن حين نرجع إلى مفهوم (الحرية) فى الإسلام نجد وضوحاً وتكاملا وسماحة لاتصل إليها مفاهيم الفلسفات التى تصدت للحرية منذ جون ستوارت ميل ، إلى سارتر . فالحرية فى الإسلام هى : التحرر من قيود الوثنية ، واستعباد الإنسان للإنسان ، وهى ضد عبودية (الأوثان، وضد الرق ، وضد العبودية لأى كائن كان ، وهى حرية الفرد وحرية الجماعة) .

وهى حرية الكلمة وحرية الضمير تجمعها آية واحدة من القرآن :

﴿ لا إكراه فى الدين [1] ﴾ فهى حرية الاعتقاد والقول والتفكير.

---

١ – سورة البقرة :من الآية ٢٥٦ .

وكما دعا الإسلام إلى (تحرير الفكر) دعا إلى تحرير الجسم ، فالإسلام هو أول صيحة لمحاربة الرق وحصره فى أضيق نطاق كمقدمة لتصفيته، والحرية السياسية واحدة من حزيات الإسلام وتقوم على الشورى ، غير أن الإسلام يعطى للحرية ضوابطها وتحفظاتها التى تضمن حرية الغير ، فالإسلام حين يقرر إطلاق الحريات للأفراد فإنه من ناحية أخرى يشترط ألا يكون فى ذلك طغيان على حريات الآخرين أو إضرار بمصالح الجماعة .

* * *

وحرية العقيدة حيث لا إكراه فى الدين إنما تعنى كفالة الإسلام لحرية عقائد أهل الكتاب . ويدعو الإسلام إلى الحرية من كل القيود ، قيود العبودية الفكرية والجسدية ، كما يدعو إلى حرية الإنسان من قيد الجهل والخرافة ، ويدعو إلى حرية المرأة فى التعليم ومفهوم الإسلام هذا أوسع أفقا ، وأبعد مدى من مفاهيم الحرية لدى الفلاسفة الإجتماعيين والليبراليين على السواء .

ويصل الإسلام إلى الغاية فى تقرير الحرية حين لايبقى الإنسان عبداً لشهواته وأهوائه أو عبداً لغير الله فلا يخضع لسلطان غير سلطان الخالق ويأنف أن يكون عبداً لإنسان مثله ، فلا يقبل الذل لمن هو مثله، ويأنف من الإحساس بأن الرجل أقل من سواه . فلا فرق بين الكبير والصغير والفقير والأبيض والأسود إلا بالتقوى والعمل .

وقد شهد المنصفون من كتّاب الغرب بدور الإسلام فى حرية الفكر، وكيف أطلق العقل الإنسانى من قيوده، ودفعه إلى الخروج من آثار الوثنية : يقول : « بارتلمى ساتهلير » :

« إن الإسلام قد أحدث رقياً عظيماً جداً فقد أطلق العقل الإنسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة من ذوى الأديان المختلفة فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ثم إنه بتحريمه الصور فى المساجد وكل ما يمثل الله قد خلّص الفكر الإنسانى من وثنية القرون الأولى واضطر العالم لأن يرجع إلى نفسه وأن يبحث عن الله خالقه فى صميم روحه » .

[إن الإسلام هو الذى علّم الإنسانية كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » وقد كان يظن أنهما لايجتمعا] .

بل لقد كانت حرية الفكر فى الإسلام واضحة وضوحا لاحدّ له فى كل الأعمال التى تتناول الأديان الأخرى، وكان مبدأ « الإنصاف» واضحاً فى هذا المجال [1].

وقد أشار [هاملتون] إلى ذلك عند تعرضه لدراسات مقارنات الأديان فقال :

« العرب هم أول من ألّفوا فى الملل والنحل لأنهم كانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى ، وحاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالبرهان والحجة ، ثم إنهم اعترفوا بما أتى قبل الإسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم بالنصيب الأوفر » .

« وقد كتب أبو الريحان البيرونى فى أديان الهند فى القرن الخامس من الهجرة فلم يمس عاطفة أحد من أهلها ، وكان ، وكان إذا كتب عن نحلة يوهمك أنه هو أحد أبناء تلك النحلة ؛ لتلطفه فى وصف

---

١ - الأستاذ أنور الجندى ، مرجع سابق ص ٦٤ .

شعائرها .

وكان كتّاب العرب يذكرون جميع المخالفين بكل حرمة وفى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وطبقات الحكماء لابن القفطى وطبقات الأدباء لياقوت والوافى بالوفيّات للصفدى ، وفى تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى أمثلة لهذا التسامح فقد ترجم المؤلفون للنصارى واليهود والسامريين والمجوس كأنهم أبناء ملّة واحدة] .

ننقل هذا عن مستشرق لنقارن به ما يقوله عالم غربى آخر يصف موقف قومه من الأمم الأخرى ذلك هو جوستاف لوبون الذى يقول :

« إن حرية الفكر فى الغرب تختفى لدى الأوربى عندما يمتد فكره إلى بحث فكر العالم الإسلامى فالمفهوم الصليبى العميق الأثر فى النفس الأوربية يحول دون حرية الرأى إذا كان موضوع البحث هو الإسلام» (١) .

وقد تأكدت هذه النزعة على أسنة أقلام كثير من الباحثين الذين ردوها إلى طابع الاستعلاء الغربى الذى لايعترف بالإنصاف أو الفضل لغير ذوى الأجناس البيضاء وهى نزعة قديمة عرفتها روما حين قال حكيمها [روما سادة وما حولها عبيد] .

ولقد أفسح الإسلام فى تاريخه الطويل للملل والنحل باب السجال والجدل والمناقشة ، وسمح بعض الخلفاء بذلك فى مجالسهم ولم تكن دعوتهم إلى حقهم إلاّ عن طريق البرهان والإقناع، مع السماحة للمخالف بينما لم تحتمل أوربا مثل هذا السجال فكانت من آثاره معارك

---

١ - الأستاذ أنور الجندى ، مرجع سابق ص ٦٥ .

عنيفة مثل معركة سانت بارتلمى وغيرها .

وقد كان مفهوم حرية الفكر فى الإسلام واضحاً صريحاً : لم يقبل الإسلام محاولة الإغراء بحرية الفكر على أساس التحرر من الأخلاق أو التحرر من القيم ، أو اتهام الموروثات بالزيف ولكن دعا إلى البرهان والعقل فحرر الإنسان أولاً من رق التقليد الأعمى وربّاه على حرية الفكر واستقلال الإرادة ، ودعاه إلى التخلص من عبادة الأهواء وطالبه بالدليل ، ونعى عليه الجهل والظلم والمتابعة بغير إقناع ، فهى حرية فكرية تتقيد بالحق والدليل وتقوم على قواعد النظر والإستدلال بعيداً عن الأهواء والأوهام[1] .

وهى تختلف اختلافاً واضحاً عمّا دعا إليه الماديون والغربيون الذين يدعون الناس اليوم إلى التحرر من الأساطير الموروثة وهم يعنون بها الإسلام ، وإلاّ فأين هذه الأساطير الموروثة اليوم ؟ وقد فَصَلَ الإسلام بينها وبيننا بأربعة عشر قرناً حين جاء القرآن بالحجة الواضحة وزيف كل دعوى الوثنية والمادية والإباحية مما كان قبله .

ثالثا : قضية الحداثة :

يقول الدكتور / مسعود ضاهر (مؤرخ لبنانى) :

« ليست الحداثة مصطلحاً لغوياً يسهل تفسيره بشرح المدلولات اللغوية المرتبطة به بل الحداثة مفهوم ثقافى تتحدد به سمات المجتمع الحديث أو العصرى .

---

١ - الأستاذ أنور الجندى ، مرجع سابق ص ٦٧ .

ومن نافل القول أن بعض الباحثين أخلوا الطريق العلمية حينما وضعوا الحداثة فى موضع التعارض مع مفاهيم ثقافية سابقة عليها ، فملأوا الساحة الثقافية العربية بعشرات العناوين المثيرة منها : الأصالة والتقليد ، السلفيون والتحديثيون ، الخصوصية والشمولية ، الأنا والآخر ، التقدم والتخلف ، المادة والروح ، الدين والعلم .

المسألة ، فى جوهرها ، أن هذه الثنائيات كانت وستبقى فى دائرة السجال الثقافى الذى أطلقته حركة التاريخ الكونى فى سيرورتها من تاريخ القومية أو الجماعة الواحدة إلى التاريخ العالمى حيث تشكل تلك الجماعات أو القوميات مكونات أساسية فيه .

وغنى عن التوكيد أن تلك الجماعات ، فى لحظة اندماجها بالتاريخ الكونى ، تحمل معها تراثها الثقافى ، وسيرورتها الاقتصادية والاجتماعية، وديناميكية قواها البشرية والمادية لذلك تدخل التاريخ الكوني من باب الفاعل فيه والمؤثر فى حركته المستمرة ، أو من باب المنفعل أو المتلقى لصدمة الحداثة ، وهى صدمة كان ابن خلدون من أوائل من حللها عندما أشار إلى علاقة المغلوب بالغالب والتشبه به والاقتباس عنه إذا شعر بغلبته عليه .

نخلص إلى القول أن الحداثة ليست مجرد مصطلح لغوى يسهل تفسيره أو وضعه فى مواجهة مصطلح آخر هو التقليد بل هى تلك الحركة القوية التى تذهب عميقاً فى جميع الإتجاهات . وهى لاتتحدد فى مرحلة من المراحل أو الحقب بسمات معينة بل تتحدد بها تلك

الحقب لدرجة يسهل معها توصيف المجتمع العصري أو الحديث تبعاً لكل مرحلة. بعبارة أخرى ، أن الحداثة سيرورة تاريخية مستمرة تتحدد بها سمات المجتمع الحديث في كل مرحلة من مراحله . وذلك يعنى أن بعض المصطلحات التى تزخر بها عناوين الأبحاث والدراسات والمقالات فى الآونة الأخيرة مثل : مابعد الحداثة ، والمجتمع ما بعد الصناعى ، والثورة الصناعية الثانية ، والثورة الصناعية الثالثة ، وغيرها هي مصطلحات تحدد فقط سمات المراحل التاريخية التى وصلت إليها بعض المجتمعات الحديثة . إذ لاشيىءبعد الحداثة سوى مجتمع بلغ مرحلة حداثة أعلى من المرحلة السابقة . والثورة الصناعية الثانية أو الثالثة ليست سوى مفهوم عام لمرحلة تاريخية يتم خلالها إنجازات صناعية أعلى من الإنجازات الصناعية النوعية التى سبقتها . »[1].

ويقول الأستاذ الدكتور / مصطفى هدّارة فى حوار أجرته معه مجلة الوعى الإسلامى عن الحداثة :[2].

« كثير من الأدباء المتخصصين فى الأدب لايفهمون الحداثة على حقيقتها ويظنون أنها تعنى التجديد.والتجديد ، مصطلح جذّاب إلى درجة كبيرة، فمن منّا لايحب أن يكون حداثياً أى جديدا ومعاصراً ولكن المسألة أخطر من ذلك لأن العملاء العرب الذين أدخلوا الحداثة إلى ساحتنا الأدبية وعلى رأسهم" أدونيس"استغلوا جاذبية المصطلح للترويج والدعاية لتبنيه ، لكن الدارس للآداب والذى يعرف معنى الحداثة يعلم

---

١ - راجع مجلة العربى العدد ٤٦٢ لسنة ١٩٩٧ . ص ٣٨ - ٤١ ، مقال بعنوان « إشكالية توصيف الحداثة وما بعدها » للدكتور مسعود ضاهر .

١ - راجع ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣٨٦ لسنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م من ص ٦٤ إلى ص ١

تماماً أنها نظرية ليست أدبية فحسب ، بل هى نظرية فكرية تنادى بالقطيعة المعفية الكاملة مع تراث الماضى والتمرد على الحاضر بكل أشكاله ليس فقط فى النواحى الأدبية ، بل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأيضاً الإلحاد الكامل وعدم الاعتراف بوجود إله وكذلك عدم الخضوع للمنطق بأى صورة من الصور والاعتماد على الخواطر الباطنية للإنسان فى التعبير عن رؤيته ، ومذهب الحداثة فى الأدب لايعترف بوجود قاعدة أياً كانت ، بل إن الغموض عنصر أساسى فيه ولو تأملنا جيداً فى هذا المذهب لتأكدنا أننا أمام نظرية تدعو إلى الفوضى وعدم العقلانية والانعزال الكامل بين المبدع والمتلقى ولقد أدرك هذا النقّاد العظام فى أوروبا فسمّوا حركة ومذهب الحداثة بما تستحقه ، « إنها حركة هدّامة تدل على الغموض ، بل إنها حركة شيطانية » حتى إن أحد النقّاد العرب الكبار قال : الشيطان أيضاً حداثى ولا تظن أن هناك ما يسمى الحداثة العربية ، كما يزعم بعض كهنتها ويقول إنها مختلفة عن الحداثة الغربية ، بل إن الحداثة العربية منقولة عن الحداثة الغربية تماماً حتى بألفاظها .

– ما تقويمك لدب أدونيس الحداثى وهل تعتقد أن مقلديه وأتباعه لم يقدموا جديداً عمّا قدّمه أدونيس إلى إتجاه الحداثة الأدبية ؟ ..

– لقد درست أدب أدنيس دراسة متكاملة شاملة ووافية وخلصت إلى أن أدونيس لم يكن إلا عميلاً أميركياً ، وأن إسلامه مشكوك فيه جملة وتفصيلاً وأدونيس نقل مذهب الحداثة الغربى إلى الأدب العربى ولم يكن إلا مقلداً ممسوخاً من هويته ، فهو عرّف الحداثة التى اصطنعها تقليداً للغرب بأنها ثورة على الشريعة من حيث هى أحكام تقليدية تعنى

بالظاهر وأنها تعنى الخلاص من المقدّس والمحّرم وإباحة كل شىء للحرية، والثابت الذى يدعو أدونيس إلى تدميره هو كل فكر متبع يرتبط بالعقيدة الثابتة وبالماضى وبالسلطة الشرعية وهو ومن تبعه يسعون كما قالوا – إلى اكتشاف الإنسان ومركزيته فى الوجود بانهيار السلطة الإلهية المطلقة، وللأسف فقد سعى أدونيس وأنصاره إلى تدمير اللغة العربية وقالوا : الحداثة عن طريق تدمير بنية الجملة الدالة بما هى نسق واضح من القواعد المنفذة وتحويل الجملة إلى سلسلة من الإمكانات والتداخلات ، ولهذا صارت لغة الشعر الحداثى الغازية مغرقة فى الغموض بعيدة عن المتلقى ولم يعد النقد الحديث قادراً على الأخذ بيد القارىء فى متاهات النص الحداثى الغارق فى الضبابية والغموض ، وأصبح المتلقى وهو فى حال وعى مطالب بقراءة مالا يفهم إبداعا ونقداً ، بل مطالب بأن يكون فى حال لاوعى مستمرة ليمكنه أن يواءم مع مصطلحات الحداثة إبداعياً ونقداً الغارقة فى اللاوعى وتحت الوعى والأسطورة والحلم وتخيلات مرضى الأعصاب وكل ما من شأنه أن يخرج الإنسان من واقعه وعقله ووجدانه الحىّ ، بل يخرجه من عقيدته وتراثه وشخصيته ولغته » .

وبعد أن عرضنا مفاهيم القضايا الثلاث وهى : التطور والحرية والحداثة يتضح لنا ما لهذه المفاهيم من تعلق بالعلمانية وأنها كلها يجب التعامل معها بحذر شديد لأنها تنطوى على معانٍ تخالف ظاهر ألفاظها وأنها فى مفهوم الغربيين تحمل معنى الثورة على الأديان والدعوة إلى التحلل وعبادة النفس ، والإيمان بكل ما هو مادى صرف ، نعود لكى نرى مدى ما وصل إليه الغرب من فساد فى الفكر والأخلاق بسبب انسلاخه من الدين واعتناقه لمبدأ العلمانية .

دول الغرب تتجرع مرارة الوثنية بسبب العلمانية : —

ولما كانت العلّمانية ترمى إلى التقليل من شأن الدين ، فإنها أثرت فى نفوس ضعاف الإيمان ، وصار الاعتقاد الدينى عند بعض أهل دول الغرب رقيقا يغشاه قترة من الشك ، ويصحبه شيء من الاضطراب والحيرة حتى تمرد الشباب وخرج معظمهم عن حدود المألوف حيث تبلبلت أفكارهم ، وصار الدين بالنسبة لهم غريبا عنهم ، ولم تعد تؤثر فيهم نصائح القديسين ومواعظ القسيسين وأصبح الأدب فى عرفهم ضربا من الجنون ، والفنون لونا من العبث . ولعلنا نلمس كل ذلك من قراءتنا للمقال الذى كتبه الأستاذ / فهمى هويدى بجريدة الأهرام تحت عنوان « **الوثنية الجديدة** » حيث كتب يقول : [1].

تهمنا للغاية تلك المناقشات المثيرة الدائرة الآن فى بريطانيا حول « الوثنية الجديدة » ليس فقط لكى نتابع ما أصاب الإعتقاد الدينى من تآكل وتخريب ، ولكن أيضا لكى نستشرف مآلات ما يدعونا إليه البعض فى بلادنا ! .

« لقد نشرت صحيفة **الجارديان** فى الثانى عشر من الشهر الماضى تقريرا تحت عنوان « **الوثنية الجديدة** » وذكرت فيه أن الدوائر الكنسية تبدى قلقا شديدا إزاء تفشى مظاهر الوثنية بين قطاعات متزايدة من الناس حيث انصرف هؤلاء بصورة تدريجية عن الديانة المسيحية ، وراحوا يبحثون عن الإشباع الروحى فى « كائنات الفضاء وعالم الخرافة والتنجيم والخواص السحرية للكريستال وقراءة الكوتشينة ، والكف ، وغير ذلك من المصادر المريبة والغامضة » ، الأمر الذى يعد من علامات تفكك الإيمان، وانهيار مقوماته . من ثم فإنه يعد أكبر تحد يواجه الكنيسة فى العصر الحديث .

---

١ – جريدة الأهرام ، ص ١١ بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٩٦ م .

ذكر التقرير أن الكنائس البريطانية المختلفة كلفت لجنة من خبرائها بدراسة الظاهرة بعدما بدأت تستفحل في المجتمع الانجليزى . وقد أمضت اللجنة أربع سنوات في رصدها للتحولات عن الإيمان المسيحى . وكان أبرز ما لاحظته أن ٧٠٪ من أبناء الشعب البريطانى يعلنون أنهم يؤمنون بالله ، بينما ١٤٪ فقط منهم هم الذين يترددون على الكنيسة (النسبة فى ألمانيا تهبط إلى ٥٪ وفى فرنسا ما بين ٣و٤٪) وهؤلاء الذين قطعوا صلتهم بالكنيسة يشبعون أشواقهم الدينية بعيدا عنها ، حيث يختارون ما يشاءون من معتقدات وخرافات خصوصا تلك القادمة من الشرق الآسيوى (مستودع الخرافات الذى لاينفد) ، ويخلطونها بعضها ببعض ثم يؤمنون بتلك الخزعبلات ويعتبرونها « دينا جديدا » .

« سوبر ماركت » الروحانيات »

حذر التقرير الذى عنوانه « البحث عن الإيمان » من أن هذا التفلت من الإعتقاد الدينى والتعامل مع الروحانيات بأسلوب الإنتقاء من السوبر ماركت » من شأنه أن يؤدى إلى « انهيار مجتمعنا وتقويض أركان حضارتنا » .

نقل تقرير الجارديان عن مطران روشستر - اسمه ميخائيل نظير على - قوله إن تلك « الروحانية الإنتقائية » هى نوع من الوثنية الجديدة ، وأن المصطلح الذى شاع عنها فى الأدبيات الغربية الحديثة . والذى يعتبرها بمثابة « معتقدات العصر الجديد » يثير الإلتباس ويخفى حقيقتها ، إذ هى تستبدل الإيمان المسيحى اليهودى بخزعبلات وخرافات ثم تلفيقها طبقا لأهواء بعض الأشخاص .

من الفقرات المهمة فى التقرير تصريح على لسان واحدة ممن شاركوا فى الاشراف على دراسة الكنائس البريطانية ، قالت فيه « إن تعاظم شأن الغربية فى المجتمع الإنجليزى (والغربى بعامة) دفع كل واحد إلى اصطناع الدين الذى يستريح إليه، فيمنحه الرضا عن النفس والتفاؤل بالمستقبل . وهو ما دفع أمثال هؤلاء إلى الإنتقطاع عن الكنيسة وإدارة ظهورهم للإيمان الدينى التقليدى ، ومحاولة إشباع حاجاتهم الروحية بالطريقة التى تروق لهم !!! .

وهذه الطرائق التى اختارها الناس من « سوبر ماركت الروحانيات » توافقوا على تسميتها بديانات العصر الجديد ، وهم لم يجهروا بها فحسب.إنما مضوا يروّجون لها ، ويستقطبون طرائح من الشباب الذى يعانى من الفراغ الروحى ولايزال يفتش فى « السوبر ماركت » عن أعتقاد يتجاوب معه ويستريح إليه ! .

هذه الظواهر أزعجت قيادات الكنيسة الإنجليكانية بطبيعة الحال فلم يكتفوا بمحاولة تحقيقها ودراستها ، والبحث عن كيفية إعادة جذب للشباب إلى الكنيسة مرة أخرى ، ولكنهم انتقدوا بشدة دعاة معتقدات العصر الجديد . فى هذا السياق فإنهم حذروا من أن تلك المعتقدات تعد خطرا يهدد المجتمع ، وتؤدى إلى إنقسامه وإلى تدمير مقومات الإيمان الصحيح .

وجدت فى نشرة « حول العالم » الأسبوعية التى تصدرها من لندن وكالة « قدس برس » متابعة للموضوع . فقد ذكرت فى عددها قبل الأخير الصادر فى ٢٣/ ١١ أن أتباع « الديانات الجديدة » لم يلتزموا الصمت إزاء تعريض الكنيسة بمعتقداتهم فردوا على ناقديهم بقولهم « إن مطارنة الكنيسة الإنجليكانية هم آخر من يحق لهم انتقاد غيرهم .. فإذا كانوا ينتقدوننا لأننا نؤمن بأشياء غريبة وبخرافات فإنهم أول من باعوا لنا تلك الأشياء الغريبة والخرافات والكثير مما يقولونه خارج عن العقل ولايقبله المنطق . إزاء ذلك ، فما الضير فى أن يؤمن الإنسان بظواهر غريبة ، وأن يزداد الاعتماد على ما يسمى بالخرافات ورموز التطير والتشاؤم حسب تعبير المؤمنين » . ؟

أضافوا أنه إذا كان آباء الكنيسة يطالبوننا بالإعتقاد فى أشياء خارقة للطبيعة ، فإن إيماننا بالخواص الخارقة لكرة الكريستال وعبادة ظواهر الطبيعة يغدو أمر سهلا بالمقارنة » .

الشذوذ : تحد داخل الكنيسة

أضاف تقرير القدس برس أن الكنيسة الإنجليكانية التى توصف عادة بأنها « كنيسة واسعة الصدر » تضم تحت لوائها طوائف وتيارات متعددة يصل الاختلاف فيما بينها إلى درجة التناقض الكامل إلا أن مأزقها الآن صار مضاعفا. فهى من ناحية تواجه تحدى معتقدات العصر الجديد الذى يأتيها من الخارج إذ يشيع الوثنية والإلحاد المتمثل فى عبادة مظاهر الطبيعة والإدمان بالسحر والشعوذة والأبراج وقراءة الحظ والطالع . غير أنها تواجه تحديا آخر لايقل خطورة يجىء هذه المرة من داخل الكنيسة ذاتها وهذا التحدى يتمثل فى تنامي حركة « الشاذين والسحاقيات المسيحيين » ! .

وإذا كانت الوثنية الجديدة تسحب البساط من تحت الكنيسة وتحاصر وجودها ثم تلغيه فى نهاية المطاف ، فإن حركة الشاذين تبقى على الكنيسة لكنها تفرغها

من مضمونها وتهتك قداسة تعاليمها الأخلاقية والاجتماعية .

لقد عقدت الحركة احتفالا دينيا كبيرا يوم ٢٣ نوفمبر الماضى فى كاتدرائية « ساذن » البريطانية ، وحضره أكثر من ألفى شخص من مختلف أنحاء البلاد . وكانت مناسبة الاحتفال الذى استمر يوما كاملا هى ذكرى مرور ٢٠ سنة على تأسيسها ! .

اللافت للنظر أن ثلاثة مطارنة للأبرشيات الانجليزية حضروا الإحتفال كما أن فكرته تحظى بتأييد قادة كنائس انجيليكانية فى العالم منهم رئيس أساقفة جنوب أفريقيا ، بيزموند توتو ، الحائز على جائزة نوبل للسلام ، عن كفاحه ضد التمييز العنصرى فى بلاده .

هذا الحدث أثار انقساما حادا فى جسم الكنيسة الإنجليكانية ، لاسيما فى صفوف الطوائف الإصلاحية والجناح التقليدى فيها . إذ قرر هؤلاء الرد على « الاحتفال الشذوذى » بإقامة سلسلة من النشاطات الاحتجاجية التى تراوحت بين الصلوات والنشاطات الدعائية فى هذا السياق قررت ٥٠ كنيسة انجليكانية إقامة صلوات قوية ضد ذلك الاحتفال .

إزاء ذلك لم يعد خافيا على أحد أن الكينسة تعانى من خلافات عميقة حول أمور عدة ، منها موقفها من مسألة الشذوذ الجنسى ، وعند التحقيق فى الأمر تبين أن ثمة مواقف ثلاثة داخل الكنيسة إزاء هذا الموضوع . موقف تبناه المجمع الكنيسى العام (السينود) فى سنة ١٩٨٧ ، وهو يرى أن العلاقات الجنسية بين أفراد الجنس الواحد مرفوضة ، ويجب أن تقابل بالتوبة .

الموقف الثانى يتمثل فى تقرير صدر عن مجلس المطارنة عام ١٩٩١م جاء فيه يسمح للمؤمنين غير المرسمين ككهنة بممارسة الشذوذ الجنسى فى بعض الظروف ، ولكن ذلك غير مسموح به للكهنة إطلاقاً .

أضاف تقرير قدس برس أن كلا الموقفين يتناقض مع الموقف غير الرسمى المعروف للكنيسة الإنجليكانية . والذى كان مجلس المطارنة يتبناه فعليا حتى وقت قريب . وهو ما تلخصه عبارة « لاتفعله فى الشارع لتخيف الأحصنة المارة — ومعناه ، افعله فى صمت وتكتم عليه ، ولا تثر ضجة من حوله » .

أثار حفيظة المعارضين لاحتفال حركة الشاذين والسحاقيات ، ذلك النفوذ المتزايد للجماعات الشاذة داخل الكنيسة الإنجليكانية ، حتى أن مطران «جلاسجو» الأسقف"ديرك رد كلف" ألف ترنيمة خاصة لاحتفال حركة الشاذين ، الذى أقيم

فى كاتدرائية « ساذن » .

وقد ألف الأسقف "رد كلف" الترنيمة التى سماها « ترنيمة المعركة ، لتكون « صيحة الحرب » التى تحث الجماعات المسيحية الشاذة على مواصلة مسيرة كفاحها فى سبيل حقوقها « المشروعة » حسب رؤيته .

تقول بعض مقاطع الترنيمة :

إلى الأمام أيها الشاذون المسيحيون

سيروا بكل افتخار .. سيروا جنبا إلى جنب

نحن لسنا متفرقين .. كلنا جسد واحد .

شاذون وسحاقيات ومسيحيون . من أجل المساواة .

وواضح من هذه الكلمات أنها اقتباس استخدم مفردات ومعانى ترنيمة « إلى الأمام يا جند المسيح الشهيرة » التى كانت تزحف على أصدائها حملات الفرنجة « الصليبية » المتجهة إلى بيت المقدس والشرق فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر.

تداعيات لتهميش الدين

ما الذى جرى حتى تم تخريب الإيمان الدينى وتدمير البنية الأخلاقية ، والعلاقة بين الأمرين وثيقة وعميقة كما سنرى توا ؟

قبل أن أحاول الإجابة عن السؤال ، ألفت النظر إلى أمرين هما :

* أن هذا التفسخ الحاصل داخل الكنيسة وخارجها لا شأن له بالديانة المسيحية ، وإنما هو نتاج المنظومات الفكرية السائدة فى المجتمعات الغربية ، التى تصادف أنها مجتمعات مسيحية . ولو أن تلك المنظومات انتشرت فى العالم الإسلامى وأخذت مداها الذى يدعو إليه البعض لأصاب المجتمعات الإسلامية ما أصاب مجتمعات الغرب المسيحى من تصدعات أو انهيارات .

* إن هذا التيار المدمر والفاسد يلقى مقاومة من جانب تيارات أخرى فى الدول الغربية ذاتها . لاتزال تستميت فى الدفاع عن العقيدة والفضيلة والأسرة الطبيعية. وقد رأينا أنه فى مقابل احتفال الشاذين الذى أقيم فى كنيسة « ساذن » فإن خمسين كنيسة أخرى أقامت صلوات توبة مناهضة لذلك الإحتفال . ومن ثم فإنه يتعذر الإدعاء بأن الصورة التى قدّمناها تعبر عن واقع المجتمع الغربى كله ، وإنما هى تعكس أحد جوانب ذلك الواقع ، التى سلطت عليها الأضواء مؤخرا، بعدما بدا أن مثل تلك الظواهر تتنامى وتتعدد فى الفراغ الروحى السائد .

نعود إلى سؤالنا : ماالذى جرى ؟؟؟

أرى أنّ ذلك كله من حصاد علمنة المجتمع بما تضمنته من تهميش للأديان وإقصاء مرجعيتها، وإطلاق فلسفة جديدة فى العالم الغربى تلغى الغيب وتنصب الإنسان إلها جديدا ، وتعترف بالعقل والمادة والمحسوس ، ولا شيء سواها .

أ رى أن مصطلح العلمانية فى عالمنا العربى موضع الالتباس الشديد ، فهناك سذّج يربطون بينها وبين العلم ، وهناك أناس طيّبون يحصرونها فيما يسمى بالفصل بين الدين والسياسة ، وهناك هواة متحذلقون يفصّلونها حسب هواهم وما يتمنونه ، فيربطون بينها وبين التقدم والحرية والإبداع وغير ذلك وهناك خبثاء يحتمون بالمصطلح لتصفية حساباتهم الخاصة مع الإيمان والمؤمنين .

العلمانية الشاملة غير هذا كله وذلك إذ هى فى أصلها وفى تطبيقاتها العلمية الملموسة فى المجتمعات الغربية دعوة إلى الإيمان بالإنسان وعقله قبل الإيمان بالله والغيب . وفى مقام سابق قل أن كلمة « الدنيوية » هى أدق وأصوب فى ترجمة مفهوم مصطلح Secularism وهو الأصل الإنجليزى للكملة التى ترجمت علمانية فى العربية ، والباكستانيون كانوا أصح منها عندما ترجموها فى لغتهم الأردية إلى « الدنيوية » .

تسعفنا موسوعة الدكتور عبد الوهاب المسيرى حول « العلمانية الشاملة » (٤ أجزاء وهى تحت الطبع الآن) بمادة غزيرة فى الكشف عن حقيقة الدور الذى لعبته العلمانية فى المصير الذى تعانى منه المجتمعات الغربية عامة ، بما فيها المجتمع البريطانى الذى نتحدث عنه .

هو ينطلق من أن العلمانية رؤية مادية للكون تهتك القداسة ولاتعترف بالغيب . ويستعير عبارة الفيلسوف الأمريكى"ريتشارد رودتى" التى قال فيها أن المشروع العلمانى الغربى هو نموذج يقوم على نزع الألوهية عن العالم . بحيث لايعبد الإنسان شيئا ، ولا حتى ذاته ، ومن ثم فإنه لايجد فى الكون أى شيء مقدس ولا ربانى ، ولا نصف ربانى . إذ بمقتضاه يظل الإنسان فى عالمه المادى لايتجاوزه .

العلمانية حين تجلت

فى أحد مداخل الموسوعة يعتبر الدكتور المسيرى النموذج العلمانى الغربى مشروعاً « تفكيكيا » ينكر الكليات والمطلق وكل أنواع التجاوز .

ومن ثم فإنه يؤدى إلى تفكيك الواقع الموضوعى وتفكيك الإنسان.

فالإيمان العقلانى المادى بالتقدم يضرب بالضرورة الثوابت والمطلقات ويجعل كل شىء نسبيا . وهو ما يجمع عليه فلاسفة العلمانية ومنهم الإنجليزى "جيريمى بنتام" الذى ذهب مثلاً إلى أنه لايوجد مطلقات أخلاقية ، وأن سلوكنا الأخلاقى يمكن تفسيره ماديا فى إطار المنفعة واللذة . داروين وماركس وفرويد عبّروا بصياغات متفاوتة عن ذات الفكرة (رفض الثابت والمطلق والغيب) .

حين هيمنت هذه الثقافة على المجتمعات الغربية ، وسادت المرجعية المادية التى لاتعول على الغيب وتؤمن بعقل الإنسان وحده ، لم يختلف إنسان العصر الحديث كثيرا عن الإنسان البدائى أو الوثنى . وهذا التشابه تحدّث عنه الفيلسوف الألمانى ماكس فيبر ، فقال أن كليهما يفتقر إلى إطار مرجعى معرفى وأخلاقى متكامل ومتماسك يكتسب تكامله فى عقيدة دينية ثابتة . وكل منهما يعيش فى عالم يفتقد إلى المركز ، ويتسم بتعدد العقائد والنظم المعرفية والأخلاقية . لذلك فالإنسان الوثنى البدائى الذى كان يعيش فى عالم مخيف يتهدده من كل جانب ، وجد نفسه محاطا بآلهة وشياطين متصارعة لصيقة بعالمه المادى ولأن إدراكه الخاص أو عقيدته الدنية البسيطة التى تلبسته كانت عاجزة عن أن تجيب عن أية أسئلة كلية، باعتبار أنها لاتقدم رؤية كونية شاملة ، فإن أقصى ما استطاعت عقيدته أن تفعله أنها كانت تهدىء من روعه قليلا وبشكل مؤقت ، شريطة أن يذهب إلى الساحر لكى يزوده بالتعويذة اللازمة لهذه المناسبة ، ثم يطالبه بتقديم القرابين والقيام ببعض الطقوس لآلهه الخاص أو إله القبيلة دون أن يكون هناك منطق واضح وراء هذه الأشياء .

الإنسان الحديث يفعل نفس الشىء بعد أن تمت علمنته ، فبعد أن عزف عن الديانات الشاملة التى تؤمن باله واحد للكون ، فإنه راح يبحث عن ديانة تستهويه وتشبع أشواقه الروحية ، ومن ثم فإنه اتجه إلى انتقاء التعاليم والطقوس التى تعجبه دون أن تحمله أية أعباء أخلاقية بكلام آخر فإنه حين تمت علمنته لم يعد يبحث عن الإله فى السماء، ووجد نفسه يبحث عن آلهة أخرى فى الوحل ! - وهذا ما يفسر الوثنيات الجديدة التى ظهرت فى بريطانيا وفى عدة دول أوروبية أخرى التى وصفها أحد مثقفى الكنيسة الإنجيلية بأنها ديانات العلمانية ! .

الانفلات العقيدى استصحب ذلك الانفلات الأخلاقى الذى يعد الشذوذ الجنسى أحد أبرز تجلياته . وهذا وذلك من إفرازات العلمنة وتداعياتها الضرورية .

وفى الموسوعة التى تتحدث عنها معالجة مستفيضة لمفردات العلمنة وتعبيراتها المجازية، ومن عناوينها التى تعنينا فى السياق الراهن ما يشير إلى الجسد والجنس كتعبيرات أساسية عن السلوك العلمانى . إذ حين يصبح الإنسان هو المركز ، ويصبح كل شيء كامنا فيه، فإن الإنسان يختزل إلى جسده، ويختزل جسده إلى نشاطه الجنسى ، وهو ما أدركه واحد من أهم الفلاسفة العلمانيين ، آرثر شوبنهاور (القرن ١٩) ، الذى أدرك فى وقت مبكر أن الجسد والجنس هما التعبير المجازى عن العلمانية الأساسية . فرويد عبّر عن ذات الفكرة حيث فسّر السلوك الإنسانى منطلقا من مركزيته معتبرا أنه جسد محض ودوافعه جسدية وجنسية .

أيضا ينبّه الدكتور المسيرى فى الموسوعة إلى ارتباط الحضارة العلمانية بالمنفعة المادية واللذة أدى إلى تعظيم دور الجسد والجنس . وفى رأيه أن الجسد هو التعبير المجازى عن عصر الحداثة ، وأن الجنس هو التعبير المجازى عن عصر مابعد الحداثة، وهو يعزز هذا الرأى باستشهادات من أقوال كبار الفلاسفة الغربيين مثل فوكو وليوتار وغيرهما .

هذه التداعيات تهمنا للغاية ، لسبب جوهرى هو أن بعض العلمانيين فى بلادنا العربية اتجهوا خلال السنوات الأخيرة إلى محاولة هتك المقدس وتفكيك الإيمان الدينى ، من خلال العبث بالنصوص والزعم بأنها تاريخية (صلحت لمرحلة ولا تصلح لأخرى) . فضلاً عن أننا صرنا نطالع شعارات من قبيل « تجفيف الينابيع » تصب كلها فى ذات اتجاه حصار التدين وتفكيك الإيمان » .

وهذه الدعوات تمثل لعباً بالنار لا ريب وتقودنا إلى مآلات مدمرة للدنيا والدين معا . أما ما هى تلك المآلات ، فإنك ستراها بوضوح وتعرفها جيداً إذا قرأت المقال مرة أخرى » [١] .

وإذا تبيّن لنا بعد قراءة المقال السابق بعنوان « **الوثنية الجديدة** » للأستاذ فهمى هويدى ، أن العلمانية كفر صريح بالله وإيمان مطلق بالإنسان و أن هذا التيار المدمر يلقى مقاومة من جانب تيارات أخرى فى الدول الغربية ذاتها لاتزال تستميت فى الدفاع عن العقيدة والفضيلة

١ - جريدة الأهرام ، ص ١١ بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٩٦ م .

والأسرة الطبيعية » .

إذا تبيّن لنا ذلك فإنه لابد وأن ينشأ حتما ما يسميه البعض « صراع الثقافات » أو « صدام الحضارات » .

« فالعالم إذن لن يهتدى طريقا إلى السلام الإنسانى فى ظل العلمانية لما تحتويه من مضامين تصادمية نشطة ، ذلك ولم يكن للتاريخ نظرة إيجابية إزاء التعايش السلمى الإنسانى بمنأى عن القيم الدينية السوية ، ولقد كانت قيم العالمانية على مدار التاريخ - مثاراً للأحقاد والبغضاء والتناحر بين البشر أجمعين ، ولعله فى ظل تلاشى العالمانية، أن يدرك العالم الراحة والسلام . لأنه كلما اقترب منحنى الوعى الحضارى من خط القيم الدينية والروحية. تحرك مؤشر التفاعل الإنسانى ليسجل نتائج تفاؤلية ... !!

ونحن إذ نعنى بمصطلح تلاشى العالمانية من العالم ، فإنما نعنى اتجاه المجموعات الحضارية على اختلافها إلى تعاطى قيمها الدينية تعاطياً إيجابيا ... فتتكون تلك القيم معياراً للسلوك الإنسانى بمختلف أنماطه واتجاهاته .. ما يعنى ترسيخاً للتسامح والتراحم ، والتفاهم والتجادل بالتى هى أحسن ... » (١).

---

١ - مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٣٨٦ (١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م) ص ٣٩ مقال بعنوان « العالمانية وصدام الحضارات » ٣ / ٣ - بقلم / عطية فتحى الويشى .

هل يوجد علمانيون فى بلاد الإسلام ؟ (١)

بعد أن عرضنا أقوال بعض مفكرينا عن أهم القضايا التى لها صلة بمفهوم العلمانية كقضية التطور وقضية الحرية وقضية الحداثة ، نعود فنقول هل وصل تأثير العلمانية إلى الكتّاب والمفكرين والمسئولين فى بلادنا أم أنها ظلّت على هامش الفكر والشعور فقط ؟

وندع الإجابة عن هذا السؤال للشيخ / السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم فنعرض ما جاء فى مقالته التى نشرتها مجلة الإسلام وطن حيث يقول :

« تحدثنا عن العلمانيين على مستوى الأفراد من جيل الرواد أمثال طه حسين ، وعلى عبد الرازق ، وسلامة موسى ، ومن جيل التلاميذ أمثال فاروق حسنى ، وفؤاد زكريا وفرج فودة وحسن حنفى ونصر أبو زيد. واليوم نواصل الحديث عن أحد العلمانيين على مستوى الأفراد فى بلاد الإسلام من جيل التلاميذ وهو السفير حسين أحمد أمين : (٢)

نشرت جريدة « عقيدتى » فى عددها رقم ٢٥٥ الصادر يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٩٧م حوارا مع السفير حسين أحمد أمين - نجل المفكر الإسلامى أحمد أمين مؤلف « فجر الإسلام » - احتوى على عدة آراء شاذة وغريبة تدل على تأثر الرجل بالعلمانية حتى النخاع ، فما ورد فى حواره يدل على انبهاره بالعلمانية الغربية .. وفى إيجاز شديد نلخص آراءه فى كلمات قليلة ونرد عليها ونفندها .

---

١ - السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية ، مجلة الإسلام وطن ، السنة (١٣) العدد(١٣٨) صفر ١٤١٩ هـ يونيو ١٩٩٨ م .

٢ - مجلة « عقيدتى » العدد ٢٥٥ الصادر فى ١٢ جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٩٧ م .

١ - يقول السفير حسين أحمد أمين - يعمل فى البرازيل - فى حواره مع عقيدتى : أنا أرفض تسمية الإسلاميين كنقيض للعلمانيين ، الأمر الذى يوحى بأن العلمانيين غير مسلمين ، فى حين أنه يمكن أن يكون الشخص علمانيا ومسلماً إسلاماً حقيقياً .. ويقول : أنا مسلم علمانى دون أدنى تعارض ، فالعلمانية لاتعنى الإلحاد .

تعليق : هذا كلام يجافى الحقيقة ويناقض الواقع، ودليل ذلك أن الإسلام قد تناولت أحكامه كافة شئون الحياة، أما العلمانية ، فهى تنادى برفع يد الله عن أى حكم، وتتوجه إلى الدنيا لترفع عنها يد الدين ، وتدعى أن النصوص الواردة بشأن تنظيم الحياة أولى بها أن تحفظ فى متاحف التاريخ لأنها لم تعد صالحة للتطبيق ، وهى بذلك تعلى كلمة البشر وتخفض كلمة الله سبحانه وتعالى ، وتجعل من الإنسان إلهاً مشرعاً يرى لنفسه حقاً قد سلبه منه خالقه .

وعلى ذلك فإن التلاقى بين الإسلام والعلمانية كالتلاقى بين متناقضين أو متضادين لاينتج عنه سوى الصدام، وقد أثبتنا فى المقالات السابقة أن العلمانية ليس لها مكان فى الإسلام، فإما أن يوجد الإسلام ولا علمانية، أو توجد العلمانية ولا إسلام .

والعلمانية تعنى الإلحاد إذا احتقر العلمانى الدين ورماه بالتخلف ، أو ازدراه، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وقد تعنى النفاق حين يتخذ العلمانى الإسلام ستاراً يعيش به بين الناس لأنه لايملك الشجاعة على مجاهرتهم بحقيقة معتقده، أما إذا كانت مقترنة بعدم الفهم : أو الفهم الخاطىء مثل من يعتقد أن الإسلام يتقبل العلمانية فذلك إما أن يكون جاهلاً يعذر لجهله، وإن كان من الواجب عليه أن يسأل أهل العلم ليعرف الحق ، وإما أن يكون عاصياً وكلا الأمرين مذمة ومنقصة ، لأنه يكشف عن قصور فى الفهم أو فى العقيدة، ويدل على وجود خلل فى البناء الفكرى للشخص، فإذا كانت العلمانية لاتعنى الإلحاد فى بعض الحالات فإنها تعنى ما هو أخطر، إنها تعنى النفاق والعياذ بالله تعالى .

٢ - يقول السفير حسين أحمد أمين : الإسلام مجرد قيم روحية ينبغى استلهامها، فاستيعاب روح الدين أهم بكثير من الالتزام بالنص .. فأعظم مسلم فى رأيى هو من قرأ الكثير فى الفقه والشريعة وعلوم القرآن والحديث والأدب العربى

القديم والتاريخ والجغرافيا ثم هضم كل ذلك وخرج بمفهوم جديد ونظرة جديدة للإسلام توافق روح العصر الذى يعيش فيه .

تعليق : القول بتغير الشرائع تبعاً لمصلحة الإنسان كلام مطاط لاينسحب على كافة الأحكام ، وإن حاول العلمانيون تعميمه وصولاً إلى هدفهم من تعطيل الشريعة بكاملها، وذلك لأن الأحكام الشرعية تدور بين ما هو ثابت وما هو متطور، فما كان من قبيل الأصول فى العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات والتى تستند إلى دليل قطعى الدلالة وقطعى الثبوت فلا مجال لتبديله أو تغييره، وما كان من قبيل الفروع والتفصيلات المتعلقة بالإجراءات مما يستند فى أغلبه إلى دليل ظنى فهو مجال لإجتهاد المجتهدين ويطرأ عليه التغير بحسب الحال والزمان والمكان .

وعلى ذلك فالمصلحة ليست متروكة لأهواء البشر يعطلون بها ما يشاءون من شرع الله، بل المصلحة كلها فى تنفيذ ما شرع الله الذى يعلم من خلق ، وحاشا لله أن تتعارض شريعته مع مصلحة من مصالح الخلق .

والاستناد إلى ما فعله سيدنا عمر عام الرمادة من عدم قطع يد السارق على إمكانية التدخل لإعادة النظر فى النص والحد يعد مغالطة أخرى، فإن سيدنا عمر لم يبطل حد السرقة – كما يقول العلمانيون – وإنما أوقف العمل به هذا العام الذى حلّت فيه المجاعة بالمسلمين استناداً إلى قاعدة شرعية وهى درء الحدود بالشبهات، وما أن انتهت المجاعة إلا ونفّذ حد السرقة فى مرتكب الجريمة بعد أن زالت الأسباب التى قد تضطر المرء إلى سرقة ما يسد به رمقه .

وكيف يكون الإسلام مجرد قيم روحية وأبواب التشريع الإسلامى الواردة فى الفقه الإسلامى تشمل كافة مناحى الحياة وأنشطتها ، ونحن نسأل سعادة السفير المحترم على أى شريعة تزوج ؟ وكيف يعاشر زوجته ؟ وكيف يثبت نسب أبنائه ؟ أليس وفقاً لما قرره هذا التشريع ؟ وإذا حدث طلاق بينهم أليست أحكام هذا التشريع هى التى تحكم ؟ فكيف يقال بعد كل هذا إن الإسلام مجرد قيم روحية ؟.. إن هذه العبارة نوع من الكذب والضلال يستهدف القضاء على الإسلام وتحنيط أحكامه فى تابوت يسمونه (روح الشريعة) .

٣ – يقول السفير حسين أحمد أمين فى مسألة الحدود : إنه يرى إمكانية عدم تطبيقها مراعاة لظروف العصر، وأن التوعية أهم شىء وليس الحد أو التهديد

بتوقيع العقوبة ، وأن تطبيق الحدود يتنافى مع حقوق الإنسان .

تعليق : تطبيق الحدود لاينافي حقوق الإنسان ، بل يحميها من تعدى المجرمين عليها ، لأنها هي الصبغة الفطرية . الملائمة لردعهم ، ولو كانت الحدود ضد حقوق الإنسان لجاز لنا أن نقول : إن العقوبات المقررة في القوانين الوضعية ضد حقوق الإنسان، لأن هذه العقوبات قد تصادر على الإنسان (المجرم) حياته وحريته وماله، وبهذا نكون قد خطونا أول خطوة على طريق الفوضى .

ثم أى إنسان هذا الذى تنتهك حقوقه؟ هل هو المجني عليه الذى سلبت حياته ظلماً وعدواناً أو اعتُدى على عرضه أو سُلِبَ مالهُ بغير حق ؟ أم هو الجانى القاتل السارق الزانى النصّاب قاطع الطريق المفسد في الأرض ؟ ولماذا نخلط الأوراق على هذا النحو المضلل ؟ وهل من الحكمة أن نقف بجانب المجرمين أعداء الإنسانية وأعداء حقوق الإنسان لنعبر بذلك الموقف الشاذ عن كرهنا للإسلام ؟!!

فإذا كان مرادهم بحقوق الإنسان (المجنى عليه) يكون ظلمهم للإسلام وللإنسانية ولكافة القيم النبيلة واضحاً .. وإذا كان مرادهم (الجانى) فإنه لايوجد تشريع يحفظ حقوق المتهم أكثر من التشريع الإسلامى ، ويكفى أن الشبهة تدرأ العقوبة فيه، كما يكفى المبدأ المعروف (خطأ القاضى فى العفو خير من خطئه فى العقاب) .

٤ - يقول فى مسألة الحجاب : إنه خاص بنساء النبى ﷺ ، ويحمل على كلام المؤرخ الإنجليزى سايكس فى كلامه عن تاريخ فارس أن الحجاب ظهر فيها قبل الإسلام بألف عام، وأن المحجبة صحتها أضعف من السافرة لأن الحجاب مضر بالصحة لأنه يمنع الهواء عن الدخول لأجسادهن حتى إنه يشفق عليهن ،ويورد من كتاب الأغانى للأصفهانى بعضاً من الروايات التى يستدل بها على شيوع السفور وقلة الملتزمات بالحجاب زمن الخلافة الراشدة والأمويين .

تعليق : إن الذين يرون عدم مشروعية الحجاب أولى بهم أن يستتروا بآرائهم الفاضحة عن الناس ، وإذا كانوا من الذين يعشقون التطلع إلى السيقان العارية، والصدور المكشوفة ، والشعور المرسلة .. فليمارسوا هوايتهم بمنأى عن

أهل الأدب والعفاف ، حتى لايبالغوا في ظلم أنفسهم أكثر مما حملوها. إن التعدى على الحجاب انتهاك صارخ لحقوق الإنسان، وهو دعوة لجأ إليها اليهود لإغراق العالم بالجنس ونشره والترويج له .

ثم إن حجاب المرأة فرض واجب على كل من بَلَغتْ الحُلُمْ وهذا الحكم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ..

ومن العجيب أن الذين يرون عدم مشروعية الحجاب ليس لهم مستند غير كتاب الأغانى للأصفهاني – اليهودى عقيدة – وهو فضيحة علمية فإن أحداً من الباحثين لم يقل عن كتاب الأغانى إنه مرجع دينى .

أما قوله إن الحجاب ضار بصحة المرأة، فهذا كلام ساذج يصلح أن يكون نكتة مضحكة ، فما علاقة التنفس بالحجاب ؟ وهل تتنفس المرأة من سيقانها أو صدرها أو قفاها أو شعرها حتى نطالب بتعرية تلك الأجزاء ليصل الهواء إليها ؟ وإذا كان ذلك فالأولى أن يكون بدن الرجل ضعيفا ومريضا لأن ملبسه العادى لايكشف فيه عن تلك المواطن .. ولماذا لم يخترعوا للرجل ملبساً يكشف عن ساقيه وصدره وخصره ؟ .

إن ما يقال عن مسألة إضرار الحجاب بصحة المرأة يكشف عن خلل عقلى واضح، وإذا أردنا الحق والصدق، فإن الحجاب يحقق للمرأة توازنا نفسيا وروحيا يعودعلى بدنها بالصحة والعافية، وقد ثبت ذلك من خلال دراسات علمية معروفة انتهت إلى أن الحجاب يحفظ بدن المرأة من التلوث الجوى ومن أشعة اشمس المحرقة ، ومن التعرض للغبار والأتربة الملوثة بالمواد الكيماوية، ومن التلوث البصرى الذى يمارسه الفارغون والفضوليون .

٦ – يقول : لاتعارض بين الاحتفال بالفتح الإسلامى والحملة الفرنسية على مصر، لأن الاحتفال بهما معاً يوحى بسعة أفق ، وتفهم صحيح للتاريخ .

تعليق : لقد ناقشنا مسألة الاحتفال بالاحتلال الفرنسى لمصر فى مقالة سابقة ، وبيّنا أن الاحتفال بهذا الاحتلال خيانة للدين والوطن ، وأنه عمل مضاد للإنتماء والعزة والكرامة .. إذ كيف نحتفل بمناسبة امتهنت فيها كرامتنا ، واستبيحت حرماتنا ، ودنّس الأجنبى أرضنا، واعتدى على الأزهر الشريف الذى يعتبر أطهر مكان على وجه الأرض بعد المساجد الثلاثة .

ولا يجوز أن ننسى أن نابليون هو أول من دعا إلى إقامة دولة إسرائيل فى

أرض فلسطين، فالاحتفال بالمناسبتين معاً لايصح ولايجوز ، لشتّان بين مناسبة الفتح الإسلامي الذى أكّد دور مصر على خريطة العالم الإسلامى ، وأعطى لها بعداً عالميا وإسلاميا جعلها محل احترام العالم وتقديره ، ومناسبة الغزو الفرنسى التى جلبت علينا العار ، وداست على كرامتنا .

حرية الفكر كلمة حق يراد بها باطل

حرية الفكر شعار العلمانيين الناكثين ، يرفعونه لتبرير أى شيء يقومون به، حتى وإن كان فيه ردتهم عن الإسلام خلافاً فى الرأى لايحل أن يقتل به أحد !! وإليك بعض الأمثلة على ذلك :-

١ - عندما قتل محمود محمد طه فى السودان وهو الذى ادعى الرسالة وأنه المسيح المنتظر ، وأنكر ختم الرسالات ، وزعم أن للإسلام رسالة ثانية يقوم هو على إبلاغها للناس، وقد أنكر فيها الصلاة والزكاة، والجهاد، وأحكام الميراث ، والمهر، والطلاق ، والحجاب، وغيره مما هو معلوم بالضرورة من الدين، وأفتت جميع الهيئات الدينية الرسمية فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى بكفره نذكر منها : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، ومحكمة الإستئناف العليا الشرعية بالسودان عام ١٩٦٨ ، أى قبل أن يفتح ملف تطبيق الشريعة فى السودان بالكلية.

وقد ظل الرجل مصراً على كفره حتى آخر لحظة من حياته ، قامت قيامة العلمانيين واعتبروا قتله اضطهادا للفكر، ومصادرة للحريات، وسوّدوا فى ذلك المقالات والبيانات ، وكان على رأس من أدلى بدلوه فى هذا المعترك الدكتور فرج فودة (قبل السقوط : ص ١٢٥ - ١٢٦) .

وقد دارت مساجلات بينه وبين الدكتور صالح منتصر على صفحات جريدة الجمهورية ونشرها فى كتابه « حوار حول العلمانية » وعرف من خلالها مدى بشاعة جرم وجريمة الرجل، وخروجها على الإجماع فى موضوع العقيدة، إلا أنه ظل على رأيه فى استنكار الإعدام فى قضية من قضايا الرأى !!! أيا كان مضمونها (راجع : حوار حول العلمانية لفرج فودة ص ٧٥- ٧٧) .

٢ - عندما كتب سلمان رشدى كتابه الأثيم (آيات شيطانية) يسب فيه أشرف الخلق سيدنا ومولانا محمداً ﷺ ، ويطعن فى عرض العفيفات الطاهرات أمهات المؤمنين، وقامت قيامة العالم الإسلامى كلّه طولاً وعرضاً ، وجدنا من

العلمانيين من يدافع عن الرجل بدعوى حرية الفكر .

٣ - عندما كتب نجيب محفوظ (أولاد حارتنا) وفيها ما فيها من الطعن في الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وصادر الأزهر كتابه قبل ما يزيد على ثلاثين سنة، قامت قيامة العلمانيين وطالبوا بالإفراج عن هذه الرواية بدعوى حرية الإبداع وحرية الفكر !!.

٤ - عندما كتب علاء حامد كتابه المارق (مسافة فى عقل رجل) وفيه يطعن فى الرسول ﷺ بل وسائر الأنبياء، وأدانه القضاء المصرى وحكم عليه بالسجن ، قامت قيامة العلمانيين واعتبروا هذا الحكم اغتيالا للديمقراطية وحقوق الإنسان، وكتبوا إلى رئيس الجمهورية يلتمسون العفو عن الرجل انتصاراً لحرية الرأى وحق الناس فى الإبداع وهذه نماذج مما قالوه :

أ- أفرد الدكتور غالى شكرى مقالاً كاملاً تحت عنوان (رؤية نقدية) ختمه بقوله : ومن حق الرأى العام أن يستقبل الحكم على علاء حامد ومحمد مدبولى بالتساؤل حول حقيقة موقعنا من المتغيرات العالمية الجديدة وأبرزها ما يخص حقوق الإنسان، والتساؤل أيضاً حول المناخ الإرهابى الذى تفرضه بعض الحركات على حرية الفكر، ثم التساؤل عن الوعد القاطع بعدم استخدام قانون الطوارىء إلا فى مواجهة الإرهاب ؟ (الأهرام : ١/١/ ١٩٩٢) .

ب - اعتبر الأستاذ لطفى الخولى هذا الحكم اغتيالا للديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية التعبير والاجتهاد (الأهرام : ١٩٩٢/٢/٢).

جـ - كتب أحمد عبد المعطى حجازى تحت عنوان (إنها قضية المثقفين لاقضية كاتب) مقالا استهله بقوله : (هذه النتيجة المأساوية التى انتهت إليها قضية الكاتب علاء حامد أفزعت المثقفين المصريين، وزلزلت أساساً مكيناً من الأسس التى كنا نركن إليها وكنا نعتمد عليها، ونبنى آمالاً كباراً فى مستقبل تسترد فيه الثقافة المصرية حيويتها وعافيتها وقدرتها على النهوض بنفسها وبالبلاد .. وختمه بقوله: إننى أناشد السيد رئيس الجمهورية أن يتدخل لحماية الثقافة المصرية من هذا المصير المظلم) . (الأهرم: ١٩٩٢/١/١).

كأن الثقافة المصرية لاتسترد حيويتها وعافيتها إلا من خلال الطعن فى الأنبياء والمرسلين ! .

٥ - الدفاع المستميت من قبل العلمانيين فى قضايا نصر أبو زيد ، وسعيد

العشماوى ، وحسن حنفى ، وخليل عبد الكريم ، وسيد القمنى .. وغيرهم .

٦ - ألف فرج فودة كتابه (الحقيقة الغائبة) ليكون بمثابة قراءة جديدة فى عهود الراشدين والأمويين والعباسيين ينتصر بها لنظريته التى يقول فيها : إن ١ ٪ من التاريخ الإسلامى يناصر الدولة الدينية ، و ٩٩ ٪ يناصر الدولة العلمانية .. وسنكتفى فى هذا المقام بقطوف من تناوله لسيرة الصحابة الكرام... لأن من أجترأ على صحابة رسول الله ﷺ فهو على غيرهم أجرأ :

أ- يذكر عن سيدنا أبى بكر الصديق أنه بقتاله لمانعى الزكاة قد فتح الذريعة إلى القتال بين أهل القبلة، وأن موقفه هذا يعد البداية الحقيقية لقتال المسلمين للمسلمين .. ويعلن تعاطفه مع المرتدين .

ب - يرى أن سيدنا عثمان لم يعدل فى حكمه، وأنه أقام دولته على ثلاث دعائم لايقر ولايتصور أحد أن تكون هى دعائم الحكم فى الإسلام .

جـ - يتطاول على سيدنا عبد الله بن عباس فى جرأة لايحسد عليها ، وينقل عن كتب التاريخ روايات متهافتة تنسب إليه سرقة أموال بيت المال ويعقب عليها فيقول : (هل الاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل حلال على مسلم لكونه عاصر الرسول أو الخلفاء أو الصحابة، حرام علينا لأننا جئنا فى عصر بعد العصر) .

* هذه هى حرية الرأى والفكر كما يتصورها العلمانيون ، حرية الطعن فى المقدسات ، والتطاول على الأنبياء والمرسلين ، بل وعلى الله رب العالمين !! .

فإذا انتصرت الأمة لدينها أو انتصفت لنبيها ، أو غضبت لربها، وأقامت حكمه فى هؤلاء المارقين كانت هى الآثمة والملومة، لأنها تطاولت على حقوق الآخرين .!!

* وإننا نكرر دائما أنه لايجوز فى دين الله أن يقتل أو يشتم أو يسب أحد أو ينالُ منه لمجرد خلاف فى الرأى عندما يكون الأمر فى دائرة الرأى ، فإذا تجاوزه إلى الطعن فى الدين ، والتطاول على الأنبياء والمرسلين ، فقد تجاوز الأمر حدود الرأى وأصبحنا أمام قضية أخرى هى الردة عن الإسلام، وللردة أحكامها المفصلة (من بدّل دينه فاقتلوه) مع عدم الإخلال بحقه فى الدفاع عن نفسه ، وإزالة شبهه ، وقبول توبته إن تاب .

واجب الأمة نحو العلمانيين

مما سبق فى هذه المقالات يتبين لنا أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية التى ترمى إلى عزل الدين عن التأثير فى الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا من جميع النواحى السياسية، والاقتصادية ، والاجتماعية، والأخلاقية، والقانونية وغيرها، بعيدا عن أوامر الدين ونواهيه.

فإلى متى سيكون هذا الهزل فى الوطن الإسلامى ؟ أليس هناك وقفة للمسلم مع هؤلاء ؟

ثقوا أننا إذا لم نتخذ ضدهم قراراً فورياً ، فإن الأجيال القادمة ستلاحقنا بلعناتها (١).

بعض علماء الأزهر وأساتذة الجامعة تأثروا برياح العلمانية :

ومما هو جدير بالذكر أن بعض علماء الأزهر وبعض الأساتذة بجامعة القاهرة قد تأثروا بزيف المدنية التى وصلت إليها أوربة وأمريكا وانخدعوا ببريق الحياة العلمية المادية التى عرفوها للمستشرقين ووقعوا فى حبائل العلمانية زمنا ، نذكر منهم فضيلة الشيخ الدكتور محمود أبو رية ، وفضيلة الشيخ الدكتور خالد محمد خالد ، والدكتور منصور فهمى ، والدكتور نصر حامد أبو زيد .

فالأول قدّم كتابه « أضواء على السنّة المحمدية » متأثرا بروح النقد عند المستشرقين وجانبه الصواب فى كثير من المسائل التى تتعلق بالحديث النبوى .

والثانى ، قدّم لنا كتابه « من هنا نبدأ » أساء فيه إلى الإسلام ورجالاته عندما تكلم عن الدين والكهانة فموّه على القارىء إذ سلك

---

١ - نفس المرجع السابق ١ ، ٢ مجلة عقيدتى ، والإسلام وطن .

الإسلام مع غيره من الأديان الباطلة فى نظام واحد وسوّى بين علماء الإسلام وبين كهنة (برهما) وسدنة (بوذا) ، وردّه إلى صوابه صاحب الفضيلة الشيخ محمد الغزالى حين ردّ عليه بكتابه (من هنا نعلم) .

وكم كان الشيخ محمد الغزالى موفقا حين كتب مبينا علاقة الدين بالدولة وأنهما وحدة واحدة لاتقبل التجزئة وأن كل محاولة للفصل بينهما إنما هى إفساد للإسلام وعدوان عليه كعقيدة وشريعة على السواء وقد استوعب الدلائل الحاسمة فى هذا الموضوع فى باب ﴿ إسلامية الحكم لاقوميته ﴾ [1] .

وأما الدكتور منصور فهمى من أساتذة جامعة القاهرة وقد كان عالماً فذاً بكل المقاييس - كما تقول إحدى الصحف - فقد قدّم رسالة بالفرنسية إلى السربون عن حال المرأة فى الإسلام نال فيها من خلق رسول الله ﷺ وشرعه وسلوكه فهاجمه العلماء ووصفوه بالإلحاد وأصر على موقفه حتى قابل الشيخ حسونة النواوى أحد مشايخ الأزهر ومفتى الديار المصرية فقال له الشيخ حسونة - أأنت الذى يقال عنك أنك ملحد ؟

- قال نعم يامولاى .

- قال : اقرأ القرآن واقرأ صحيح البخارى إن لم تكن قرأته .

قال : فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحييت ألا أفى بعهدى فعكفت على قراءة البخارى وعجبت لغفلتى الأولى ، فقد

---

١ - انظر كتاب (من هنا نعلم) للشيخ محمد الغزالى - المقدمة ، ص ١٣ إلى ص ٤٥ . طبعة ١٩٥١ - مطبعة دار الكتاب العربى- القاهرة .

وجدت حكما ونظما وأخذت أقارن ذلك بما درست من فلسفة . فوجدت ما جاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الإلهام الصادق يبدو فى كل حديث فلم أجد إلا أن أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

(نقلا عن مجلة حياتك فى ديسمبر سنة ١٩٥٨) .

وأما الدكتور نصر حامد أبو زيد من جامعة القاهرة فإنه وقع فى أخطاء جمة فى الدين حين ألّف كتابا يصف فيه العقل العربى بأنه مكبل بالنصوص الإسلامية متمثلة فى الكتاب والسنّة والإجماع وفى رأيه أن هذه النصوص خادمة للسلطة القرشية وأن العقل يجب أن يتحرر من كل النصوص كى ينطلق وقال فى آخر كتابه : « وقد آن أوان المراجعة والإنتقال إلى مرحلة التحرر ، لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا) .

وواضح من العبارة الأخيرة مدى تأثر الدكتور نصر حامد أبو زيد بمبدأ الحرية والعقلانية وهما من أهم سمات العلمانية ، وفى إحدى المحاكم فى مصر تم الحكم عليه بالردة والتفريق بينه وبين زوجته بناءً على هذا » [1].

وأحسب أن الدكتور « نصر أبو زيد » إن كان صادقا فى إعمال عقله بنزاهة وإحكام ودون هوى فى قرارة نفسه وإعجاب برأيه لعاد إلى الصواب وتاب إلى ربّه وأناب .

---

١ - راجع كتاب « نقض كتاب نصر أبو زيد للدكتور / رفعت فوزى عبد المطلب ، مكتبة الخانجى القاهرة .

العلمانية فى وسائل الاعلام (الصحف والمجلات) :

لقد أثمرت جهود أعداء المسلمين فى الوصول إلى أدمغة كثير من الكتّاب والمفكرين فى بلادنا الذين انطلى عليهم زيف الحضارة الغربية فاقتنعوا إلى حدّ كبير بالتغريب والحداثة والعلمانية وآمنوا بالفكر الوافد من أوربا وأمريكا وصاروا يرددون ما يتناهى إلى أسماعهم من أفكار علماء الغرب الحاقد على الإسلام وأهله .

والخطر كل الخطر إذا تسرب هذا الفكر إلى عقول شبابنا لأنهم عُدة الوطن وذخيرته ، وماذا يفيد الشباب إذا آمنوا بمثل تلك الآراء التى تنادى بتفوق الغرب وغطرسته وترغب فى السير على دربه والنهج على سبيله .

إننا نستصرخ حكام المسلمين وقايتهم مما يُدبّر لهم بأيدى بعض أهل الأدب والفن والصحافة والإعلام ، لنشر الأوبئة والجراثيم الفتاكة ، والإرهاب الفكرى المدمر تحت ستار حرية الفكر والنشر، التى تحولت فى الحقيقة إلى همجية وفوضى [1] .

وليت الأمر اقتصر على أعداء الإسلام فى الخارج ، ممن نعرف نواياهم ولانلتفت لأقوالهم الصادرة عن نفوس موتورة حاقدة ، بل إن الأمر تجاوز حده بظهور أدباء ونقّاد وعلماء هم صنيعة أعداء الإسلام ، يخدمون أفكارهم ويروّجون لمبادئهم ، وفى المقابل يدعمون ماديا ومعنويا، فيصبحون من كبار المشاهير بين يوم وليلة ، وتغدق عليهم الجوائز العالمية

---

١ – الزهراء فاطمة بنت عبد الله – الموضة فى التصور الإسلامى ، ص ٦ ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠م، عمّان ، الأردن .

والحلية والألقاب العظيمة، مما يفتن به شبابنا ، فيعتقدون أن هذه الشخصيات الهدامة هى شخصيات مصلحة بناءة فتنقاد إليهم عقول شبابنا ، ويقعون فى المصيدة التى أعدها لهم أعداء الله وأعداؤهم فإذا ما هب أحد الناصحين المخلصين وتصدى للدفاع عن الحق .. تكتّل الباطل، وشحذ مختلف وسائله لإطفاء نور الله ﴿ **ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ (1).

وسوف نعرض الآن لبعض ما يكتب عن الإسلام فى صحيفة « الأهرام » لنرى عن كثب مدى ما يتعرض له ديننا الحنيف بأقلام بعض كتابنا : المقال الأول بقلم الصحفى أحمد عبد المعطى حجازى بعنوان « **ماذا تريد هذه الهيئات بالضبط** » كتب يقول (2) :

أتمنى أن تراجع الهيئات المشتغلة بالشئون الإسلامية نشاطها الذى تقوم به وتؤثر من خلاله فى حياتنا الثقافية وحياتنا العامة، وأن تجيبنا بصراحة على هذا السؤال : مالذى تريده بالضبط ؟

هل تريد هذه الهيئات أن تحولنا إلى ايران أخرى أو سودان أخرى أو أن تقلب نظامنا السياسى الراهن وتفرض علينا ديكتاتورية دينية ؟

إذا أجبنا بالمنطق ، فالجواب هو النفى ، لأن هذه الهيئات ، ومنها الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية ، ووزارة الأوقاف ليست أحزابا سياسية وليست كنائس مستقلة عن الدولة ، بل هى هيئات حكومية رسمية تنتمى للنظام المدنى الراهن وتخضع لقوانينه . والقائمون على هذه الهيئات أركان فى هذا النظام وموظفون عموميون يعينون بقرارات تصدر عن السلطة القائمة، وهى سلطة مدنية ، فإذا كانت السلطة القائمة سلطة مدنية انتخبناها لتحل لنا مشاكلنا فى الدنيا ، وتترك لنا أن نحل بأنفسنا مشاكلنا فى الآخرة، وإذا كانت الهيئات التى أشرنا إليها جزءا من هذه السلطة فليس من المتصور أن يقود شيخ الأزهر أو وزير الأوقاف أو

1- سورة التوبة : 32 .

2 - أحمد عبد المعطى حجازى ، مقال منشور فى جريدة الأهرام القاهرية .

رئيس مجمع البحوث الإسلامية انقلابا ضد النظام المدنى الراهن الذى تتبعه هذه الهيئات المختلفة هذا هو الجواب المنطقى .

غير أننا ننظر فى نشاط هذه الهيئات فنرى فى أحيان كثيرة مالايتفق مع ولائها للنظام الذى تدين له بوجودها ، أو مع الدستور الذى أقسم المسئولون عنها على احترامه .

خطباء المساجد التابعة لوزارة الأوقاف فضلا عن غير التابعة للوزارة، لا يكتفون بالتلميح أو التصريح عن إثارة مشاعر التعصب والكراهية بين المسلمين وغير المسلمين من المصريين .

ولقد تعلمنا من الإسلام أن الدين واحد وأن الرسول العربى الكريم لم يأت لينقض ما جاء به السابقون من الرسل الكرام ، وإنما جاء ليكمل النعمة ويتمها . والمسلم لايكون مسلما حقا إلا إذا آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، كما جاء في سورة البقرة والمسيحيون المصريون ليسوا شركاء للمسلمين فحسب بل هم أخوة وآباء وأعمام وأخوال لأن المسلمين لم يهبطوا على مصر من خارجها كما يظن سذج كثيرون ، وإنما انحدر معظمهم من أصلاب المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام ، فهم هبة السيد للسيد كما قال شاعرنا العظيم شوقى فى الكنيسة التى تحولت إلى مسجد .

والعقائد الدينية تختلف فى بعض المسائل ومن واجب الخطباء وعلماء الدين أن يشرحوا للمسلمين عقائدهم لكن دون أن يعرضوا بعقائد الآخرين فما بالك وكثير من هؤلاء الخطباء لايقف عند حد التعريض وإنما يتجاوزه إلى السب والقدح والتحريض فأتباع هذا الدين عبدة صور ، والآخرون مرابون وقتلة أنبياء .

من حق خطباء المساجد أن ينددوا بالصهيونية التى لا تختلف فى شىء عن النازية لكن ليس من حقهم أن يشتموا اليهود . فنحن لسنا أعداء لليهود ، ولا أعداء لليهودية ، واليهودية دين من الأديان السماوية التى يعتنقها المصريون ، فليس من حق مصرى مسلم أن يشتم أخاه المصرى اليهودى والمصريون اليهود قليلون وربما أصبحوا نادرين ، فالتنديد بهم يفهم فى ضوء المثل الشعبى القائل ، اضرب المربوط ليخاف السائب .

ويبدو أن وزارة الأوقاف مازالت تعيش فى عصر السلطان عبد الحميد، فهذا هو الذى يفسر العداء الشديد الذى يكنه خطباؤها للوطنية المصرية نحن

لانسمع خطيبا واحد من خطباء الجمعة يتغنى بمصر ، كما كان الرسول الكريم يتغنى بمكة أم أن التغنى بمصر الآن لا يجلب ذهبا ولا فضة .

والحقيقة أن وزارة الأوقاف ليست الجهة الوحيدة التى تعيش فى عصر آل عثمان وإنما يشاركها الحياة فى ذلك العصر هؤلاء الذين مازالوا مصرين على أن يخلدوا اسم السلطان سليم الأول باطلاقه على شارع من أهم شوارع القاهرة هل وصل جهل هؤلاء بالتاريخ الوطنى إلى الحد الذى لايعلمون فيه أن سليم الأول هذا هو القاتل السفاح الذى هدم استقلال مصر واستولى عليها وعلى بلاد الشام والحجاز التى كانت جزءا من السلطة المملوكية .

والغريب أنهم يسمون الشارع المجاور « طومان باى » مع أن طومان باى هو آخر سلاطين مصر، المستقلة ، وسليم هو الذى حول مصر إلى ولاية متخلفة مستعبدة وطومان باى هو الضحية الذى أعدم شنقا على باب زويلة ، وسليم هو الذى شنقه واغتصب ملكه وأذل شعبه. وهذا ليس عدلا ولكنه حياد قبيح وعدم مبالاة بالتاريخ الوطنى .

وخطباء وزارة الأوقاف لايريدون أن يتعلموا اللغة التى يجب أن يتكلمها عالم الدين فى العصر الحديث .

كنت أتابع على إحدى قنوات التليفزيون الفرنسى أخبار الحادث الإجرامى الذى ارتكب فى الجزائر باسم الإسلام وراح ضحيته رجل من كبار رجال الدين المسيحيين ممن يحملون الجنسية الفرنسية والجنسية الجزائرية ، وقد أعادت القناة الفرنسية عرض حديث كانت قد أجرته معه بعد أن تعرض خمسة رهبان فرنسيين للذبح فى بعض مناطق الجزائر . وفى هذا الحديث المعاد سألته المذيعة هل يفكر فى مغادرة الجزائر بعض الوقت . فأجاب بالنفى ، لأن وجوده فى الجزائر ضرورى قال بالحرف الواحد ؛ ليست الكنيسة هى ما أقف إلى جانبه فى هذه اللحظات الصعبة أنا أقف مع الجزائريين لأننى أعرف فضائلهم وأفهم مشاكلهم .

هذه اللغة الإنسانية الرفيعة هى ما يجب أن يتعلمه المشتغلون عندنا بأمور الدين.

والدستور المصرى يسوى بين المواطنين المصريين جميعا، ولايفرق بين مسلم ومسيحى ويهودى ولابين رجل وامرأة ولا بين غنى وفقير . لكن كثيرا من خطباء الجمعة يكرهون النساء ، ويغلظون القول فى حقهن ويتهمونهن بأشنع التهم خاصة

إذا جرأت المرأة وتعلمت كما يتعلم الرجل ثم وجدت بعد ذلك عملا تؤديه إلى جانب الرجل فتخدم نفسها وأسرتها ومجتمعها ، وتتعلم من النجاح الذى تحققه فى طلب العلم وفى القيام بأعباء الوظيفة وأعباء البيت أن تحترم نفسها وتنال الاحترام الذى تستحقه .

هذه المرأة يكرهها خطباء المساجد الذين لايحبون إلاّ امرأة واحدة هى تلك التى تنسحب من حياة المجتمع وتحبس نفسها فى البيت ، فإذا اضطرت للخروج يجب أن تحيط نفسها بكل ما يرمز إلى السجن الذى أصبح وطنا لها كالنقاب والحجاب والأساور ، والعقود ، والأطواق ، والسلاسل والخلاخل .

ومادام خطباء المساجد يحتقرون المرأة ويزعمون أن الإسلام يحتقرها. فالجهلاء الذين يصدقونهم ، يحتقرون المرأة مثلهم كثيرون .

بل لقد انضم إلى هؤلاء وهؤلاء متعلمون ساروا فى طلب العلم أشواطا بعيدة وقد قرأتم قصة المعيد الذى طلب من الجامعة أن تجعل الإشراف على رسالته الجامعية لأستاذ ذكر بدلا من الأستاذة أو تعين لمناقشته فى هذه الرسالة لجنة كلها من الأساتذة الذكور لا تخالطهم امرأة واحدة لأن المرأة ناقصة عقل ودين فلا علم يعصمها من الخطأ ولا دين يعصمها من الضلال ، وإذن فليس لها أن تكون أستاذة فضلا عن أن تكون مشرفة أو ممتحنة

فإذا كان هذا الموقف مفهوما من المتعصبين الرجال والمتعصب جاهل بالضرورة أحمق بالطبع ولو كان متعلما فهو ليس مفهوما من القانون المصرى الذى يميز بين الرجل والمرأة تمييزا لايتفق مع ما بلغته المرأة المصرية فى المجتمع المصرى ولا يتفق مع نصوص الدستور ذاتها .

ذكرت بعض الصحف أن رجلا يشتغل بالإفتاء فى بلد عربى أفتى بأن المرأة التى تعمل زانية . ونسبت إلى شيخ من المشايخ التلفيزيونيين أنه نادى بحبس المرأة فى البيت .

وفى بلادنا وظيفة تسمى المدعى الإشتراكى . . أليس من واجب المدعى الاشتراكى أن يدافع عن الدستور ويحميه من هؤلاء الذين يعتدون على مبادئه ويحرضون المصريين على إهانته (١) .

---

١ - أحمد عبد المعطى حجازى، مقال بعنوان ماذا تريد هذه الهيئات بالضبط نشر بجريدة الأهرام .

ولا أريد أن أعلّقَ على هذا الهجوم القاسى فالتعليق يتبيّنه القارىء بنفسه إنما أشير فقط إلى مدى الحماس الذى تحمسه الكاتب للدفاع عن عبدة الصور والمرابين قتلة الأنبياء ، ولايعجبه التنديد بأعمال اليهود وذكر مفاسد الفسقة منهم ، ثم يصف بعد ذلك وزارة الأوقاف بما لايليق ويعرِّض بها فى خبث ودهاء ، ثم يمتدح بعض رجال الدين المسيحى ويصف رده على مذيعة التليفزيون الجزائرى بأنه رفيع ويجب على المشتغلين بأمور الدين عندنا أن يتعلموه . ثم لايعجبه أيضا من خطباء المساجد التنديد بالمرأة المتبرجة ويصف المحجبة بأنها فى سجن من الملابس ، ولايعجبه تصرف المعيد الذى رفض أن تشرف عليه أستاذة ورغب فى أن يكون المشرف أستاذا . ويتهم ظلما رجلاً يشتغل بالافتاء قال بأن المرأة التى تعمل زانية ، ثم يطلب فى النهاية إحالة هؤلاء المشايخ إلى المدعى الاشتراكى لأنهم يخالفون الدستور؟ فهل هذا يعقل من كاتب صاحب فكر خطير ؟ وأحيل القارىء فى النهاية إلى إعادة قراءة عنوان المقال .

أما الكاتب الثانى واسمه السيد يسين فهو صاحب عمود كبير ، ظل يكتب مدة طويلة ينقل إلى عقول الحكام وعقول شباب الأمة أفكارا فاسدة يبغى من ورائها سد الطريق أمام دعاة الإسلام حتى لايكون للإسلام دور فى السياسة والحكم ، فهو يريد للإسلام أن يبعد عن السياسة والحكم كما أُبعِدَ الدين المسيحى الذى رفضت أوربا أن يكون له دولة وأقصته عن السياسة منذ قرن ، ونعرض هاهنا افتتاحية المقال الكبير الذى نشره فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٩٦ والمقال بعنوان « الحالة الدينية والوحدة الوطنية » جاء فيه :[١]

---

١ - جريدة الأهرام ، ص ١٩ ، بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٩٦ .

((ليس هناك جدال فى أن الدين نسق من الأنساق الاجتماعية الأساسية فى أى مجتمع انسانى . ومع ذلك يمكن القول إن وضع هذا النسق فى إطار البناء الاجتماعى للمجتمعات الإنسانية تغير وضعه بحسب المراحل التاريخية . فى البدء كان الدين يشمل مجمل الفضاء الاجتماعى ، ويهيمن أيضا على المجال السياسى ، ثم مالبث بعد تطور المجتمعات الحديثة ، وخصوصا فى أوروبا أن انحسر مجاله ، بعد أن أصبح الفصل بين الدين والدولة مبدأ أساسيا فى ظل العلمانية التى اعتبرت الوسيلة التى تستطيع المجتمعات عن طريقها أن تطور نفسها ، وأن تسير فى مجال الحداثة بعد التحرر من سلطان الكهنوت ، وإعلاء العقل باعتباره هو معيار الحكم على الأشياء)) .

وكان قد كتب هذا الصحفى العلمانى من قبل فى مقال له تحت عنوان « واقعية الحلول الممكنة » يطالب بأن ترفض كل أنظمة الحكم ومن بينها بالطبع نظام الإسلام وأن تكون الاشتراكية الديموقراطية هى الحل .

لقد كتب يقول : (١)

((إذا كنا رفضنا كل أنواع الشمولية الفكرية أيًا كان مصدرها سياسية كانت أو اقتصادية أو دينية ، وخصوصا تلك التى تدعى أن لديها حلولا مطلقة لمشكلات الإنسانية ، فإن القارىء من حقه أن يتساءل : ماهو البديل إذن للرأسمالية بكل جموحها، والماركسية فى التطبيق بكل تزمتها ، والإسلام السياسى بكل جموده وانغلاقه وعجزه عن مواكبة العصر ؟ وتكمن الإجابة بكل اختصار فى الاشتراكية الديمقراطية . وهى النظرية التى حاولت أن تؤلف تأليفا خلاقا بين العدالة الاجتماعية من ناحية والحرية السياسية من ناحية أخرى)).

---

١ - جريدة الأهرام ، بتاريخ ٥ / ٩ / ١٩٩٦

فانظر إلى وصفه الإسلام بالجمود والانغلاق والعجز عن مواكبة العصر ، ثم لاحظ دعوته لما يسميه بالاشتراكية الديموقراطية !! .

والجدير بالذكر أن ماقاله هذا الصحفي الذي يدعو إلى الحداثة والعلمانية جهارا نهارا وعلى مرأى ومسمع من كل المسلمين ، لم يستنكره أحد ولم يعلق عليه أحد ، لأنه في رأيي لا أحد يهمه الأمر ، ونحن هنا نعرض رأي المفكر العالمي «رجاء جارودي» الذي قاله في ندوة علمية عقدت له بجامعة عين شمس حيث قال :

((إن الحداثة نظام توصلت إليه الدول للهيمنة ، وكان نتيجته تزايد كبير للعنف البشري وتلوث الطبيعة وتلفها والإمكانية التقنية لتدميرها ، وتحولت العلاقات بين الأفراد والأمة لغابة تتناحر فيها الطموحات لتحقيق السلطة والمتعة مما ولد الرعب في العالم فالحداثة المزعومة التي تعرض علينا اليوم ماهي إلا ديانة لاتجرؤ على الإفصاح عن اسمها والدليل أن من يدعون تلقين دروس في الديمقراطية والحرية وفي حقوق الإنسان لهم جرائمهم التي تحجب عنهم أهليتهم تلقين تلك الدروس . ووجدانية السوق التي سميت بالحداثة، تدمير للعلاقات الاجتماعية والأخلاقية المحولة الإنسان إلى وحش يفترس أخاه الإنسان وهذا ما ليس في الإسلام لذلك نرفض الحداثة)) (١) .

فهل هذا الرد يكفي السيد يسين الذي ـ كما قلت ـ يضلل أفكار الحكام والشباب والساسة الكبار عندنا في مصر ؟!.. فهذا هو رجاء جارودي المفكر العالمي حديث الإسلام يرفض الحداثة لما تنطوي عليه من الكفر ومن العنف الذي يدمّر الإنسان ، بينما جعل السيد يسين ينادي بها ويقول إن المجتمعات تسير في مجالها .

ولقد حضر هذا الصحفي المؤتمر الذي عقد في الاسكندرية الأسبوع الأول من شهر سبتمبر ١٩٩٦ وكان بعنوان « مؤتمر الإنسان

١ - جريدة الأهرام ، ملحق الجمعة ، ص ١١ ، بتاريخ ١٨ / ١٠ / ١٩٩٦ .

المصـرى وتحـديات القـرن القـادم » حـضـره أربعـون من رجـال الدين الإسلامى والدين المسيحى وعدد من المفكرين البـارزين ولم يخف هذا الصحفى من فريق الدين المسيحى حقده الدفين تجاه الإسلام وأهله وراح يدعو فى تعصب أعمى لرفض شعار «الإسلام هو الحل» ونعرض فيما يلى لقطة مما جاء بصحيفة الجمهورية ، ملحق العدد الأسبوعى بتاريخ الخميس ١٩٩٦/٩/٥ بشأن الحوار الذى دار فى الجلسة :

ظاهرة إيجابية

« رصد الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئـون الإسلامية ظاهرة أنه لأول مرة يجتمع علماء الأديان حول قضية قومية هى قضية بناء الإنسان المصرى وإعداده للقرن القادم .

وتحدث عن خصوصية الإنسان المصرى التى اكتسبها على مر التاريخ والتى تتمثل فى العلاقات الحميمة مع كل رسالات السماء والتعايش المسالم وحسن المودة والتعاون مع الآخرين .

وانتقل إلى تحديد التحديات أو «العاهات» التى تواجهنا . وأبرزها الأميـة .. والتخلف عن مواكبة عصر المعلومات .

وقال الدكتور مرزوق .. لقد جربنا الرأسمالية والماركسية ولكن الرؤية الإسلامية لم تجرب .. رغم أن مشروعها الحضارى محدد المعالم .

وأضاف قائلا .. لقد فشل العلم فى إعطاء الإنسانية مبادىء القيم .. من العبث بعد الآن أن نلجأ إلى العلم .. والذين وضعوا العلم أساسا لبناء الإنسانية ضلوا وأضلوا .

وعبر عن نفس الاتجاه الدكتور محمد ابراهيم الفيومى فى بحث بعنوان : الإنسان فى رعاية الدين .

دعوة غامضـة

بينما عبر السيد ياسين عن وجهة النظر المخالفة والتى ترى الفصل بين الدين والسياسية.

وقال .. ان الذين يرفعون شعار « الإسلام هو الحل » يخلطون بين العقائد والسياسة . ويجب أن تكون عقيدتنا إتاحة الفرصة للتنوع الفكرى والحوار

الديمقراطى وإتاحة المناخ الصحى للتعددية فى حدود الدستور والقانون.

وأضاف أن الذين يطرحون هذه الشعارات « يقدمون رؤية ضبابية » غير محددة الملامح .. وأنا أسألهم : أين مشروعكم الحضارى ؟ .

إن مايجرى فى الجزائر والسودان وإيران يؤدى إلى خنق الحريات واضطهاد الإنسان .

وأنا لا أجد أى ردود محددة حول المشروع الحضارى الإسلامى بينما يجب على من يطرح نفسه على الساحة السياسية أن يقدم برنامجه الواضح لكى نتحاور حوله .

وعلى سبيل المثال .. لا أعرف كيف تطبق الرؤية الاقتصادية للإسلام فى ظل النظام العالمى القائم .. فى الوقت الذى تحتفظ البنوك الإسلامية بأموالها فى البنوك العالمية ..وتمارس نفس الممارسات الاقتصادية وهى ترتدى الرداء الإسلامى .

وحذر السيد ياسين من خطورة خلط العقائد بالسياسة .. لأن توظيف النصوص الدينية لخدمة السياسة أمر خطير .

وطالب بإقامة حوار ديمقراطى فى المجتمع المصرى تشترك فيه التيارات السياسية » .

ولقد استغرب كاتب المقال موقف السيد يسين تجاه الدين الإسلامى وهجومه على الإسلام والمسلمين ولذلك وضع لكلامه عنوان « دعوة غامضة » .

ورأيى فى مثل هذا الصحفى العلمانى يأتى كما قال الشيخ محمد الغزالى وهو يتكلم عن أصناف العلمانيين :

« هذا النوع من الناس لابد أن أقف منه موقفا فيه يقظة ، فيه صرامة لماذا ؟ لأن الأمة الإسلامية الآن فى فترة عصيبة من تاريخها ، طمع فيها من لايدفع عن نفسه ، وتربص بها كل عدو كان يخافها قديما ، فإذا تركتُ دينى تعبث به الأهواء ، وتركنا أمتنا تلعب بها

عصابات لاتعرف شيئا من دين الله ولا من دنيا الناس فإننى أكون خائناً لهذا الدين وخائناً لهذه الأمة . ولذلك فنحن نرفض رفضا باتا كل من يقف بعيداً ينبح قافلة الإسلام ويؤذى الله ورسوله ، ويتحدث بصفاقة غريبة عن الحكم الإسلامى وعن رجعيته وعن تأخره إلى آخر هذا الموضوع.نحن فى فترة من فترات الدفاع عن النفس وعن الكيان » [1].

والعجيب أن مثل هذا الصحفى لايؤاخذ علي هجومه على الإسلام، ومغالطاته المقصودة للنيل من الإسلام وأهله ولم يرد عليه أحد من علماء الأزهر بما يفند آراءه ويصحح أغلوطاته .

ولقد أصابت دعاوى العلمانية والحداثة عقول كثير من الذين يعملون فى مجال الإعلام بحيث تجد منهم من يعمل بكل مالديه من قوة لإحباط أى دعوة تنادى بالإصلاح والنهى عن المنكر ، ويصور ويا أسفاه للناس المنكر على أنه حق والحق على أنه منكر ، ولنقرأ مثلاً ماكتبه بعض الصحفيين فى جريدة الأهرام بشأن حرية المرأة واختلاط الجنسين فى الجامعات بالكويت وإقامة الحفلات العامة، والمعروف أن حكومة الكويت تعتز بوقار المرأة ولاتريد أن يصيبها من الهوس ما أصاب المرأة فى البلاد التى تسمح باختلاط الجنسين فى مراحل التعليم لاسيما التعليم الجامعى فهى لاتريد للمرأة الكويتية المهانة التى تردت فيها المرأة فى المجتمعات الأخرى حيث يباح الاختلاط هناك ويفشو الانحلال الخلقى .. كتبت الجريدة تقول :

((ولقد بدأت هذه الموجة منذ أربع سنوات بصيحات من الجماعات التى تدعى احتكار الدفاع عن الدين ومنح صكوك الغفران تنادى بإنشاء جماعات للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ولكنها لم تنجح ، ثم تسللت الى مجلس

١- محاضرات الشيخ الغزالى فى إصلاح الفرد والمجتمع ، نشر دار البشير بمصر سنة ١٩٨٩ .

الأمة .. وصارت بعدد نوابها تمثل قوة في المجلس الذى تم انتخابه فى أكتوبر الماضى .. وقبل ذلك وبعده بدأت سلسلة من الأعمال الغريبة على المجتمع الكويتى .. ومنها إطلاق الرصاص على محل كوافير لأنه يتعامل مع النساء ، وإطلاق النار على متجر أزياء لأنه يضع فى الفترينات الزجاجية دمى يعلق عليها الملابس ذلك أن هذه أصنام يعبدها الكفار! واطلاق النار على متجر ليلة رأس السنة منذ ـ أيام ـ لأنه وضع شجرة عيد الميلاد مضيئة فى مدخله ..

(لاحظ خبث الكاتب هنا فى إلصاق أعمال العنف بالمسلمين المعتدلين لتشويه صورتهم النظيفة) .

ليس هذا فقط بل امتد التيار الى محاولة استصدار تشريعات معينة ، فقد قدم ٢٢ نائبا فى جلسة مجلس الأمة الثلاثاء ١٧ ديسمبر الماضى مشروع قرار بالغاء الحفلات العامة من الفنادق وغيرها من الأماكن العامة .. والا تقوم جهة حكومية بدعوة فرق فنية .. لأنها مدعاة للفسق والفجور .. كما طالبوا بالغاء الاختلاط فى الجامعة بين الطلاب والطالبات .. وبعد مناقشات أصدر المجلس توصية بالمطلبين ، أى أصبحت الحكومة مطالبة بتنفيذهما ..

.. (وهل المطالبة بمحاربة الفسق والفجور وإلغاء اختلاط الجنسين فى الجامعات شيء قبيح يعاتب عليه من يطالب به ؟)

وغير هذا تمكن هذا التيار من الضغط والتهديد حتى تم رفع فيلم « الارهابى » للفنان عادل إمام من دور السينما .. كما ضغط وفلح فى رفع فيلم « النوم فى العسل » لعادل أيضا الذى أصبح معترضا عليه لمواقفه من الإرهاب فى مصر ، مما يدل هذا وغيره على أن هناك صلات وقنوات بين الجماعات فى مصر والكويت وفى غيرهما من الدول ، مما يقطع بأنها كلها شبكات تصنع نسيج « الظاهرة الدولية للإرهاب » التى تحركها قوى لاتريد الاستقرار والخير لهذه الأمة العربية ..)) (١) .

---

١ - جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٧ / ١ / ١٩٩٧ ، ملحق الأهرام ، ص ٩ .

مثل أصحاب هذه الأقلام المستهترة المضللة يجب إبعادهم عن مجال الإعلام فهم لايكفون ليل نهار عن تحسين صورة الباطل لدى الحكام والمسئولين ، ولهم فى ذلك سحر عظيم لأنهم أصحاب أقلام ، وأساليبهم تنطلى على الناس فيظن الناس أن مثل هؤلاء يجب أن يوثق فيهم وفى كلامهم ، ولكن البعرة تدل على سير البعير فإذا كان مسلكهم هذا يفضح سريرتهم فلا شك أن ماخفى منها كان أعظم .

وناهيك بعد ذلك عما يكون فى باقى الصحف والمجلات من سخف لايليق بمجتمع المسلمين ولايصور شيئا من حضارة الإسلام اللهم فى القليل النادر ، ويشغل مساحات متواضعة من الصحيفة أو المجلة إذا قورن ذلك بمساحات الكرة والإعلانات وأخبار الفنانين والفنانات التى دائماً تفوز بنصيب الأسد .

العلمانية فى الإذاعة المرئية والمسموعة :

الإذاعة من أعظم نعم الله على الإنسان ، وكذلك التليفزيون ، ولكن متي ؟

إن الإذاعة المسموعة لايكاد يستغنى عنها الإنسان فهى أصبحت من مستلزمات عصرنا ، وكان من الممكن أن تسهم بالنافع المفيد ، إذا خرجت عما هى عليه الآن إلى تناول مشكلات المواطنين والعمل على توصيل كلامهم لحل مشاكلهم ، وهى مع هذا تصنع من البرامج والمسلسلات مايوجه أساسا للارتقاء بالنفس البشرية ، أما الإسراف فى إذاعة الموسيقى ، والغناء ، والمباريات والبرامج التافهة ، والمسلسلات الإذاعية التى لاتكف عن عرض حالات الإجرام بحجة أنها تقاوم الجريمة ، وما إلى ذلك من فلسفات مهينة تدل على ضحالة فكر المبرمجين والقائمين على أمر هذه الهيئة العامة ، ونحن إذا ماعرضنا

مايتم إذاعته يوميا سوف نتبين أن ٩٥ ٪ منه لغوٌ والباقى هو المفيد ، وقد أمرنا الله بالبعد عن اللغو ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ وجعل البعد عنه سبيل الفلاح والنجاح فى الدينا والآخرة ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلاّ أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر لله » رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب (١) .

وقد يقول قائل : إن هناك إذاعة القرآن الكريم تعمل ليل نهار ، قلنا: نعم وهو نعم العمل ، ولكننا نطلب من الإذاعة العامة الاعتدال ، وعدم الإسراف في إذاعة التفاهات وإذاعة الحرام . والاتجاه بالبرامج والمسلسلات من الأخبار والأحوال العامة إلى ماهو مفيد وإلى ماهو حلال.

أما الإذاعة المرئية (التلفاز) :

فهى أيضا نعمة من الله عز وجل إذا ما اتجهت إلى مايفيد الناس ويتبع الحلال ، لاسيما أننا دولة إسلامية دينها الإسلام ، فإن ذلك يكون محمودا لها ، أما عرض السفاسف والأفلام الهابطة والرقصات الشائنة وغير ذلك من البرامج والمسلسلات التى تندى عرق جبين الأب أمام أولاده وبناته، فإن ذلك يكون هو الحرام بعينه ، ولاننس أن « التلفاز » أصبح فى كل مكان ، وأصبح فى البيوت وجعل يشارك رب البيت وظيفته فى تربيته الأولاد وكذا يشارك ربة البيت فى أمر تربيتها للأولاد ، وإنا لنجد أن الحلال فيه قليل ، والسطوة فيه للحرام ، كيف وقد أصبح التلفاز بمرتبة الناصح والمربى ، وله خطورته على الطفل بوجه خاص ،

---

١ - الترمذى ، الجامع الصحيح ، ج ٤ ، ص ٦٠٨ .

وأطفالنا وشبابنا هم عدة المستقبل وأمل الأمة ، وهم أيضا هدف العدو وهدف كل من لايريدون لنا الخير .

إننا نجد القائمين على أمر التلفاز يخططون لبرامج فاشلة تدعو للإباحية ، ولاتعرف عيباً حرّمه الدين ، ولاتستر عورة نهى عنها الشرع ، وتنفق المليارات على هذا المسخ ، وهم قد تفننوا فى ذلك بما لايمكن أن يصل إليه عدو المسلمين نفسه ، ويجعلون من أوقات التشغيل والبث ، دقائق معدودة ، لبث الخير أو لقراءة القرآن ، ذراً للرماد فى أعين الناقدين.

لقد كانت السينما أهون ألف مرة من التلفاز ، لأنها كانت محدودة ، وفى أماكن محدودة ، أما اليوم فقد صارت الشاشة الصغيرة تنقل لنا فى الأغلب الأعم قمامات الداخل ، وتجلب إلينا قمامات الخارج ، مما نتج عنه فساد النفوس وتفكك الأسر وتفشى الجهل وعقوق الأبناء وعقوق الآباء أيضا حتى آثر بعض الناس أن يريحوا أنفسهم من شره فحرموه على بيوتهم .

لقد اخترعت أمريكا تحت ستار « الدولية » وعن طريق « الأمم المتحدة » شيئا اسمه « التربية الأساسية » ، وأنشأت « المركز الدولى للتربية الأساسية فى العالم العربى بسرس الليان (منوفية) » ، لِمَ ؟ لأن كل الوسائل والأساليب التى يستخدمها الغربيون لفرنجة الريف المصرى ، من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية واجتماعية وسينما وشراء للأفلام وللذمم وللرجال إلى آخر ماهنالك ، كل ذلك لايصل إلى الريف ولايتجاوز حدود المدن (١) .

---

١ - د. محمد محمد حسين ، حصوننا مهددة من داخلها ، ص ٢٠ .

أما الآن فقد وجدت أمريكا وأوربة فى جهاز « التليفزيون » ضالتهما المنشودة ، فهو يوفر عامل الوقت والسرعة مع إصابة الهدف لأن التلفاز أصبح صديق العائلة الدائم ، فهو المتكلم وهو الناصح وهو المسلى وهو المربى أيضا ، لأن الوالدين غالبا مايكونان فى العمل ولايتفرغان لتربية الأولاد ، ومن ثم فهى فرصة عظيمة لتدمير عقلية الطفل المسلم ولتمييع معنى الإسلام فى نفوس الأبناء .

ولتنشط الصهيونية أيضا ، لأن «التليفزيون» يقدم خدمة جليلة لهم من هذه الناحية ، إنهم أيضا وجدوا فيه ضالتهم المنشودة التى تعمل على تفريغ الدين من قلوب المسلمين ، وتصفية عداوتهم للصهيونية عن طريق اللهو واللغو ، بالبرامج والمسلسلات لمحو الهوية الإسلامية . وهنا يبدأ التخطيط لتحقيق الحلم الكبير من النيل إلى الفرات ، واطمئنوا فلن يكون هناك مقاومة لأن الشعب مخدور بالكرة والموسيقى والأغانى والمسلسلات والإعلانات والرقص والمسابقات .

ولعل مافاجأتنا به الصحف اليومية بنشر فضيحة الشباب الذين وقعوا فريسة للمسلسلات الهدامة والإعلانات الماجنة وهوس التلفاز وهم مايعرفون باسم جماعة الشيطان أو عبدة الشيطان ، هو أكبر دليل على فساد الإعلام المصرى ، وقد أثبتت التحقيقات ذلك ، نذكر منها ماجاء فى صحيفة الأهرام (ملحق الجمعة) بتاريخ ١٩٩٧/١/٣١ حيث ذكرت الصحيفة تقول :

« ان هناك أمرين فى غاية الأهمية : أولهما أنهم ضحايا التقصير الأسرى فلا يوجد أدنى درجات الرقابة فى هذه السن الحرجة فأغلبهم من الطبقات الراقية فى المجتمع وتلك الحرية من أهم مقومات الحياة العصرية والتقدم ،

فالسهر حتى الصباح مع تعاطى المخدرات دون أن يشعر أحد بذلك كما يقولون، وتحويل دور الأم والأب إلى مجرد بنك مهمته إعطاء المصروف بدون حساب أو رقابة ، مع توفير كل عوامل الرفاهية كشراء أحدث ماركات السيارات لمثل هذه السن ، مما جعل تلك الأمور فى مجملها أحد أسباب الفراغ الفكرى نتيجة لتوفير كل شىء مع عدم وجود هدف يسعون إليه لتحقيق ذاتهم ، مع غياب الوعى الدينى سواء من الأسرة أو نظام التعليم الذى يجعل التربية الإسلامية خارج المجموع ، ورغم أن آباء وأمهات هذه الطبقة مشاهير بل وأغلبهم يجيدون اللغة الانجليزية فمن السهل عليهم معرفة ماتحتوى هذه الشرائط من أغان يسمعها أبناؤهم وكان يمكن اكتشافها بسهولة داخل بيوتهم ولكنهم لم ينشغلوا إلا بلمعان أسمائهم فى سماء الشهرة حتى شاركهم أبناؤهم تلك الشهرة ولكنها من نوع آخر ، أما الأمر الثانى فهم ضحايا الغزو الثقافى القادم عبر الأقمار الصناعية والدش الذى يبث الكثير من تلك الأفكار المتطرفة لعبدة الشيطان والتى يصورونها بطريقة مثيرة جداً تجذب إليها الشباب ، فى الوقت الذى عجز الإعلام المصرى فى استقطابهم بل وزاد الأمر فى مساهمة التليفزيون المصرى فى تأكيدها حيث تم إذاعة فقرات فنية وغرائب عبدة الشيطان حوالى خمس مرات خلال عام ١٩٩٦ فى برنامجى العالم يغنى واخترنا لك مما جعل هؤلاء الشباب يتصورون أن الإعلام المصرى يعطى مشروعية لهذه الأفكار من خلال إذاعتها وإضافة إلى ذلك نجد أن البرامج الدينية تذاع فى أوقات ميتة ولايشاهدها أحد » (١) .

والغريب أن أحداً لم يوجه لوماً للمسئولين عن تلك البرامج أوغيرها، ولم نسمع عن أحد يطالب الحكومة بوقف هذه المسلسلات أو

١ - جريدة الأهرام ، ملحق الجمعة بتاريخ ٣١ / ١ / ١٩٩٧ الصفحة السابعة .

البرامج الهدامة ، سواء من مجلس الشعب أو مجلس الشورى أو المدعى الاشتراكى أو الأزهر كما لم تطالب أى جهة مسئولة تشديد الرقابة على ماسوف يتم عرضه على الجماهير من برامج ومسلسلات « التليفزيون ».

إن الأولى والأجدر بالمسئولين عن سياسات الإعلام أن يوجهوا عدسات التلفاز إلى أماكن الفائدة ، كأن ينقلوا لنا عن طريقها النافع المفيد من أخبار وطننا العزيز فالأماكن السياحية لدينا كثيرة والحديث عنها لاينتهى والطبيعة لدينا غنية ثرية لايمل أحد من أن يملأ عينيه من مواطن الجمال فيها ، والمصانع فى بلادنا كثيرة ومتنوعة والتعرف على انتاجيتها شيء يستميل العقل والفكر والحماسة ، ونحن لايأتينا من كل ذلك إلا القليل النادر ، كذلك فإن مجالس العلم والمناظرات ـ والعلماء لدينا كثير ون ـ لايتاح لها من وقت الشاشة الصغيرة إلاّ دقائق لاتكفى حد الإشباع ، أما الأغانى والأفلام والمسلسلات والإعلانات الهابطة فلها نصيب الأسد فى كل قناة . ولانستطيع تعليل ذلك ، إلاّ بالفقر الثقافى لدى أولئك المخططين لبرامج الشاشة الصغيرة وانحرافهم عن جادة الحق .

إنّ بلادنا عريقة فى المجد ، غنية بالتراث ، فهل ضاقت على أولئك السبل فلم يعرفوا غير عرض المسلسلات الضارة والتى تتكلف الملايين ، ولمصلحة من ؟ وأين الرقيب المحاسب على هذا السلوك الشائن ؟ أما يستحيون من الله عز وجل من عرض الرقصات وهوس الموسيقى ، وجنون الإعلانات ؟! ، ثم بعد ذلك نشكو من عقوق الأبناء وانعدام الثقافة ، وذهاب اللغة وانحطاطها وانتشار الجرائم .

إن أمتنا تواجه تحديات كثيرة الكل يعلمها ، والحرب شئنا أم أبينا مفروضة علينا ، ويجب أن ننتبه لذلك فالعدو بالمرصاد ، فهل من العقل

أن نصب كل يوم كل هذا الفســاد المنبـعث من الموسـيـقى والرقص والكذب المنظم فى هيئة المسلسلات أو الأفلام أو المسرحيات ، نصب كل ذلك فى آذان أبنائنا وعـيـون شبـابنا الذين هم أمل الأمـة ، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **إن السـمـع والبـصـر والفـؤاد كل أولئك كـان عنه مسئولا** ﴾ ؟ الإسراء ـ ٣٦ .

إن وسائل الإعلام ينبغى أن تواكب حركة الإسلام وتعمل جميعها على إعـلاء كلمـة الله ، بنشـر العلم النافع وتربيـة الأبناء على الذوق السليم وتعليمهم سماحة الدين ، مع تنظيف برامجها من تلك القمامات التى تؤذى الحواس السليمة .

- العلمانية والدعوة إلى العامية :

لعل موجة الحداثة التى طرأت على بيئة العرب وهى ماتسمى أيضا بالتنوير ، ارتضت أن تنقل لنا لغة الغرب كما هى إلى لغتنا العربية فنجد مثلاً كلمة « التليفزيون » و « الفيديو » و «البلدوزر» و «الكمبيوتر» ، وكذلك أسماء كثيرة فى عالم الطب كالأمراض السرطانية المنتشرة عندنا وعندهم ولم تكن موجـودة فى أسلافنا نقلوا كل ذلك مع مـانقلوه من علوم الغرب ، وإلى عـهـد قريب كانت الأجيـال تجـهـز للمـصطلحات الوافدة من عند الأجانب مايليق بها من جانب الألفاظ والكلمات العربية وكان المتعلمون لايجدون صعوبة فى تجهيز المسميات لإطلاقـها على المخترعات والأجهزة آنذاك ، فجعلوا للتليفـون : لفظ المسرة أو الهـاتف ، وجعلوا للراديو: المذياع ، وللأوتومبيل: السيـارة، وللأوتوبيس : الحافلة ... وهكذا ، أما فى حاضرنا ومع جيل المدارس الحكومية فقلمـا نجد لدى المتعلمين فى المجالات التخصصية المختلفة مايحل محل الألفاظ

الأجنبية ، بل إن المجمع اللغوى نفسه اعتمد فى معجم الوجيز كثيرا من الألفاظ الأجنبية ولم يجد غضاضة من ادخالها إلى اللغة العربية ومنها على سبيل المثال لفظ « التلفاز » وكان يمكن الاستعاضة عنه باللفظ العربى المماثل وهو « الجهير » أو « المرئى ».

وكان المسلمون الأوائل يكرهون أشد الكره أن تتفشى فيهم العجمة والرطانة البعيدتان عن لغة القرآن وأهله .

ولقد كان حافظ إبراهيم رحمه الله يتوجع من أولئك الذين يصفون اللغة العربية بأنها صعبة أو أنها لاتفى بالمسميات اللازمة لمستحدثات العصر ، والعيب ليس فى اللغة وإنما فى ضعف أصحابها فى معرفتها والإلمام بها فكان يقول على لسان اللغة العربية :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى	وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وياليتنى	عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وَلَدْتُ فلما لم أجد لعرائسى	رجالا وأكفاءً وأدت بناتى
وَسِعْتُ كتاب الله لفظا وغاية	وماضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ	وتنسيق أسماءٍ لمخترعاتِ
أنا البحر فى أحشائه الدُّر كامنٌ	فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

وكان علماء الأمة رحمهم الله فى صدرها الأول على وعى كامل بأثر اللغة فى تكوين الأمة، وخطرها فى بناء شخصية المسلم ، ولذلك حرصوا حرصاً شديداً على لغة القرآن والسُّنَّة ، وشددوا النكير على من حاد عنها إلى غيرها واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ولهذا نقول : ينبغى لكل أحد يقدر على تعلم العربية : أن يتعلمها,

لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوباً فيه ، من غير أن يُحرّم على أحدٍ أن ينطق بالعجمية .

وكانت الدعوة إلى العامية قد ظهرت كالرجس النجس ، وتولّى كبرها أحمد لطفي السيد ، فدعا إلى تمصير اللغة وإلى كثير من الهراء تعرفه متى طالعت كتاب الأستاذ محمود شاكر «أباطيل وأسمار» في المقالة الحادية عشرة ومواضع أخر في هذا الكتاب الجليل ، وأيضا تتضح لك صورة الدعوة إلى العامية وتاريخها في كتاب « تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر » ، للدكتورة نفوسة زكريا سعيد ، وهو الكتاب الذي قال فيه الأستاذ محمود شاكر : « لو كان لي من الأمر شيء ، لأمرت أن يُطبع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب وشابة ، وكل رجل وامرأة ، ويكون له مختصر ميسّر لكل من مكّنه الله من القراءة (١) .

والعاميّة ظاهرة في كل اللغات ، وهي لازمت العربية منذ أقدم عصورها دون أن تزحزحها عن ميدانها الأدبي ، وكان اهتمام العلماء القدامى بدراستها جزءاً من اهتمامهم بالفصحى .

لكن هذه الظاهرة ـ أي : وجود الفصحى والعامية في اللغة العربية ـ اعتُبِرت في عصرنا مشكلة أرجع إليها أسباب تأخر أبناء العربية ، واقترِح لحلّها اتخاذ العامية لغة للأدب والكتابة حتى تكون لنا لغة واحدة للحديث والكتابة .

قد تبدو هذه الدعوة غريبة في ذلك العصر الذي نعتبره عصر إحياء للغة العربية ، والذي نرى فيه القومية العربية تزداد تماسكاً وترابطاً .

---

١ - أباطيل وأسمار ، لمحمود محمد شاكر ١٥٤ .

ولكن هذه الغرابة لاتلبث أن تزول عندما نعرف أن مصدر هذه الدعوة أجنبيّ ، كما اتضح من دراسة الكتب الأجنبية التى تناولت دراسة اللهجة المصرية ، وخاصة ماكان منها فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى فى مصر » (١) .

ولقد استشرى اللحن فى كلام الناس ، وأصابت ألسنتهم لُكْنَة يضيع معها البيان وفهم الكلام، وربما وصل الأمر إلى مذيعى البرامج فى ا لإذاعة والتليفزيون ، ونكتفى بعرض بعض شكاوى الجماهير التى قدمها السيد الأستاذ أنيس منصور فى عموده الأخير بجريدة الأهـــرام « مواقف » بتاريخ ١٩٩٦/١٢/١٧ جاء فيه :

الأستاذ العلامة ..

« أنا شيخ جاوز الثمانين ، ولايعجبنى الحال المايل !! ماذا جرى ياسيدى للغتنا العربية الجميلة ؟ وقد بددها على هذا النحو المستفز جماعة المذيعين والمذيعات ، وكأننا نحن المستمعين والمشاهدين من كوكب آخر . لقد فقدت اللغة حلاوتها فأصبحت عديمة المذاق .. انهم يأكلون حرف (الراء) عامدين ويقولون (عشين) يوما .. أى عشرين و (الكوات) تقصد الكروات و (المشوعات) أى المشروعات ووزارة (الصقافة) يعنى الثقافة و (متار) القاهرة أى مطار ودولة (أزبانيا) أى اسبانيا » .

نصر حبيب البياضى

رسالة أخـــرى :

« واضح من قراءة نشرة الأخبار لثقافات المذيعات .. فواحدة تنطق الأسماء باللهجة الفرنسية وواحدة تنطقها باللهجة الانجليزية وواحدة ثالثة بلهجة

١ - تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر للدكتورة نفوسة زكريا سعيد ٨ .

(فلاحى) .. لامانع من النطق بلهجات مختلفة ولكن المهم ألا يكون النطق خاطئا .. وهذا هو الأغلب . قل لهم كلمة يا أستاذ .. أنت قلت كثيراً جداً : فقل كمان عن النطق وعن التسريحات العجب ! »

د . عثمان حسنين كاظم

ولست أرى مسئولاً عن هذا الفساد الذى أصاب اللغة العربية ، إلاَّ وزارة التربية والتعليم ووسائل الإعلام وهل من محاسب ؟! .

العلمانية والتعليــــم :

كان التعليم فى الماضى يسير على نهج الحفظ للقرآن الكريم مع الحديث والأدب شعره ونثره مع شىء من الفقه ، ونصوص من العربية إلى جانب بعض الفنون المصاحبة لهذه المواد الأساسية .

ولما حدث أن أتى نابليون بونابرت بقواته العسكرية ونظامه الأوربى المتسلح بالبارود أسقط فى أيدى العرب المسلمين الذين واجهوا هذه القوة العاتية التى لاقبل لهم بها ، إنها قوة البارود وهدير المدافع التى تصيب أهدافها من بعيد وتهدم المنازل والمبانى بالجملة وتثير فيها الفزع والموت والحريق وتحيل المكان إلى جحيم مستعر .

من ها هنا وقعت عقدة الانبهار واستقرت فى نفوس العرب المهزومين أمام قوة البارود الذى تقذفه البنادق والمدافع النابليونية .

ومع تلك الهزيمة أمام قوات نابليون شعر العرب بالمهانة ، حيث لم تستطع تركيا حمايتهم ورد الغارات عنهم .

ومن يومئذ خرجت الإرساليات تسعى لنقل حضارة أوربة ومن يومئذ

ودول الغرب المتقدم فى العلوم تطلب من بلادنا تغيير المناهج لتسير وفق مايريدون ولبئس مايريدون .

ومن يومئذ والغرب المتغطرس الحاقد يفرض شروطه ويستغل تفوقه فى الكيد للإسلام وأهله ، وجعل يوهم القائمين على أمر التعليم بأن مناهجهم غير صالحة ، ويتفاخر على الشرق الإسلامى بتفوقه العلمى المادى . حتى استجابت الحكومات لتغيير المناهج التعليمية في مدارسنا ، وأذعنت لطلبات علماء الغرب فى التوصيف والتعديل وكأن ليس لدى الأمة علماء ، حتى وصل التعليم إلى ماهو عليه الآن . وحذف معظم القرآن من المناهج ، وتخففت المناهج من الحديث النبوى الشريف والشعر واللغة حتى صارت كخيوط العنكبوت . واستعيض عنها بمواد أخرى دخيلة هى من علوم الغرب ومواده إلى جانب الاهتمام بالأنشطة ، وانمحى مع كل ذلك تدريس الخط العربى، وأصبح التحصيل العلمى لدى طلاب التعليم الأساسى خاليا أو يكاد من حفظ القرآن ونصوص الحديث واللغة ، فإذا كتب الطالب لم يحسن ، وإذا قرأ لم يحسن ، وربما أقبل الطلاب على دراسة لغة الأجانب من دول الغرب المتحضر ، وربما أيضا تفاخروا بأنهم يجيدون الإنجليزية أو الفرنسية أحسن من اللغة العربية ،كأنهم أحرزوا نصيبا من الحضارة ، ونظرا لكثرة مانقل مفكرونا من حضارة الغرب الزائفة ، استشعر بعض الناس عندنا فى نفوسهم أن الغرب أقوى دائما فى كل شىء حتى صار الأمر إلى اتهام مناهجنا بالعجز والفشل ، لأنها تخلفت صناعيا وماديا فلم تنتج الطائرة والباخرة والقاطرة ، وصرنا نتهم أنفسنا ونصفها بالتقصير ونرميها بالاحتقار خصوصا بعد أن وجدنا أنفسنا مقلدين لمناهج الغرب فلا نحن حفظنا القرآن وتعلمنا لغته ولا حافظنا على تراثنا ولانحن سايرنا الغرب

وتعلمنا علمه ، وكانت النتيجة الخروج من الساحة والعودة بخفى حنين.

وعلى أية حال لايجب أن ننظر إلى الوراء ونظل نندب مافات ونندم على ماكان ، فلا يزال المستقبل فيه متسع لنا ولابد أن نستفيد من التجربة ، تجربة المائتى عام ، من سنة ١٧٩٨ إلى ١٩٩٧م . ولنتذكر دائما قول نبينا الكريم ﷺ : « من أوتى القرآن ورأى أن غيره أوتى أفضل منه فقد حقَّرَ ماعظَّم الله » . فلنعد إلى منهجنا القويم الذى لايزال متبعاً فى التعليم الأزهرى حتى الآن ، وهو التعليم الإسلامى الحق الذى يضمن لأمتنا سلامتها وترابطها وأمنها وكرامتها .

جنايات المدرسة : « من رأى محمد إقبال ، أن التعليم الحديث قد جنى على هذا الجيل جناية عظيمة إذ اعتنت بتربية عقله ، وتثقيف لسانه ، ولم تعتن بتغذية قلبه ، واشعال عاطفته ، وتقويم أخلاقه ، وتهذيب نفسه ، فنشأ جيل غير متوازن القوى ، غير متناسب النشأة ، قد تضخم وكبر بعض نواحى إنسانيته وحياته على حساب بعض ، وأصبحت المسافة بين ظاهره وباطنه ، وعقله وقلبه ، وعلمه وعقيدته ، مساحة شاسعة » (١) .

« ان الدعاية الجبارة التى قامت فى بلادنا الشرقية ونشطت لتمجيد التعليم ولفن القراءة والكتابة بتعبير أصح ، وماظهر من المبالغة والاسراف، والخيال الشعرى فى قيمة الثقافة والتعليم العالى ، والتصوير البشع الذى صورت به الأمية فى كل حال ، والازدراء والسخرية بالأفراد الذين لم

---

١ - أبو الحسن الندوى ، نحو التربية الإسلامية الحرة، ص ٣٥ ، المختار الإسلامى للطباعة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

تمكنهم الفرص من تلقى التعليم الجامعى ، كل ذلك أضفى على التربية والتعليم وعلى الثقافة نوعا من القدسية والروحانية ، وجعل الناس يغضون النظر عن حقائق كثيرة وعن عيوب ومواضع ضعف فى الطبقة المثقفة في بلادنا ، وأصبح كثير من المغرورين يفضلون المتعلم المجرم اللئيم على الأمّي المستقيم الكريم ، ويفضلون العصر الذى انتشر فيه فن القراءة والكتابة وانتشر التفسخ الخلقى، والبلبلة الفكرية والتشكك فى المقررات والمسلمات والحقائق والبديهيات ، وتشاغل الناس فيه بأنفسهم وأولادهم وفقدت الغيّرة الدينية والخلقية وأصبحت المادة آلة الجميع ، أصبح كثير من الناس يفضلون هذا العصر على جميع علاّته على عصر توفرت فيه جميع الفضائل الدينية والخلقية على قلة نسبة المتعلمين وندرة المثقفين ، وانحصار فن القراءة والكتابة فى نطاق محدود ، وما ذلك إلا لخضوع هؤلاء لهذه الدعاية السطحية التى استخدمت لتهويل شأن التعليم والشهادات العلمية . انه تفكير سطحى يجب أن يترفّع عنه أحرار الفكر وأصحاب الرسالة والمؤمنون بقيمة الأخلاق والأعمال الصالحة والمميّزون بين الوسائل والغايات » (١) .

والأمة ترى بنفسها وتلمس عن كثب مدى الخسارة فى هذا التعليم التربوى ا لفاشل فى المدارس الحكومية ، والذى كلّف الدولة فوق طاقتها ولايزال معوجاً لايستقيم له حال ، وكانت النتيجة فوضى فكرية عظيمة واضطراب وتناقض فى الأفكار وشك وارتياب فى الدين ، واستخفاف بمعنى الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، وضعف فى الأخلاق مع لكنة فى اللسان العربى وانحسار لكلمات اللغة ومعانيها وأساليبها ، فلا تكاد تسمع لأدباء أو لشعراء كأمير الشعراء أو شاعر النيل ، أو طه حسين أو

١ - المصدر السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

العقاد أو غير أولئك . ثم فى النهاية ضَعْفٌ ثقافىٌّ مقيت لايليق بنا نحن المسلمين.

• فلنكن واقعيين ولنحكم على التعليم الراقى وعلى الثقافة الغربية الحكم الصحيح الدقيق ، المؤسس على التجارب والحقائق ، ولاننظر إليها كالدواء الوحيد ولا ندين لها بالعظمة والتقديس ، ولنضبطها بعناصر مقومات تنفى عنها عوامل الضرر والإفساد ، ودواعى الزيغ والإلحاد والاتجاه الزائد إلى الميوعة والتحلل ، والاضطراب والتشكك فى كل شىء، ولنكيفها مع عناصر ثقافتنا وشخصيتنا الإسلامية ، وطبيعتنا العربية الشرقية ولنخضعها لرسالتنا العالمية الخالدة ومبادئنا ونجعلها جندا من جنودها .

و (لا إكراه فى الدين) وتاريخ الإسلام لايعرف محاكم التفتيش ووسائل التعذيب التى امتازت بها القرون المظلمة فى أوروبا ، ولكل واحد أن يختار لنفسه مايحب من الآراء والنظريات ، ولكن لايسمح بنشر الفوضى وبذر بذور الشك والضعف وفقد الثقة بالمبادىء والأسس الإسلامية ، ولا يؤذن بنشر الدعاية للقوى المعادية والمنافسة وللمعسكرات الأجنبية فى عاصمة الإسلام وفى حصن الدعوة وفى ثكنة الجيش الإسلامى ، فمن لم تطب نفسه ولم ينشرح صدره للعقيدة الإسلامية ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإمامته الخالدة العالمية وفضل تعاليمه، ومن آمن بالفلسفات الأجنبية ، واقتنع بها وتحمس لها فليس له محل من الحقيقة فى المجتمع الإسلامى ولايجوز أن تتاح له الفرص وتهيأ له الوسائل فى توجيه العقول وتربية النفوس ولايصح أن تقدم له أفلاذ أكباد هذه الأمة المسلمة وخبرة شبابها ليصنع من هذه الفطر

السليمة التى هى من أكرم ذخائر العالم الإسلامى وأنفس ثرواته وأكثرها استعداداً للنبوغ مصنوعات لاتنسجم مع العقيدة والدعوة التى قامت عليها وعاشت لها هذه الأمة منذ أكثر من ألف سنة » [1] .

نـداء الوقت وحاجة العالم المعاصر : وقد شعر بضرورة ذلك بعض علماء الغرب المنصفين، فقال أحد كبار أساتذة الإسلاميات فى أمريكا Charles L . Gedder فى كلمته التى ألقاها فى ١٣ مايو عام ١٩٦٦م فى كراتشى : « ان الإسلام يملك جميع الخصائص التى تستطيع أن تنشر السلام والانسجام فى العالم ، إن الغرب يؤمّل من المسلمين الذين يحملون الدين الذى أنزله الله ، وكان لهم ماض مجيد مشرق أن يقدموا مبادىء الحياة وفلسفتها إلى الغرب، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التى عينت لهم فى عالم الغد . وذلك لايكون إلا بانشاء الجيل المؤمن المثقف ، الذى يجمع بين العقيدة والعلم ، ويؤمن بخلود رسالته وصلاحيتها لكل عصر ومصر ، وأنها هى المنقذة للعالم من النهاية الأليمة التى ترتقبه ، ومن المستنقع الذى يتردى فيه .

وذلك لايمكن كما لايخفى إلا بوجود نظام للتربية والتعليم ، يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة ، وبين قوة العاطفة واشراق الروح ، والتهاب جذوة الإيمان ، وبين العلم الواسع والفكر النيّر ، ومعرفة أحدث ماوصلت إليه الأجيال البشرية من تجربة واكتشاف .

ولابد من بدء عملية تطوير المناهج لهذا الغرض ، وسبك منهج تعليمى جديد ، يتغلغل فى أحشائه الإيمان بالله ، ويسيطر على جميع فروعه وجزئياته ، فى الأوساط العلمية فى الشرق [1] .

١ – المصدر السابق ، ص ٥٥ .

١ – المصدر السابق ، ص ٣٤ .

الازدواجية والانفصالية فى التعليم :

من الأمور التى تستحق منا الدهشة والغرابة انفصالية التعليم التربوى، ثم ازدواجيته فى معاهد الأزهر الشريف ومدارسه ، فالطالب فى مدارس الحكومة التربوية يدرس المنهج الذى وضعته وزارة التربية والتعليم وهو دائماً غير مستقر وحين يقبل الطالب فيه على الانتهاء منه فى آخر المرحلة الثانوية العامة ، يجد نفسه أمام شىء بالغ الصعوبة وماذاك إلا لأنه لم يبن على أساس متين ، أما تعليم مدارس الأزهر ومعاهده فالنظام هناك مستقر منذ زمن رفاعة رافع الطهطاوى ، إنما قد حدث فى عصر الثورة أن أضيف إليه منهج المدارس التربوية فأصبح الطالب الأزهرى يدرس علوم الأزهر مضافاً إليها علوم المدارس التربوية ، ولا أحد يحتج ولا أحد يتظلم ، فالفترة الدراسية واحدة للنظامين التربوى والأزهرى لكن الطالب الأزهرى يتحمل عبء المنهجين جميعا ، والشىء الذى يثير العجب أن إدارة المعاهد الأزهرية والمسئولين عن وضع المناهج يقبلون ذلك على طلابهم ويحملونهم فوق طاقتهم وكأن شيئاً لم يحدث . ثم فى النهاية يكون ترحيب الوظائف الحكومية بخريج مدارس الحكومة وخريج الجامعات ولايكون كذلك بالنسبة لخريجى المعاهد والجامعات الأزهرية ، وليس هناك أى ميزة ينالها هذا الخريج الأزهرى بالنظر إلى مايتحمله من كل ذلك العبء الدراسى الذى يتطلب منه الحفظ الكثير مما يجعله من الناحية العلمية أرسخ وأثبت من الطالب خريج المدارس والمعاهد الحكومية التربوية .

خطر العلمانية على التعليم التربوى فى مصر :

قلنا إن معنى العلمانية تهميش الدين والإيمان بالمادة وبكل ما هو محسوس ملموس ، ونحن إذا نظرنا إلى مناهج الدين فى مراحل التعليم قبل الجامعى نجد أن مادة التربية الدينية لاتضاف إلى المجموع وفى هذا تهميش واضح للدين فى أخطر المراحل التعليمية، كذلك فإن مادة اللغة العربية تتقلص درجتها بالنسبة لباقى المواد التعليمية، أما الخط العربى - وهو من الدين - فمهمل تماما وليس له معلم متخصص كما كان فى نظام التعليم القديم ، ولذلك نجد خطوط معظم الطلاب رديئة ولا يحسنون الكتابة ويخطئون فى أكثر قواعد الإملاء، واللغة والخط كما نعلم من أساسيات التربية الدينية ، فلا حفظ جيد للقرآن ولا مستوى لائق فى اللغة ولا كتابة حسنة فماذا بعد كل هذا ؟

ثم إن الأنشطة التى تطلب من التلميذ فى هذه المرحلة أنشطة كثيرة مع زحام مختلط من المعلومات لايتفق والمدة الدراسية المعتمدة للعام الدراسى بفصليه، وهذا كله يمثل عبئا على الطلاب يمنعهم من الحس اللغوى والمهارة فى صوغ العبارة مما أدى تكوين إحساس داخلى لدى الطالب بأن يجعل همه منصرفا إلى الإنغلاق على المادة الدراسية وكيف يحقق النجاح فيها من أوجز طريق ولذلك لجأ إلى الدروس الخصوصية ليتعلم من المدرس الخصوصى طريقة الحل التى تعجب المصحح لينال بها الدرجة التى يريدها، وليس حبا فى اللغة العربية، وذلك أحدث ظاهرة عجيبة وخطيرة وهى كراهية القراءة الخارجية، فهو يكتفى بالمادة التى يدرسها ويتعلم كيفية الإجابة عن الأسئلة بطريقة الدروس الخصوصية ليسرق بها الدرجة وليخدع بها المصحح فى نهاية الأمر . وتأتى بعد ذلك

الطامة الكبرى فى التصحيح، وعملية التصحيح لاتدقيق فيها ولا تمحيص لأن المقدار من الكراسات - كراسات الإجابة - كبير وموعد إظهار النتيجة قريب ومن هنا تصير العجلة فى التصحيح مطلبا ينبغى تحقيقه، فنسمع عن نتائج مذهلة كالذين يحصلون على ١١٠٪ أو ١٠٥٪ وهى نتائج لم نسمع بها من قبل ، وهى فى معظمها كاذبة بدليل أن السيد رئيس الوزراء كمال الجنزورى تساءل عن ظاهرة تعدد الرسوب لهؤلاء المتميزين فى الأعوام الأولى لهم فى الجامعات وفصل ٣٠٪ منهم بسبب الرسوب فى أكثر من نصف المواد المقررة (١).

ولقد كتب الأستاذ الصحفى الكبير عزت السعدنى عدة مقالات فى الصفحة الثالثة لجريدة الأهرام تحت عنوان « كراسة المواجع » تعرض فيها لكثير من القضايا التى تتعلق بموضوع التعليم فى مصر أبرز فيها مدى التردى الذى وصل إليه حال التعليم فى المدارس التربوية حبذا لو جمعت فى كتاب يقرؤه المسئولون ليتفادوا المخاطر المحتملة التى تتعرض لها الأمة العربية والإسلامية والممثلة فى واقع التعليم المصرى .

مجمل القول :

إننا نستطيع أن تخلص مما سبق إلى عدة حقائق يمكن تلخيصها فيما يلى :-

أولا : أن العَلمانية (بفتح العين) تعنى تهميش الدين وترحب بآراء الفلاسفة التى تنادى بالإيمان بالفكر المادى المطلق وبأن الإنسان ينبغى أن يضع لنفسه الحقوق التى يرتضيها هو دون التقيد بالدين، فهى بذلك دعوة صريحة للإلحاد يجب التصدى لها ولا يغرنا فى

١ - راجع صحيفة الأهرام بتاريخ الجمعة ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٩٧ ص ١٣ .

ذلك التفوق فى مجالات الاكتشافات العلمية والاختراعات الحديثة المبهرة فى الصناعات لأن الدين لايتعارض أبداً مع الإبداع الإنسانى فى الكشف والاختراع على أن يحقق النفع للناس بل الدين يحض على ذلك ويدعو إليه أما ما يتعارض مع مصالح الإنسان أو يجلب له الضرر فالدين يقف له بالمرصاد.

ثانيا : أن العلمانية دعوة يروج لها اليهود وتروج لها الصهيونية العالمية للقضاء على الأديان جميعا إلا الدين اليهودى .

ثالثا: — أن العلمانية قد ثبت فشلها فى تحقيق الأمن والأمان للناس وأدى إلى انهيار الأخلاق فى معظم بلدان العالم خصوصا المجتمعات الغربية والأمريكية .

رابعا : أن التعليم فى مصر يحتاج إلى إصلاح – إصلاح المناهج لا إصلاح المبانى ، فالدولة تكلفت فى اصلاح وإنشاء المبانى أموالا طائلة، ونريد أيضا أن تتجه إلى اصلاح المناهج التعليمية وتنفق عليها أضعاف أضعاف ما انفقته على المبانى التعليمية لأن بناء النفوس أهم . ولا يتم هذا الإصلاح إلا بالعناية بأمر اللغة العربية والدين الإسلامى إذ هما قاعدة العلم وأساسه المتين وفى النهوض بهما نهوض بشباب هذه الأمة وحضارتها .

خامسا : أنه ينبغى لعلماء المسلمين ومفكريهم أن يُنبِّهوا على الأخطار الفكرية الوافدة من الغرب الرأسمالى أو الشرق الشيوعى والتى يتعرض لها المجتمع الإسلامى تحت مسميات براقة كالتطور والتجديد والحرية والحداثة لما تنطوى عليه من التحلل واللامبالاة التى تجر إلى الهاوية .

سادساً : أنه ينبغي للمسئولين فى كل موقع أن يراعوا حق الله فى خلقه ، وأن يتقوا الله فى الرعية فيغلقوا أبواب الفتن التى تثيرها وسائل الإعلام من صحافة وإذاعات مسموعة ومرئية ، ويعملوا على درء كل ما من شأنه أن يسيء إلى الدين الإسلامى ، ويشجعوا على حمل الناس على تفهم حقيقة الدين الحنيف الذى يدعو إلى التحلى بمكارم الأخلاق ونشر العدل والسلام فى كل مكان .
لقوله تعالى : **﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾** .

الفصل الثانى

العولمـــة

أخطر صور التحدى للحضارة الإسلامية

العولمة
أخطر صور التحدّى للحضارة الإسلامية *

اصطلاح العولمة من الاصطلاحات التى بدأت تطفو على سطح خضم الثقافة حديثا ، وهو لايزال يحتاج إلى تعريف محدد، لأنه يصح إطلاقه فى مختلف مجالات الأنشطة التى يزاولها الإنسان فى المجتمع العالمى ، فمدلوله فى المجال الاجتماعى غير مدلوله فى المجال الاقتصادى غيره فى المجال السياسى والمجال العلمى والثقافى وهكذا ، ولكى نتوصل إلى التعريف الجامع المانع لابد لنا من أن نسمع من أفواه العلماء والخبراء ونقرأ ما كتبوا عن مدلول هذا المصطلح لكى يتأكد المعنى ويتأصل المفهوم لدى من يستخدمه ومن يسمع عنه، ولسوف نلاحظ من خلال عرضنا للمقالات التى كتبت فى شأن العولمة فى جريدة الأهرام وغيرها من الصحف والمجلات – وإن كانت الأهرام أبرز الصحف فى هذا الشأن وأكثرها مادة وآكدها واقعية ـ أن هناك خيطا فكريا يربط بين المقالات جميعها ولقد آثرت أن أعرضها بنصها بغية أن يصل المعنى لدى القارىء كاملا، وقمت بتنسيق العناوين فقط كى يتم الترابط بينها بحيث يفضى كل مقال إلى الذى يليه فى تماسك متين فتطرد المعانى فى تناغم جميل مؤثر يجعل الوحدة الموضوعية متحققة بين كتابات من كتبوا فى معنى العولمة .

وأستهل الكلام بعرض مقال الأستاذ أحمد بهجت الذى حاول أن يقدم معنى المصطلح ونتيجته بأسلوب كليلة ودمنة ليفهمه الجميع بدرجة واحدة فى عرض خفيف الظل سهل العبارة ، كتب يقول :

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ / ٥ / ٩٨ عمود صندوق الدنيا ، مقال بعنوان « لغويات »

* قال بيدبا الفيلسوف لدبشليم الملك :

– لماذا أيقظنى مولاى فى منتصف الليل، أرجو أن يكون السبب خيرا قال دبشليم الملك:عالجت النوم يا بيدبا فلم استطع .. تدور فى رأسى كلمات لم أكن أسمعها من قبل ، وهى كلمات لا أعرف معناها وهذا شىء محيّر للغاية . وقد حدثتنى نفسى أن أوقظك وأسألك .

قال بيدبا الفيلسوف : هل تشيع هذه الكلمات فى أوساط العامة أم أوساط المثقفين يا مولاى ؟ .

قال الملك : تشيع فى أوساط المثقفين كما تشيع فى أوساط العامة .

قال بيدبا الفيلسوف : دعك يامولاى من دلع المثقفين بنحت الكلمات الجديدة ، هذه هوايتهم من قديم الزمان ، وعلى أى حال ، هات ما عندك قال دبشليم الملك : هناك أربع كلمات أو ثلاث كلمات هى العولمة والعلمنة والخصخصة .. ما الذى تعنيه هذه الكلمات ؟

قال بيدبا الفيلسوف : العولمة أن تعولم العالم ، فيصبح عالما واحدا رأسه أمريكا .. ونحن ذيله .. والعولمة مشتقة من العالمية ، وهذه العالمية شىء مختلف عن شهادة العالمية التى يمنحها الأزهر، إن شهادة العالمية تعنى العلم ، أما العولمة فتعنى طرح الهوية فى البحر، والإمساك بذيل أمريكا وأوروبا ، والالتحاق الصورى بركب العالم المتقدم وسيادة النظام العالمى الجديد ، ويبدو ـ والله أعلم يامولاى ـ ان العولمة هى جمع لكلمة العوالم ، والعوالم هن الغوازى والراقصات والمغنيات فى أفراح الريف .

هذا ما لدى عن العولمة، أما العلمنة فهى كلمة مشتقة من العلمانية وهى عكس المعلمة والجدعنة، وكانت تعنى فى أوروبا فصل المؤسسة الدينية عن الدولة ، وعلى أيدى عصرنا تحولت إلى فصل للدين عن الدولة ، وهناك فرق بين الأمرين .

قال بيدبا الفيلسوف : اختلف علماء اللغة فمن قائل تخصيص ومن قائل خصخصة ، وتعنى تحويل ملكية القطاع العام إلى القطاع الخاص ، بعد أن خسر القطاع العام الجلد والسقط ولم يعد فيه خير لناهب أو ملتقط .

قال دبشليم الملك : اذهب الآن يابيدبا ، ودعنى أفكر فيما قلته .

---

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ / ٥ / ٩٨ عمود صندوق الدنيا ، مقال بعنوان « لغويات » للأستاذ / أحمد بهجت ص ٢ .

العولمة كمصطلح فكرى *

انتشر استخدام هذا « المصطلح » منذ اوائل التسعينيات ، فى كتابات سياسية واقتصادية عديدة (بعيدة عن الإنتاج الفكرى العلمى او الأكاديمى فى البداية)، وذلك قبل أن يكتسب المصطلح دلالات استراتيجية وثقافية فكرية وثقافية مهمة من خلال تطورات واقعية عديدة فى العالم ، واقترن ذلك الانتشار بعد سقوط وتفكك النظام الشيوعى وكتلته فى الاتحاد السوفيتى واوروبا الشرقية، بانتشار الفكرة الأساسية التى أذاعها الباحث الأمريكى الاستراتيجى فرانسيس فوكويوما عن الانتصار الحاسم والنهائى فى رأيه لنظام السوق والمشروع الحر الرأسمالى الاقتصادى وقرينه السياسى أى النظام الليبرالى وان هذه التوليفة الاقتصادية ، السياسية تمثل الاختيار النهائى للإنسانية فى سعيها التاريخى إلى شكل تنظيمى للمجتمع يكفل لها كلا من التقدم المادى والرقى المستمر والاستقرار والسعادة والحرية . وبذلك ينتهى التاريخ . وذلك فى بحثه ثم كتابه المشهور : نهاية التاريخ والانسان الأخير عام ١٩٩٢ . من حيث إن التاريخ هو المسيرة المركبة لذلك السعى الانسانى نحو ذلك الشكل التنظيمى للمجتمع . غير أن مصطلح العولمة انتقل بسرعة من كلام الساسة والإعلاميين فى الغرب، وفى الولايات المتحدة خصوصا ، إلى كتابات أكثر قيمة انتجها مفكرون اقتصاديون أساسا ، واستراتيجيون أحيانا وعلماء اجتماع سياسى وثقافى نادرا، وان لم ينقل البحث فى الموضوع الذى يشير إليه المصطلح إلى الدوائر الأكاديمية فى الغرب حتى الآن (فى عام ١٩٩٨) الأمر الذى يؤكد أنه موضوع لايزال ملتبسا يصعب تحديده او وضعه فى اطار منهجى محدد . وان « العولمة » ما تزال مجرد « عملية » تاريخية تحاول اطراف مختلفة واحيانا متناقضة ان تدفعها فى طريق مختلف يعبر إما عن مصالح أو رؤى ومواقف متعارضة ، ومع ذلك يمكن طرح عدة محددات للدلالات المختلفة التى تتضح من مختلف استخدامات هذا المصطلح فى الأدبيات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والفكرية الثقافية المعاصرة.

ففى علم الاقتصاد التقليدى المعاصر : يشير المصطلح إلى تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التى تزداد عمقا وتشابكا بسيادة نظام

* - جريدة الأهرام ملحق الجمعة بتاريخ ١٠ / ٤ / ٩٨ تحت عنوان : « مصطلحات فكرية ـ المجموعة الثانية » ص ٩ .

اجتماعي واحد في العالم كله تقريبا ، حيث تتبادل كل أجزاء العالم الاعتماد بعضها على البعض فيما يتعلق بكل من الخامات والسلع المصنعة والأسواق ورءوس الأموال والعمالة والخبرة الفنية : فلا قيمة لرؤوس الأموال دون استثمارات وخبرة متطورة وعمالة ، ولاقيمة للسلع دون أسواق لاستهلاكها ... الخ .. الخ . ويضيف الاقتصاديون انه منذ بدء تطور وتضخم الشركات عابرة الجنسيات فقد تطورت « العولمة » اقتصاديا في كل من المجالات السبعة المذكورة المتشابكة ، فقد أدى تطور وتضخم تلك الشركات الى تسهيل وتعميق « العولمة » اقتصاديا ومعلوماتيا ، كما ادى تعمق العولمة إلى الإسراع بتضخمها تعدد أنشطتها في الاستثمار والانتاج والنقل والتوزيع وتشغيل العمالة والمضاربة على مختلف أنواع وأشكال الثروة والبحث العلمي والتأثير السياسي والمعرفي . المعلوماتي والفكرى بدءا من زيادة قدرة تلك الشركات على الاستفادة من فروق الاسعار أو نسبة الضرائب أو مستوى الأجور لتركيز الانتاج في المكان الأرخص ونقله لكي يستهلك في المكان الأعلى (مثلا) على مستوى العالم كله (أو على مستوى الكرة الأرضية، وهذا هو معنى أصل الكلمة في الانجليزية Globe) ، **غير أن علماء التاريخ العالمي الاقتصادى ، السياسي، والاقتصاديين النقديين ، يقولون** : ان « العولمة » ليست ظاهرة جديدة ، وأنها بدأت منذ القرن السابع عشر . أو قبله بقليل . مع بدء عملية الاستعمار الغربي لآسيا وافريقيا والأمريكتين مقترنة بتطور النظام التجارى الحديث في اوروبا نفسها ، الأمر الذى أدى إلى تطور النظام التجارى العالمي (الميركانتيلي) الذى أدى بدوره ، مع تعمق عملية الاستعمار إلى تعمق ظاهرة اعتماد المجتمعات الأقل تطورا من النواحي التكنيكية (التكنولوجية) والإدارية الاقتصادية (وهي المجتمعات التي تم استعمارها أو تطويقها تمهيدا لاستعمارها بعد ذلك) على المجتمعات الأكثر تطورا (الاستعمارية) وذلك فيما قاله كبار الاقتصاديين في الأرجنتين والمكسيك وشيلي (أو أمريكا اللاتينية بالذات) منذ الخمسينات عن : نظرية الاعتماد ، ولكن الظاهرة نفسها أسفرت عن اعتماد معاكس ، أى اعتماد المجتمعات المتطورة على منتجات بعينها للمجتمعات الأقل تطورا (من المنتجات الزراعية أو منتجات الغابات إلى أنواع بعينها من المعادن الاستراتيجية والنفط) بقدر

* - جريدة الأهرام ملحق الجمعة بتاريخ ١٠ / ٤ / ٩٨ تحت عنوان : « مصطلحات فكرية - المجموعة الثانية » ص ٩ .

اعتماد منتجي الأولى على أسواق وعمالة الأخرة، ويقول الاقتصاديون والنقديون الجدد إنه مع انتهاء عصر وظاهرة الاستعمار المباشر بدأ الاعتماد ينبع من ويعتمد، على كل من النظم الاجتماعية . السياسية وتشابكاتها من ناحية وعلى منظومة من العلاقات الاقتصادية . المعلوماتية المتشابكة وتشمل كلا من المجالات السبعة المذكورة في البداية . وازدادت تلك المنظومة تشابكا في السبعينات مع كل من أزمة أسعار النفط وانشاء « سلة العملات الغربية الموحدة » لضبط علاقات أسعار عملات الغرب الرئيسية وأسعار الخامات الاستراتيجية ومع بدء التطبيق الإعلامي . المعلوماتي الواسع لثورة الاتصالات التكنولوجية في الستينات .

غير أن هذا التشابك المتزايد على مستوى العالم كله، بين منظومتي الاقتصاد والإعلام (خاصة الإعلام التليفزيوني المرئي والناطق بالصورة المتحركة التي تنقل صورة مركبة ومتدفقة سريعة وموجهة للواقع الآني، كما تنقل المعرفة المختزنة والموجهة والمسبقة في آن واحد معا . والأعمال الإبداعية والفكرية الموجهة كذلك) لدى هذا التشابك إلى ظهور ما يسميه علماء الثقافة وفلاسفة المعرفة الآن : « التنميط Uniformalisation أو : « التوحيد Unifisation الثقافي للعالم كله (على حد التعبيرات التي استخدمتها لجنة اليونسكو العالمية للإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية من أجل التنمية (انظر الخبر) في ستوكهولم مؤخرا، في تقريرها بعنوان : « تنوعنا الخلاق » وهي اللجنة التي رأسها خافيير دى كويار الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة، وكان من أعضائها من مصر السيدة ليلا تكلا ، ومن أعضائها الشرفيين من العرب الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن وعالم الأنثروبولوجيا الفرنسي البارز كلوليفي شتروس ، ومن أبرز أعضائها المفكر الباكستاني الكبير محبوب الحق وعالمة الاجتماع الثقافي المكسيكية الكبيرة لورديس ارزيبا ، وهي الآن مساعدة مدير عام اليونسكو للشؤون الثقافية) ويرى علماء الثقافة وفلاسفة المعرفة ، فيما يشبه الاجتماع بين كل مدارس الفكر المعاصر (باستثناء مفكري تيار ما بعد الحداثة الذين يكتفون بعرض الحالة القائمة دون تحليل نقدي أو تصور مستقبلي - واقعي) .. يرون أن هذا « التنميط الثقافي » للعالم يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية الجبارة وهيكلها الاقتصادي - الانتاجي بعماده المتمثل في

* - جريدة الأهرام ملحق الجمعة بتاريخ ١٠ / ٤ / ٩٨ تحت عنوان : « مصطلحات فكرية - المجموعة الثانية » ص ٩ .

شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال كما يرون أن ذلك التنميط الثقافى ، رغم انه يعكس تصور صناع « العولمة » الاقتصادية والمستفيدين الأكبر منها عن ضرورة وبديهية أنْ يتماثل البناء الثقافى للإنسانية مع البناء الاقتصادى - المعلوماتى للعالم ، فإنه يجب التنبيه إلى عدة حقائق وعوامل : **فالعولمة الاقتصادية**، شأنها شأن النظام العالمى / السياسى / الاستراتيجى، لم تكتمل بعد ولم تستقر على شكل نهائى ، ومن جانب آخر فإنه كما تتفاعل الثقافات الراسخة لحضارات العالم الكبرى (وللأمم ، أو الثقافات القومية) فى إطار كل من حضاراتها المتمايزة والحضارة التكنولوجية العالمية فى آن واحد ، فإن تلك الثقافات تتمايز أيضا وهى تتفاعل وتواصل تمايزها ، واحتفاظ كل منها بخصائصها الجوهرية، تماماً كما حدث للأديان العالمية واللغات العالمية عبر التاريخ ، وأن عملية « العولمة » التى لم تكتمل ولم تستقر تؤدى إمكانياتها ، فى الاتصال وتسريع وتوسيع تفاعل الثقافات ، إلى ترسيخ ونشر مجموعات من القيم الرئيسية الكبرى المشتركة بين كل الثقافات دون استثناء (قيم خلقية وسلوكية وجمالية وعقلية أو ذهنية منهجية ومعرفية) الأمر الذى يدفع التطور التلقائى التاريخى نحو « توحيد » ثقافى إيجابى للبشرية كلها من جانب ، بقدر ما تؤدى إلى تيسير إبقاء « التمايز » بين الثقافات ، وإبقاء « خصوصية » كل ثقافة فى إطار من التفاعل الإيجابى يتخلص تدريجيا من آثار « التاريخ » السيئة المتمثلة فى التعصب والاستعلاء وازدراء الثقافات الأخير وأصحابها والعداء لكل ما هو « آخر» أو « مختلف ».ويعتقد البعض مثل هابرماس فى المانيا وميهابلوف فى روسيا وحازم الببلاوى وسيد ياسين فى مصر ان هذا التفاعل « الثقافى » الإيجابى هو ما قد يضمن للعولمة، فى المسارين الاقتصادى والاستراتيجى ، أن تتخلص من جوانبها ودلالاتها السلبية ، وهو نفس المنظور الذى تبناه تقرير لجنة « الثقافة والتنمية » المذكور .

---

* - جريدة الأهرام ملحق الجمعة بتاريخ ١٠ / ٤ / ٩٨ تحت عنوان : « مصطلحات فكرية - المجموعة الثانية » ص ٩ .

ولسوف نعرض فيما يلى بعض المقالات التى كتبت فى شأن العولمة وظهرت على صفحات جريدة الأهرام وبعض المجلات حتى نقف على حقيقة الأخطار الناجمة عن ظهور هذا المفهوم الجديد لتطور العالمية وبلورته فى معنى العولمة، ونستعرض معا ما يراه هؤلاء المفكرون من حلول وإجراءات ثم نلخص ذلك فى التعليق الموجز فى نهاية هذا الفصل .

من العالمية إلى العولمة *

يتصاعد الاهتمام فى الوقت الحاضر بين جموع المثقفين . بل وبين الكثرة الكاثرة من عامة الناس بفكرة العولمة ومفهومها وأصولها الأولى وما قد يترتب عليها من تداعيات أو نتائج تؤثر على حياة الناس . وبصفة خاصة على ثقافتهم القومية وذاتيتهم الوطنية وما إذا كان من شأن العولمة أن تحسن أحوال البشر أم أنها سوف تكون وبالا عليهم وتحيق الضرر بهم وغير ذلك من القضايا والمشاكل التى تجلّ عن الحصر ولم يحاول العلماء وأهل الاختصاص الخوض فى مثل هذه المسائل إلا من قبيل التكهن او الاحتمالات إذ أن **العولمة كما تدل عليها الصياغة اللغوية** للكلمة سواء باللغة العربية أو الانجليزية ذات مضمون ديناميكى يشير إلى عجلة مستمرة من التحول والتغير والصيرورة، فعندما نقول مثلا عولمة النظام الاقتصادى أو عولمة السياسة أو عولمة الثقافة فإننا نعنى تحول كل منها من الإطار القومى ليندمج ويتكامل مع النظم الأخرى المثيلة لها فى العالم .

وفى هذا السياق يميل الليبراليون من فلاسفة ومنظرى العلاقات الدولية إلى رؤية العولمة على أنها الناتج النهائى لعملية تحول مستمر مدة طويلة للسياسة العالمية. الأمر الذى يشير إلى أنه لاسبيل إلى التحقق من الوقت أو الزمن الذى تصل فيه العولمة إلى منتهاها وتصبح نمطا ذا خاصية استاتيكية وتكتسب وضع الاستقرار والهيمنة على النظام العالمى بأسره، وفى نفس الوقت فإن **العولمة تتضمن اتجاها متناميا يصبح معه العالم فى كثير من المجالات دائرة اجتماعية وسياسية** واقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى فى داخلها الحدود بين الدول وهنا يجدر بنا

* - جريدة الأهرام بتاريخ ٣ / ٥ / ٩٨ مقال للدكتور / أحمد عباس عبد البديع .

التمييز بين العولمة والعالمية وهما اصطلاحان كثيرا ما يثور الخلط بينهما فالعالمية يقصد بها عملية تكثيف الإتصالات والانفتاح بين الوحدات القومية أو الدول وتزايد الاعتماد المتبادل بينها ، وان كانت كل منها تظل متميزة ومنفصلة عن مثيلاتها من الوحدات .

وفى هذا النظام العالمى . كما يقول الليبراليون أو اصحاب النظرية التعددية . لاتكون الدولة هى الفاعل الوحيد على المسرح السياسى العالمى، ولكن توجد إلى جانبها الهيئات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية والجماعات عبر القومية مثل الجماعات الارهابية وغير ذلك ممن يعملون كفاعلين رئيسيين فى بعض مجالات قضايا السياسة العالمية فى حين أن العولمة تنزع إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والاندماج بين الدول وآلاف الفاعلين الدوليين الآخرين ذوى الأهمية الخاصة لكل منهم بحيث تكف الدول عن مراعاة مبدأ، السيادة الذى يأخذ فى االتقلص والتآكل تحت تأثير حاجة الدول إلى التعاون فيما بينها فى المجالات الاقتصادية والبيئية والتكنولوجية وغير ذلك مما يعنى أن السيادة لن تكون لها نفس الأهمية من الناحية الفعلية فالدول قد تكون ذات سيادة من الناحية القانونية ولكن من الناحية العملية قد تضطر إلى التفاوض مع جميع أنواع الفاعلين مما ينتج عنه أن حريتها فى التصرف حسب مشيئتها تصبح مقيدة أو ناقصة .

وكما أنه يصعب تحديد الوقت الذى تتم فيه صيرورة العالم إلى العولمة فى صورتها الكاملة بحيث تبدو متوازنة فى كل أركان الدنيا فإنه من العسير كذلك تحديد الوقت الذى بدأت فيه عملية العولمة كما نفهمها فى هذا العصر ولعله من المناسب فى هذا السياق أن نشير إلى عدد من الأحداث الرئيسية للعولمة والتى سجلها جان شولت أستاذ العلاقات الدولية فى جامعة ساسنكس فى كتابة القيّم « العولمة . مقدمة نقدية » (١٩٩٧) والتى من شأنها أن تعمق فهمنا عن العولمة ودلالتها ويذكر من بين هذه الأحداث أول خدمة دولية للتلغراف عبر المحيطات (١٨٦٦) وإدخال التنسيق على مستوى العالم للساعات وفقا لتوقيت جرينتش (١٨٨٤) وظهور أول نظام للاتصال التليفونى بين لندن وباريس (١٨٩١) وإنشاء أول نظام لانتقال الأموال عبر الحدود الدولية دون فرض ضرائب عليها فى

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٣ / ٥ / ٩٨ مقال للدكتور / أحمد عباس عبد البديع.

لوكسمبورج (١٩٢٩) وأول إذاعة عالمية بالراديو . خطاب الملك جورج الخامس في افتتاح مؤتمر البحرية بلندن لربط ٢٤٢ محطة عبر ست قارات في آن واحد (١٩٣٠): إدخال نظام العطلات المترابطة مما أعد المسرح للسياحة العالمية على نطاق واسع (١٩٤٩) : أول مطعم لماكدونالدز (١٩٥٥)مجيء عصر القذائف البالستيكية عبارة القارات (١٩٥٧): بدء أول اتصالات دولية بالاقمار الصناعية (١٩٦٢): إنشاء اول طائرة نفاثة واسعة الحجم بوينج ٧٢٧ (١٩٦٩): إنشاء اول نظام الكترونى لأسعار صرف الأوراق المالية (١٩٧١): أول مؤتمر تقيمه الأمم المتحدة عن التنمية البشرية (١٩٧٢): الحكومة الامريكية تزيل القيود على اسعار الصرف الاجنبية (١٩٧٤): وتحذو حذوها دول أخرى في الأعوام التالية.بدء أول بث إذاعى مباشر بالأقمار الصناعية إلى الأطباق المقامة فوق أسطح المنازل (١٩٧٦): أول استخدام تجارى للكابلات المصنوعة من الأنسجة البصرية والتى عملت على زيادة قدرات الاتصالات اللاسلكية زيادة هائلة (١٩٧٧): إتمام ربط كابل من الأنسجة البصرية حول العالم (١٩٩٧) .

ومن استعراض هذه الاحداث يتبين لنا ان العولمة لاترادف الأمركة أو أنها نشأت أو ظهرت تحت تأثير أمة معينة أو أنها فرضت وفقا لمشيئة زعيم سياسى محنك أو قائد عسكرى مظفر استطاع بقوته وجبروته أن يوحد بين مختلف أرجاء العالم ويقضى على مافيه من الحدود والمسافات ، ولكنها تحققت بفعل مجموعة من العوامل والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية التى أفرزتها عبر العقود الخمسة عشر الماضية قوى السياسة العالمية والتى تنتمى إلى تراث البشرية بأكملها ، وغدت كما لو كانت تيارا متدفقا يسرى فى أوصال هذا العالم ليوجد بين جميع أجزائه سياسيا واقتصادية واجتماعيا وثقافية وتكنولوجيا بحيث لم يعد لنا خيار فى منعه أو استمراره وفى قبوله أو رفضه .

وإذا كانت هذه الاحداث التى ذكرناها قد أسهمت فى قيام دعائم عصر العولمة، فإنها كذلك وفى نفس الوقت قد لعبت دورا مهما فى خير البشر وتحسين أحوالهم ، ومع ذلك فإن الكثيرين من الغيورين على أوطانهم وعلى ذاتيتهم الثقافية والقومية يساورهم القلق الشديد وينتابهم كثير من الشك فى قيمةالعولمة ونتائجها لما يلاحظ من أن القوى التى تعرضت للعولمة والتى تقودها فى هذه الآونة هى دول

* - جريدة الأهرام بتاريخ ٣ / ٥ / ٩٨مقال للدكتور / أحمد عباس عبد البديع.

العالم الغربي التى تمتلك أقوى التكنولوجيات المصاحبة للعولمة والتى تسمح لمصالحها بأن تتفوق على المصالح المحلية ومن ثم تحقق الانتصار الساحق لوجهة نظر العالم الغربي على وجهات نظر الثقافات الأخرى ، ومع ذلك فان العولمة ليست هى المسئولة عن نشر ثقافة دون أخرى أو أنها هى التى تقود معركة الغزو الثقافى وذلك لأن جميع تكنولوجيات الاتصال فى بيوتنا مفتوحة على سائر محطات البث الإذاعى والبث عن طريق القنوات الفضائية العالمية وشبكة الإنترنت وغيرها دون أن نعمل على وقفها أو منع تدفقها على أسماعنا وأبصارنا وعقولنا . مما يعنى أن ما يسمى بالغزو الثقافى للعولمة إنما يتجاوز حقيقة مضمونه أو فحواه لأنه لايتضمن أى نوع من الاقتحام القسرى بواسطة قوة خارجية تقوم بانتهاك خصوصيتنا او الاعتداء عليها ومع ذلك فإنه يتعبين علينا أن نوجد لدى جماهيرنا الوعى بأن يختاروا من بين الصور والرسائل الإعلامية المختلفة ما يتفق مع قيمنا الدينية ومثلنا الأخلاقية ومعتقداتنا الاجتماعية وتوجهاتنا السياسية وبمعنى أعم واشمل ما يتفق مع ثقافتنا لاقومية دون أن نغالى فى الحديث عن مساوىء العولمة وآثارها الضارة المدمرة .

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٣ / ٥ / ٩٨مقال للدكتور / أحمد عباس عبد البديع.

نابليون .. هل كان (أبو العولمة .. ؟ !*

المؤتمر الذى يعقد الآن فى المجلس الأعلى للثقافة حول العولمة يثير سؤالا هاما:

هل العولمة ظاهرة تاريخية أم هى معاصرة وبشكل آخر :

هل عرفت الظاهرة فى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر أم هى نتاج السنوات الأخيرة من القرن العشرين .

وتزيد الحيرة هنا أن هذا المؤتمر يقام فى مناسبة مرور ٢٠٠ عام على غزو الحملة الفرنسية لمصر وما يدور حولها من أخذ ورد .

وهو ما يطرح سؤالا جديدا :

هل كان نابليون .. فى عصره (أبو العولمة) ؟

أو أنه كان أحد رموز العولمة فى مراحلها المتتابعة ؟

والإجابة عن كل هذه الأسئلة تهمنا فى المقام الأول سواء لتحديد موقف بونابرت كاستعمارى . لا كرسول حضارة كما يزعم البعض ، وأيضا لتحديد موقفه فى دائرة العولمة (الأمركة) التى نعيش فيها الآن ..

والواقع أننا لانستطيع أن نخرج من هذه الحيرة دون أن نشير إلى تطور الظاهرة. تاريخيا ، قبل ان نصل إلى ممارساتها (النابليونية) فى السنوات التى قضاها القائد الفرنسى فى مصر ..

تتعدد الآراء وتتحد منذ السنوات التى عرفت ببدء الكشوف الجغرافية فى الغرب فى القرن الخامس عشر وهى التى مهدت لهذه الظاهرة ، واذا أردنا تاريخا محددا يهمنا أكثر لتوقفنا عند القرن الثامن عشر ففى هذا القرن كانت أوروبا عرفت تطورات إنسانية كثيرة .

ويتبنى السيد ياسين رأى روبرت برونسون (فى ندوة العرب والعولمة التى عقدت ببيروت) الرأى القائل أن هذه الفترة من منتصف القرن الثامن عشر حتى قرب منتصف القرن التالى كانت هى مرحلة النشوء ، فقد حدث تحول حاد فى

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٤ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

فكرة الدولة المتجانسة الموحدة، وأخذت تتبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية ، وبالأفراد باعتبارهم مواطنين لهم أوضاع مقننة فى الدولة ، ونشأ مفهوم أكثر تحديدا للإنسانية . وزادت إلى حد كبير الاتفاقات الدولية ونشأت الاتفاقات المتعلقة الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول ، بدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية فى المجتمع الدولى ، بدأ الاهتمام بالموضوع القومية والعالمية .

غير أن مرحلة الانطلاق عرفت فى .هذه الفترة التى خرج الجيش الفرنسى من بلاده ليغزو انجلترا فلما وجد صعوبات اتجه إلى عدة دول اوروبا مر فيها بايطاليا قبل ان يصل إلى مصر ، فى هذه الفترة ظهرت مفاهيم كونية ومفاهيم تتعلق بالهويات القومية والفردية ، وتم إدماج عدد من المجتمعات غير الأوروبية فى المجتمع الدولى وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالانسانية ومحاولة تطبيقها ، كما حدث تطور هائل فى عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال .

وهذه هى الفترةالتى جاء فيها نابليون إلى مصر وهو يحمل فكرة تطبيق الزمن العالمى (وأن احتفظ بتطبيق تقويم للجمهورية الفرنسية)وبعض الأفكار العنصرية ، كما تبنى عدة أفكار كانت نتاج التطور العالمى ممثلا فى بيانات الثورة الفرنسية سواء ما جاء ابان قيام الثورة فى فرنسا أو عبر بيانات الثورة / الحملة فى مصر فيما بعد .

وقبل الاستطراد حول تبنى نابليون للنزعة الانسانية لابد من تحديد نستطيع فى ضوئه رؤية موقع الحملة الفرنسية من التطور الزمنى الذى انتهى بالعولمة فى نهاية القرن العشرين .

يجب أن نسارع بالقول هنا ، أن نابليون وإن تبنى مقولات وأفكارا تنتمى فى بعضها إلى العولمة كما هى معروفة الآن ، وإن ما جاء بها إنما كان مرحلة من مراحل تطور هذا المفهوم .

ففى هذه الفترة المبكرة من تاريخ العالم ، لم يكن من الممكن أن نصف زمن بونابرت بأنه زمن العولمة وانما نستطيع ان نطلق عليه مرحلة من هذه المراحل ، ونستطيع بشكل ادق ان نسمى هذه المرحلة مرحلة العالمية .

والعالمية مفهوم يغاير تماما مفهوم العولمة .

---

* – جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٤ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

وبمراجعة أكثر من معجم يتضح لنا هذا المفهوم فبالعود إلى معجم وبسترز او كامبرد ج (١٩٩٦) سنجد أنفسنا أمام معنى مغاير لما فى ذهننا عن العولمة منذ فترة مبكرة .

فالعولمة Globagisn فى هذين المعجمين تشير إلى معان تقترب من العالمية Universalism ، وفى حين نعرف فيما بعد ان العولمة تهدف إلى استخدام العنف الثقافى فى اقصاء الخصم وقمعه والإحلال بدلا منه . فإن العالمية تظل هى طموح الارتفاع إلى كل ما هو إنسانى واستخدامه لما هو خاص وان ظل مصطلح العالمية هنا تابعا . فى تفسيره . الى العولمة .

وبينما تطرح العالمية أفكارا إنسانية قد تقبل بالتبادل بين الثقافات حين يحدث تداخل أو امتزاج فإن العزلة تسعى إلى سلب الخصم إرادته وهويته ، وبالتالى نفيه من العالم .

وفى حين سعى نابليون للهيمنة على الخصم لغرض إرادته بالمفهوم الانسانى فإن بوش (وكلينتون فيما بعد) سعى إلى أكثر من ذلك عبر (الرأسمالية الوحشية) .

كان من الممكن أن نلحظ فى القرن الثامن عشر تطور المركزية الأوروبية ممثلة فى صراعات دول أوروبا نفسها ، وهو ما تطور أكثر فى تبنى فكرة الاستعمار الذى تبلور باسم آخر هو (الحضارة) ثم فى مرحلة تالية إلى العولمة .

وإذا كان الفرنسيون فى عصر المركزية الأوروبية اعتبروا أن من واجبهم تعميم أفكار الثورة الفرنسية . وإن لم يكونوا صادقين فى حالة تطبيقها على الشعوب ، كما رأينا فى المكاتبات السابقة . فانهم لم يكتفوا بالحديث عن دور فرنسا الحضارى فيما بعد .

وفى جميع الحالات مثل نابليون فى عالميته مرحلة من مراحل (العولمة) وتمهيدا لها .

كان يسعى إلى السيطرة على العالم فى صراعه مع انجلترا ، وتكوين الامبراطورية (العالمية) وهو ما كان يظهر . منذ فترة مبكرة . فى أفكاره ابان

---

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٤ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

الحملة وبياناته وصحفه وأحاديث الكثير من مثقفي الحملة الفرنسية في مصر وذكريات جنوده فيما بعد ، بل وفي ذكرياته هو نفسه بعد نفيه . وهو ما يقترب بنا من وعي نابليون لهذه المفاهيم .

إن هذا الوعي البونابرتي لمعنى السيطرة والهيمنة الكاملتين نجده في حياته الطويلة ، وسوف نكتفي بعدة أمثلة هنا تغني عن مئات الأمثلة والمواقف الأخرى .

وسوف نحدد هذه الأمثلة حول الربط بين الامبراطورية الفرنسية كما كان يراها والامبراطورية الرومانية (العالمية) في أوج توسعها وسيطرتها على العالم .

إن نابليون . كما لاحظنا مرارا - لم يكن ليكف عن الحديث في فتوحاته إلى المدن الإيطالية (الرومانية)، وتلاحظ د. ليلى عنان في دراستها الأخيرة حول الحملة أن الحرب التي بدأت بالفعل كعودة إلى سياسة فرنسا الأزلية ، تحولت سريعا إلى الرغبة في التوسع وأصبحت تلك الرغبة هي الهدف الحقيقي لهذه الحروب . وتكرر الاشارات الكثيرة الى جنون العظمة الذى انتاب خلفاء روما ، حتى أن الزى الرسمي لحكام البلد كان . لفترة من الزمن على هيئة الزى الروماني ما رسمه لهم الفنّان دافيد صاحب اللوحات الكلاسيكية الشهيرة عن تاريخ روما ، وكانت هذه الرغبة في التوسع أحد مظاهر هذا الجنون وهذا التقمص للشخصية الرومانية الفذة .

وعلى هذا ، لم تكتف الثورة الفرنسية عن محاولة الوصول إلى حدود الامبراطويرية الرومانية في أوج توسعها ، وإنما تلمست أيضا القانون الروماني كرغبة دفينة في التوسع العالمي والهيمنة بحيث تصبح الثورة وحكومة الإدارة . بالتبعية . عالمية النزعة .

ولم يكن هذا النزوع إلى العالمية لدى المثقفين الفرنسيين فقط ، وانما كان يمكن رصده لدى السياسيين قبل خروج الحملة من فرنسا أو بعد وصولها إلى مصر ، وعلى سبيل المثال ، عندما تقدم الوزير (تاليران) مثلا بمشروع غزو مصر لحكومة الإدارة ، قال عبارة لا تخلو من معنى قط :

« كانت مصر مقاطعة في الجمهورية الرومانية ، فيجب أن تصبح للجمهورية الفرنسية » .

---

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٤ / ٩٨ مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

وعلى هذا يمكن تفسير كيف اختار نابليون (لقب القنصل الأول) لقبا يحكم به فرنسا التى اصبحت الآن تستحوذ على بلاد كثيرة . فحينما تخلصت من ملوكها الطغاة تحولت إلى الجمهورية المثالية التى حكمت العالم بقوانينها العادلة ورجالاتها النزهاء الوطنيين . أصبحت كلمة قنصل ، كما تلاحظ د. عنان ايضا . لقبا للحاكمين اللذين يتقاسمان السلطة العليا فيها . وبما ان الثورة وصلت . كما توهم مشرّعوها. إلى ذروة المجد والفضيلة ، حلت محل روما وتقلصت دورها ، فقد انشئت حكومة جديدة بعد الانقلاب بها ثلاثة قناصل ، وكان بونابرت القنصل الأول فيها ، فهو التجسيد الحديث للقائد الرومانى المنتصر بزيه الوطنى الفاشل ، كان يلقب بالجنرال الجمهورى بالمعنى الرومانى للكملة ، وبكل ما توصى به الكلمة من فضائل تستمد اهميتها من جمهورية، على غرار جمهورية روما .

وصحف نابلْيون فى مصر تزخر بهذه الالفاظ التى تستمتد مرجعيتها من الجمهورية الرومانية ، كما تستمد رموزها من نزاهة وتمجيد القانون الرومانى ، وهو المعنى الذى نفهمه من أحد ضباط بونابرت فى مصر (جوزيف مارى) ، فهو ينقل لنا كثيرا من بيانات نابليون ومواقفه فى مصر ليؤكد هذا المعنى . ففى ١٠ مايو ١٧٩٨ يقول بونابرت فى بيانه إلى الجنود : (لقد كانت فيالق الرومان التى اتخذتم منها أحيانا مثلا تحتذونه . وان لم تبلغوا شأوها ، تقود المعركة تلو الأخرى . فى « زاما » وكان النصر دوما حليفهم لتحليهم بالشجاعة والصبر على الشدائد ، والتزامهم النظام والتوحد » .

وعلى هذا النحو ، مثل نابليون مرحلة متقدمة من مراحل (العولمة) فى تطورها ابان « مرحلة الانطلاق » . وهو تعبير روبرتسون . نحو تطور العولمة إلى الصراع من اجل الهيمنة التى استمرت إلى منتصف الستينيات من هذا القرن على وجه التقريب والى ان اصبحت العولمة فى التسعينات واقعا يعود بمرجعيته الامريكية إلى الامريكتين وعاد بمرجعيته الأوروبية . بالتطور التاريخى . إلى السيطرة الأوروبية.

إنها (العولمة) الغبية بشكل ما .

وقد لايخلو من مغزى أن الفرنسيين الآن ، كجزء من المركزية الأوروبية ،

* – جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٤ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

يرفضون هذه العولمة الامريكية ، وقد تصدى الفرنسيون . بوجه خاص للسيطرة الامريكية فى (الجات) فراحوا ينتزعوا مصطلح (الاستثناء الفرنسى) . وحاولوا ان يحافظوا على هويتهم من هذه الرأسمالية المتوحشة .

ويتضح فى هذا السياق ان استخدام الفرنسيين للألفاظ يحمل هذا المعنى ، ففى الصحف الفرنسية لا نقرأ مصطلح العولمة بالمفهوم الشائع Globalisation وإنما يستخدم بدلا منه المفهوم الفرنسى الخالص Nondialisation فهم يرونها اوروبية وليست امريكية ، لأنهم يرفضون ان يروها كذلك .

وهو يحمل معنى استعمارى مضمر .

بقى أن نقول اننا الآن . فى نهاية القرن العشرين . اقل مقاومة واقل تماسكا مما كنا عليه فى نهاية القرن الثامن عشر .

لقد استطاع أجدادنا المقاومة بإرادتهم التى افتقدت السلاح النارى والمدفعية وآلات الحرب التى كان الغرب قد عرفها، اما الآن ، فإنا نفقد الكثير ، مما يخفيه الغرب عنا ، ويحاول (العولمة) بمعناها الامريكى الصرف .

ترى متى نعى جيدا مخاطر (العنف الثقافى) الجديد ونحاول مقاومته بالإرادة والفعل فى آن واحد ؟ .

---

* – جريدة الأهرام بتاريخ ١٣ / ٤ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

العولمة والمقاومة .. اتصال أم انفصال ؟ *

« ١٧ الف مناظرة وندوة ومؤتمر عقدت حول موضوع (العولمة) فى عام واحد هذا . » .

تذكرت هذه العبارة التى قيلت فى ندوة معهد العالم العربى بباريس حول « العولمة » وأنا أجلس فى ندوة رامتان عن العولمة أيضا .

« يا إلهى » قلت لنفسى ، وغبت عن المحاضر ثانية فإذا أضيف إلى هذا العام ستة أشهر أخرى من عام ١٩٩٨ ، ومع تسارع الأحداث وعقد الندوات والمناظرات حول نفس الموضوع . وصلت . فى حسبة بسيطة فيما يشبه التقريب إلى أن النسبة قد تزيد على الأربعين أو الخمسين لمناقشة هذا الموضوع (العولمة) .

قلت هذا وأنا أتذكر مئات العناوين التى مرت بذهنى أ حضرت أغلبها ، وفى كل مرة كان المحاضر لايخرج عن عقد الشبه بين العالمية أو العولمة (المرحلة) أو أيهما قبل الأخر، (التاريخ) أو العلاقة بين العولمة والمكان الذى انتهت إليه (الجغرافيا) وبين مرادفاتها .Globalization و Globalism (الايديولوجية) وما إلى ذلك من هذه العناوين التى عشت بينها فترات طويلة وأنا أحضر عددا كبيرا منها فى أنحاء الوطن العربى .

لم اشغل نفسى كثيرا بالرقم بقدر ما كان دافعا لى لانشغالى (الدائم) عن السؤال الغائب من كل هذه اللقاءات العلمية أو شبه العلمية التى عقدت ، والذى تمثل فى ماذا نفعل ؟ ، وكثيرا ما قرأت هذا السؤال بشكل مختلف لكنه لم يغير خطابه الرئيسى مثل هذا الباحث الذى انهى بحثه فى بيروت وهو يقول ، ولما كان هذا البحث لايدخل فيه السؤال ، ما العمل ، فإن ... ، وراح ينهى خطابه بسرعة كأنه ينزع شيئا ثقيلا من على كتفيه ، رغم ان البديهى انه كان علينا ان نتحدث عما يجب أن نفعل لا أن نشغل أنفسنا طويلا بهذا النظام فى مرحلته الأخيرة (الرأسمالية المتوحشة) .

كان يجب أن نقلع عن السؤال ما العمل، والذى نكتفى به دائما.

وهو سؤال زاد من أهميته حين كان محاضرونا يذكروننا ـ فى الأغلب ـ بهذه الأخطار التى تحيق بالبشرية، أو التى تمضى فى طريقها لاتلوى على شىء للاستحواذ على العالم منذ انتهاء حرب الخليج الثانية حين قال بوش: الآن بدأ

---

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ٦ / ٩٨ مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

النظام العالمي الجديد ونسينا عبارة رزفلت في نهاية الحرب الثانية (الآن يجب أمركة العالم) وللحق ، فإن الذى سمعت منه هذه العبارة بشكل واضح هو الأستاذ الكبير السيد يسين حين جاء صوته عبر الأثير أننا يجب أن نسأل أنفسنا في هذه المواجهة كيف يمكننا الإبداع المقاوم ؟ قبل أن يشير إلى هذا بشكل عابر في هذه الندوة التى عقدت الآن بمركز رامتان (بيت طه حسين) .

ومادمنا إلى هذه الندوات . التى يشرف عليها الصديق محمد نوار مدير المركز الثقافي « رامتان» لنرى صور ردود الأفعال التى لم تعرض بشكل مباشر، ولكنها كانت تتناثر عبر المنصة والمتفرجين بشكل غير منظم ، لكنها. على أية حال . كانت تشير إلى هذه الروح السائدة الروح التى كانت تعدد المخاطر لتشير من طرف خفي - وربما غير مقصود - إلى كيفية المجابهة ، أو بشكل مباشر « كيف يمكن أن نقاوم هذه العولمة ، النقطة الأخيرة في الرأسمالية الشرسة في الشمال الأمريكي.

وسوف اختار مواقف أو عبارات سريعة لأدلل بها على هذه الروح في قلب الانسان العربي، وسوف يكون ذلك لهذه الندوة التى شارك فيها عدد من شتى التيارات .

تحدث طويلا المحاضرون الثلاث : السيد ياسين و د. رؤوف عباس و د. مجدى عبد الحافظ فكان الموضوع المحدد سلفا (ذاكرة الأمة والعولمة) ودارت الندوة كأية ندوة حول طبيعة العولمة والعلاقة بينها وبين التبعية أو الهيمنة وتجليات.العولمة ومخاطرها (أفاض في الندوات السابقة عدد كبير من المحاضرين عن هذه المخاطر لعل من أهمهم كان كل من د. حامد عمار و د. جلال أمين دون أن يقدما إجابات ناجعة لمخاطر العولمة)، وأشير ، خاصة ، لدى د. عبد الحافظ إلى مصطلحي « ذاكرة / الأمة » .

كان أهم مالفت نظرى في كلمة السيد يسين هو الحديث عن التجليات وتصنيفها، وحين وقف عند بعض المخاطر أشار إلى (معاهدات السلام ، فبعضها يحاول محو الذاكرة التاريخية وهو ما يتم بمحو أية عبارة - داخل الاتفاقات . أية عبارة تدين اسرائيل أو تهاجمها لمواقفها العنيفة والعنصرية (فهذا تزييف للتاريخ) نافين صفة الحرب أن تلتصق بها الحرب في أية معاهدة وكأنما نحن الذين بدأنا الحروب ، فحروبنا . يضيف المفكر الكبير - ان حروبنا عادلة لا استعمارية ، وهو ما نجده في تفريعات هذه الاتفاقات كمعاهدات الشرق الأوسط وما يسمى بدعم

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ٦ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

سياسة السلام ومخادعتنا بالكلام المعسول لليونسكو فى القول المأثور من أن الحرب تبدأ فى عقول البشرية ، أية عقول ، سأل واجاب ـ انها عقول المعتدين كما أننا نغرى بالحديث عن ثقافة السلام ، أىّ سلام ؟ سأل مرة أخرى .

ان ما يروج فى عصر العولمة إذن مثل هذه العبارات وتنتقل فى وسائلها عبر الأنترنت ، الهوهو ما يحتم علينا. وهنا تبدأ لهجة الوعى المقاوم بالمخاطر على الذاكرة الوطنية ، والتنبه إلى الإحياء الثقافى ، او هو ما يشترط احياء الذاكرة العربية. نحن من انصار حوار الحضارات لا (صدام الحضارات) كما يروجون على الشاطىء الآخر من الأطلنطى ، ان حوار الحضارات يعنى (احياء ثقافيا) لمواجهة العولمة .

القضية هى ـ كما أضاف ـ ضرورة احياء الذاكرة التاريخية .

كان أحد المحاضرين قد تحدث عن المصطلحات (الذاكرة / الأمة) فى سياق رؤيته، فواصل السيد يسين حديثه ، حين عرض للتطور التاريخى لنا فى العصر الحديث (منذ مائتى عام) محذرا من كثير من الاخطار التى يمكن أن تحيق بنا إذا لم نتنبه لهذه الاخطار، مرددا ما قيل من أن (العولمة السعيدة لمن يعرف ألا يكون ضحيتها) .

وهو يقترب أكثر من معنى المقاومة .

لقد راح يذكر صورا كثيرة للمقاومة يذكر مثلين، الأول ، هو مؤتمر الـ ١٥ وكيف كان له أن يواجه حملة (العولمة) الشرسة ضد انسان العالم الثالث والمثال الآخر راح ينبه فيه الذاكرة الوطنية الى النظم الإستبدادية التى يمكن أن نجدها فى اوطاننا العربية ، ان بعض شعوبنا تعانى من خطر النظم الاستبدادية ، وهنا قال بوضوح أكثر: ان السياسة العربية استعمرت الشعوب الآن ، إذن نتحدث عن العولمة وننسى النقد الذاتى ؟ .

لم ينس مفكر علم الاجتماع ان يتحدث ان الغرب بشكل عام يتعامل معنا بمكيالين ـ مايزال . وراح يذكر كيف أرسلت مصر شحنة لأوروبا فرفضت لأن داخل العمالة التى قامت بهذه الشحنة أطفال ، وهذا ضد حقوق الانسان ، أليس هذا ، راح يسأل، استغلالا لنظم الهيمنة التى تنحت من لحم الشعوب الفقيرة . فماذا إذن – راح يسأل أكثر – عما تفعله اسرائيل بالأطفال العرب ، وماذا ارتكبته من مذابح (توجد مقولة ساذجة عن مذبحة دير ياسين أو مذبحتين او ثلاث بينما التاريخ والمؤرخون الجدد فى اسرائيل يذكرون اكثر من مائتى مذبحة قامت بها

---

* – جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ٦ / ٩٨ مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

العصابات الصهيونية بين عام ٤٧/ ١٩٤٨ في فلسطين) .

علا صوت أحد المناقشين ، انضم إليه آخر، بدت اتهامات ضد اليسار ، ومن افراده . هم اكثر من غيرهم حديث عن العولمة ومظاهرها ، وفي هذا الوقت بالذات والتلميح . لايخفى على أحد، وان ـ اكثر من مناقش راح يردد ـ ان الاسلام اول من عرف العولمة ولكن بمصطلحاته النقية ، واننا يجب ان نتنبه إلى العولمة دون ان نكون يساريين ثم ان العولمة في معناها العام ضد الاسلام ، ان لدينا قيما . فلماذا نلجأ للقيم الأخرى الشائعة .. الخ .

لم يتمسك السيد يسين بالصمت ، وانما أبلى بلاءً حسنا فالعولمة . كما راح يردد . ليست ضد الاسلام أو حتى اليسار ، وان من هو ضد اليسار هي العولمة بمعناها الغربي (الاستعماري) أما اختزال العولمة بشكل عام فهذا غير صحيح اثر ان يصمت قليلا ليترك خيط الحديث لآخر .

راح د. رؤوف عباس يوغل في الحديث عن هذه القيم التي يتحدث عنها ، وعن الذات والذاكرة التي ينكر البعض انها موجودة الآن ولكنها موجودة قبل الآن في الاسلام ، رافضين ان تكون لهذه المصطلحات مرجعية عربية معاصرة .

ان التغافل عن الآخر كما أكد أستاذ التاريخ ـ ليس معناه ان الآخر غير موجود ، ولماذا نرفض الواقع الذى نعيش فيه الآن ثم لماذا نرفض مصطلحاته وشروحه ومعانيه وتطبيقاته .

ولماذا ننسى متعمدين ان أمامنا وضعا محددا لابد من التعامل معه ، ان هذا بالضبط ، المواجهة . هو ما فعله الاسلام منذ سنواته الأولى لم يرفض التحاور مع الحضارات الأخرى ، استفاد الاسلام من التراث والحضارات السابقة عليه (ثم راح يعدها) واستوعبها جميعا بعد تحاور شجاع ثم راح يستيعيد . على ضوء هويته وتعميقها والإفادة من غيره لوقايتها . في التحاور مع الآخر .

* الإبداع المقاوم كان ـ اذن ـ من صميم الإسلام .

وحين جاء صوت د. مجدى عبد الحافظ ، كان لابد ان نبدأ معه مع البديهيات حول المصطلحات محددا هذه المصطلحات ، مؤكدا اننا لم نعرفها، كما هي الآن . في السياق الغربي ، وان هذا لايعنينا ، وان ما يعنينا هو أن نركن لمعنى المصطلح إلى فترة معينة دون أن نلتفت إلى تطوره في سيرته في مرحلة أخرى

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ٦ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

كالتي نعيشها الآن ، وقد سعى د. عبد الحافظ إلى فك الاشتباك بين مصطلحات العولمة والهيمنة على ان العولمة تطور تاريخي موضوعي والهيمنة انتعاش موازين القوى السياسية فى العالم وسيطرة قطب واحد وتحويله للهيمنة لتكون هيمنة، والاشكالية الرئيسية عنده هي ذلك الخلط والدمج والتعامل مع المصطلحين كمصطلح واحد بل ان مقولة العولمة هنا تعني انها ليس شيئا موضوع اختيار، ومع ذلك ، يمكن ان نرفض ونناضل ضد الهيمنة، وأوضح أكثر فكرته حين أشار إلى ان العولمة هى الأنترنت والسماوات المفتوحة والشعور بتهديد البنية الخ ويجب ألا ننسى أن العولمة فى مجال الذاكرة الوطنية هي التى انقذت آثار النوبة وأبو سمبل .

وأتصور ـ اضاف ـ ان الهوايات الثقافية للأم وذاكرتها مصدر ثراء للعولمة وهي عنصر لتقدم الحضارة الحديثة وفي الوقت نفسه النقد الموجه للنزعة العرقية الأوروبية وهى سبب أزمة الحداثة الحالية . فأزمة الثقافات فى العالم الثالث لم تول بالاهتمام لتوجه انتقاداتها لممارسات الحداثة وفي موضع آخر حين أكد هل آن لنا ان نتعلم من الكائنات الحية وراح يبين ان الذاكرة فى علم البيولوجيا هى الوظيفة العامة للجهاز العصبي وهى القدرة التى تحوزها الكائنات الحية فى حفظ تراث الماضى أو تعديل سلوكها توظيفا لخبرتها كما تعتمد هذه الملكية ـ الذاكرة ـ على التعليم والتدريب .

وهنا وَجدت هذه الشروح للمصطلحات وسيرها مقاومة شديدة من عديد من الاسلاميين ففى القرآن الكريم كل هذه المصطلحات . وان ديننا الحنيف لم يفرط في شيء ، وهو مادعا السيد يسين للتدخل أكثر من مرة ليدافع عن الذاكرة والأمة ، ويحاول اعادة تفسيرها فى ضوء الحاضر ، تاركا الكلمة الأخيرة للدكتور مجدى لكي يتحدث عن انه لايملك البلاغة لكنه يملك المنطق ، فان السبب الاساسى لتخلفنا هو الخلط بين الخطاب الانفعالي والخطاب العقلانى المنطقى ، وتضيع الحقيقة بين الإثنين .

فى الدقائق الأخيرة راح السيد يسين يسأل . هل نستطيع انتاج منظومة ثقافية خاصة بنا أم لا ومع وجود الخصوصية الثقافية ، يجب ان نسأل السؤال الثاني : هل هى منغلقة أم لا ؟ ثم وعاد صوت د. رؤوف عباس يطالب بالترشيد، ترشيد العقل فى عصر العولمة . وراح يسأل ، ماذا فعلنا ؟ .

خرجت من الندوة وأنا أمضى إلى بيتى فى طريق مظلم وتحوطنى أسئلة كثيرة

* – جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ٦ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

طرحتها فى الندوات السابقة والندوات التى سأحضرها واذن ماذا نفعل ؟ أقصد كيف تقاوم ؟ إن المقاومة تملك موقف واعيا من الاحداث الجارية حولنا، وهو موقف انسانى فى المقام الأول ، إذن كيف نمتلك موقفا واعيا فى زمن المواقف المانعة أو المضللة؟

متى نتخذ موقفا دون النظر إلى الخلف قط ، اللهم إلا بقدر ما نتحصن به من أعاصير الحاضر ، كيف تمتلك المعرفة (القوة) ؟ كيف نمتلك انفسنا فى عصر الآخرين ؟ كيف ننفصل لنتصل ؟ كيف نمتلك عالمنا فى عصر العولمة ؟ .وكيف ...

ابتلعنى الظلام الكثيف فى الشارع الطويل ....

* - جريدة الأهرام بتاريخ ١٥ / ٦ / ٩٨مقال للدكتور / مصطفى عبد الغنى .

الإبحار فى محيط العولمة *

« علـى عكس فريق الرافضين للعـولمة ـ بناء على حجج شتى ـ فى مؤتمر « العولمة وقضايا الهوية الثقافية » هناك فريق آخر تبنى شعارا واضحا لا لبس فيه مؤداه مهما تكن أخطار العولمة وسلبياتها دعونا نبحر فى محيطها بدون إبطاء ، مسلحين فى ذلك بنظرة نقدية متفائلة ! وقد بنى هذا الفريق وجهة نظره على أساس نقطة أساسية مفادها أن الخلاف لاينبغى أن يتركز على العولمة ذاتها . لأنها تحققت فعلا فى أغلب الميادين وأبرزها المجال الاقتصادى ، وفى سبيلها إلى التحقق فى باقى الميادين السياسية والثقافية ، ولكن الخلاف ينبغى أن يتركز على محتوى العولمة وشكلها .

ويقف على رأس المنادين بالإبحار فى محيط العولمة، الكاتب السورى المعروف محيى الدين اللاذقانى فى بحثه المعنون « تساؤلات كونية فى عالم بلا هوية » ولأنه يقدم اطروحة متكاملة ، فهو يستحق ان نقف أمام افكاره لتحليل المنطق الكامن وراء أطروحته » .

العولمة والهوية العربية : *

من المخاوف التى أظهرتها بعض الكتابات العربية الخشية من غزو العولمة بموجاتها المتدفقة للهوية العربية، والمشكلة فى أبرز هذه المخاوف مزدوجة ، فأولا ليس هناك دليل على ان اتجاه العولمة بالضرورة يهدف إلى محو الهويات الثقافية المتعددة ، ذلك ان العولمة ليست بحاجة بالضرورة إلى فرض نظام ثقافى موحد على كل أنحاء العالم، ومن ناحية أخرى، لأن هناك استحالة أمام كل من يخطط لمحو التعدد الثقافى العالمى. فالثقافات وان كانت تنشأ وتتطور، وتزيد فاعليتها فى مراحل المد التاريخى ، وتذوى وتضعف فى عهود الانحسار والتراجع ، إلا أنها مع ذلك تبقى وتستمر . وإن كانت تتغير عبر الزمن . لأنها تعبر عن جماعات بشرية بعينها لها تاريخها الإجتماعى الفريد الذى لايمكن محوه ، ولا إزالة آثاره، ولا إلغاؤه ليستبدل بنزعات عولمية جديدة .

والمشكلة الثانية أن الحديث عن الهوية أيا كانت ، عادة ما يصاغ فى عبارات فضفاضة تفتقر إلى الدقة والتحديد ، بالإضافة إلى أن إبراز خطاب الهوية

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الكاتب / السيد يسين .

والخصوصية الثقافية فى بعض المراحل التاريخية، عادة ما يكون نوعا من أنواع المقاومة غير المباشرة للأفكار العالمية الجديدة والنقدية، والتى من شأنها أن تزعزع المواقع التقليدية لنخب سياسية حاكمة تخشى من التجديد، وتحتمى بالقيم حفاظا على مصالحها الطبقية أو مكانتها المعنوية أو السياسية أو الثقافية خذ على سبيل المثال رفض المعايير العالمية لحقوق الإنسان بحجة الخصوصية الثقافية أو رفض الديمقراطية الغربية على أساس أن لدينا نظام الشورى، مع أنه لايمارس فى التطبيق إطلاقا، بالرغم من رفع شعاراته وأعلامه .

غير أنه أهم من ذلك كله ان الحديث يتم حول الهوية العربية وكأننا اتفقنا قبلا على محتواها، ونعرف حقيقة سماتها البارزة وليس هذا صحيحا على وجه الإطلاق فهناك صراع ثقافى دائر ومحتدم بين جماعات سياسية وثقافية عربية شتى حول الهوية العربية ، هناك الصراع أولاً بين القوميين والإسلاميين والذى يدور حول سؤال هل نحن عرب أم لا .. أم نحن مسلمون أساسا ؟ وبعبارة أخرى يدور الخلاف بين أنصار الهوية القومية العربية والهوية الإسلامية ، بكل ما يترتب على ذلك من نتائج سياسية وثقافية خطيرة. من ناحية أخرى برز فى السنوات الأخيرة على الخصوص الصراع بين أنصار الرؤية العلمانية للدولة والمجتمع والثقافة ، وأنصار الرؤية الاسلامية والنظام العربى التى ترتفع صيحات بعض كتابه للتنديد بها، والتحذير من اخطارها ، هو أشد ما يكون حاجة لكى تغزوه موجات العولمة ! فالمجتمع العربى فى رأيهم يعيش فى ظل أنظمة سياسية مستبدة، تقوم أساسا على قمع مؤسسات المجتمع المدنى ، وقهر المواطنين، وأخطر من ذلك أن عديدا من هذه الأنظمة ربطت مصالحها السياسية بدول أجنبية، وبغض النظر عن المصالح الوطنية أو القومية فى بعض الحالات .

ومن هنا فإنه من غير المفهوم . كما يقرر اللاذقانى . ذلك التشكيك المبالغ فيه بالعولمة وتطبيقاتها، لأن مجتمعاتنا أكثر حاجة من غيرها للتدفق الحر للمعلومات، ولتوطين التكنولوجيا ، وتوسيع آفاق حرية التعبير ، وإيجاد ضمانات دولية لتطبيق حقوق الإنسان، وحقوق الأقليات ، والحفاظ على التنوع الأثنى المثمر، الذى لايتحول إلى عائق وعاهة إلا فى ظروف الإستبداد السياسى وسيادة

---

* - جريدة الأهرام بتاريخ ٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الكاتب / السيد يسين .

النظرة الأحادية المتعصبة، التى تجهض كل حوار إنسانى خلاّق .

ولعل السؤال الذى يطرح نفسه إذا كانت هناك ثقافة سياسية كونية آخذة فى التبلور والذيوع والانتشار، تركز على الديمقراطية والتعددية وضرورة احترام حقوق الإنسان . فهل المجتمع العربى سيسير . كما تفعل فى الوقت الراهن مجتمعات معاصرة شتى . فى مسيرة الانتقال من الشمولية والتسلطية بكل أشكالها إلى الديمقراطية مع تعدد صورها ؟. أم أن هناك عقبات ستمنعه من هذا التطور اللازم فى عصر العولمة السياسية والإقتصادية والثقافية ؟

فى هذا الصدد يطرح محيى الدين اللاذقانى مجموعة أسئلة تستحق التأمل .

السؤال الأول : « هل النخب العربية قادرة على قيادة تحولات باتجاه لبيرالية مطلقة تفرضها الكونية الجديدة ، التى تتسامح فى قضايا الفولكلور والتنوع الثقافى ولا تقدم أية تنازلات لأى شكل من أشكال الاستبداد السياسى » ؟ .

السؤال الثانى : هل تلك النخب قادرة على توطين التكنولوجيا والاستجابة لتحديات الثقافة « التكنولوجيا » ؟ .

السؤال الثالث : هل الخيال السياسى العربى يعمل بالتوازى مع النخب الفكرية العربية ، أم أن القطيعة بين الإثنين مرئية وحتمية » ؟ .

السؤال الرابع : هل نحن على استعداد نفسى . مع توافر الإمكانيات . لأن نفعل كما فعلت اليابان التى انفقت عشرات المليارات على حركة الترجمة لتضع شعبها ومؤسساتها الأكاديمية على قدم المساواة معرفيا مع العالم الذى كانت تقوم عليها العولمة المعاصرة ـ وهو حين يطرح السؤال ـ المشروع فى ذاته . حول قابلية النموذج الغربى نفسه للتعميم ، بعد اقترابه ، كما يقرر ، من الإفلاس ، وفشل تجارب قرنين من التغريب القسرى للعالم وشعوبه فهو فى الواقع ينتهى بما كان ينبغى ان يبدأ به ، وهو مشكلة النموذج الحضارى الذى صيغت العولمة على أساسه ذلك أن اتخاذ موقف تقويمى محدد من النموذج الغربى ، هو الذى سيحسم القضية المثارة الآن فى الفكر السياسى العربى هل تناضل ضد العولمة، أم نقتحم بكل جسارة غمراتها، ونتفاعل تفاعلا ايجابيا خلاقا مع مختلف تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية ؟ .

---

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الكاتب / السيد يسين .

هذا السؤال ـ المشكلة ـ يعود بنا مرة أخرى إلى المناظرات الفكرية العربية التى دارت فى إطار الفكر العربى الحديث منذ مطلع النهضة ولم تتوقف حتى اليوم .

ومع كل ذلك ينبغى ألا نعتبر اللاذقانى وغيره من الكتاب العرب الذين يتحمسون للدخول بجسارة فى عالم العولمة، يوافقون هكذا على كل اتجاهاتها. بل انهم لمدركون ادراكا دقيقا للسلبيات التى ترافق التطبيقات الراهنة للعولمة . ودليلنا على ذلك ما ذهب إليه اللاذقانى قرب ختام دراسته ، ومع الحماس للهوية الكونية، لايستطيع الفكر النزيه إلا أن يحذر من بعض المخاطر التى سترافقها .

معنى هذه العبارة الاستدراكية أن الخلاف حول العولمة مازال موصولا ، ومن هنا أهمية التحليل النقدى للخطاب العربى حول مختلف تجلياتها .

---

* — جريدة الأهرام بتاريخ ٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الكاتب / السيد يسين .

« الهجرة » .. و « العولمة » ؟ !*

(العولمة) كما أشار إليها د. اسماعيل صبرى عبد الله هى التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة دون حاجة إلى إجراءات حكومية. فهل المعنى ـ كما ذهب السيد ياسين . أن يتم هذا التداخل أو التوحيد، بسرا، أم ان (العولمة) تمثل لحظة من لحظات تطور النظام الرأسمالى العالمى ولا مفر من التكيف الإيجابى معها ، مهما كانت السلبيات . أم أنه يعتبر غزوا صارخا للهوية الثقافية ؟ .

أيا ما كان الأمر ، فإننا أمام ظاهرة (كوكبة) أو (عالمية) تتبلور شيئا فشيئا، مقدر لها أن تسود العالم، كرها أو طواعية. مع ملاحظة أن القسر والطواعية لن يكونا ـ من وجهة نظرنا على الأقل ـ عن طريق هيمنة القوة الممثلة فى الصاروخ والطائرة والمدفع، وإنما يحدث التغيير وفق آليات وقواعد تحكم أسواق الإنتاج . كما حدث فى الكتلة الشرقية . يستوى فى ذلك الإنتاج الصناعى والزراعى والإنتاج الفكرى والعلمى والمعرفى ، ووسيلة هذا الانتشار الاعلام المرئى والمسموع والمقروء والذى بلغ من (التقنية) درجة جعلت من العالم ، شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، قرية صغيرة، تتحدث دفعة واحدة، مهما تعددت الألسنة وتنوعت العادات ، داخل الحدود الجغرافية التى ستبدو ، هى الأخرى مثل الخطوط الوهمية، فى ظل هذه (العولمة) وان كانت ستبقى كشاهد يرمز لسيادة الدول على أراضيها .

فى عالمنا العربى الإسلامى .. قد يصدمنا تيار (العولمة) فى البداية .. وقد نخشاه على موروثاتنا العقيدية والثقافية .. وقد نصطدم معه، كما نصطدم مع تيار (العلمانية) الذى لايكتفى أحيانا بفصل الدين عن المجتمع، بل يبالغ بعض الحاملين لرايته، فيجعل من الأديان مجرد أساطير لدغدغة مشاعر الشعوب ، وفى أحسن الفروض يعتبرها علاقة بين الله والإنسان ، ولا شأن لها بعد ذلك فى مجتمعاتها .

---

* ـ جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٤ / ٩٨مقال للأستاذ الكاتب / على عيّاد .

ولحسن الحظ ، فإن هؤلاء وأولئك ما يلبثون ، بعد زمن يقصر أو يطول، يعودون إلى ظلال الإيمان ، ولعل أبرز مثل قريب هنا هو فيلسوف العرب المعاصر د. عبد الرحمن بدوى الذى بدأ رحلته العلمية والفلسفية وجوديا ملحدا ، ووصل أخيرا إلى شاطىء الحقيقة الفطرية ، وأصدر بالفرنسية كتباه الثرى ، الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ، والذى يعد بمثابة ضربة فى مقتل لظاهرة (الاستشراق) التى أساءت للإسلام ممثلا فى قرآنه ورسوله .

أقول .. قد يصدمنا كل ذلك أو بعضه، غير أننا إذا دققنا النظر فى تاريخنا وتراثنا وثقافتنا وحضارتنا الممتدة عبر الزمان والمكان فإننا سوف ندرك ان فى مقدرونا، بشىء من الحذر والترقب، ان نستقبل ، دون وجل، ظاهرة (العولمة) نأخذ منها ايجابياتها وندع سلبياتها وخاصة فى مجالاتها الثقافية التى ربما تكون مصر، فى عالمها العربى والإسلامى قد تنبهت إلى ذلك ومارسته فعلا، حين تعددت قنوات تليفزيونها وامتدت ساعات الإرسال القومى لتشغل الليل والنهار، بهدف الحفاظ على تقاليدنا من التأثر بالسىء مما تبثه قنوات الاتصال الفضائية .

إذا عدنا إلى الحضارة العربية الإسلامية، وجدنا البداية متمثلة فى (الهجرة النبوية) من مكة إلى المدينة .. فهذه الهجرة لم تكن مجرد انتقال من مكان إلى آخر، أو هروب من المواجهة وإنما كانت فى جوهرها انطلاقا نحو المستقبل .

ففى (المدينة المنورة) كان على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ان يضع أسس المجتمع الجديد ، وجاءت البداية لتؤكد وحدة الصف والهدف ، وتصفية الطابور الخامس ، واحلال الألفة والمودة محل التنافر والتباغض ووضع القواعد العامة للنظام الاقتصادى الآمن العام فى الداخل والخارج ، وتوجيه العلاقات السياسية على المستوى المحلى والدولى.. أى أن (المدينة) بعد (الهجرة) كانت البداية (للعولمة) او انتشار الرسالة الجديدة على مستوى عالمى .

وقبل ان ينقضى القرن الهجرى الأول ، كانت الدولةالعربية قد ضمت أمما وشعوبا ، اغلبيتها العددية من غير المسلمين، وبلغت الفتوحات فى الشرق للشمال الشرقى للقارة الهندية والأفغان وما وراء النهر، وفى الغرب وصلت إلى قلب الأندلس حتى غدت أكبر امبراطوريات تلك التاريخ ... وحرص المسلمون وهم

---

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٤ / ٩٨مقال للأستاذ الكاتب / على عيّاد .

يؤسسون حضارتهم على الاستفادة من المواريث الحضارية التى وجدوها فى البلاد التى دخلوها .. وهذا يعنى . كما يقول د. محمد عمارة . ان التواصل والتزامل والتفاعل مع أهل (وحضارات) الديانات الأخرى أمر لامفر منه ، بل هو واجب ينشط إليه المسلمون ويسعون .

إن معنى ذلك فى رأينا، أن الحضارات أخذ وعطاء ، وان الناس والمجتمعات على تعددهاواختلافها لايمكن ان تعيش فى عزلة عما يجرى على مرآى منها.. وإذا كان الإنسان منذ مئات السنين قد تعامل مع نظيره، عابرا حدود وطنه، مرتحلا طلبا للعلم أو للتجارة والتربح، او لاكتشاف العالم من حوله.. فإن إنسان زماننا والزمن الآتى ، يكون اكثر تأثرا وتأثيرا بفعل ثورة الاتصال التى قربت المسافات واختصرت الزمن .

والأمر كذلك .. فما الخوف إذن من ظاهرة (العولمة)مادامت فى حد ذاتها تمثل عطاءً انسانيا يستهدف خير البشر، بالرغم من ادراكنا انه (عطاء) يتستر (بغطاء) هيمنة معنوية، علينا أن نتعامل معها بعقل وفكر وأسلوب حضارتنا التى دخلت مع الآخر فى صراع ، كان ومازال ممتدا منذ خمسة عشر قرنا ، وبالرغم من ذلك فمازال عطاء هذه الحضارة مستمرا محتفظا بزخمه وبهويته وشخصيته رغم ضراوة التحدى ، وما علينا فى هذا الصدد سوى أن نصطحب ، فى رحلتنا للمستقبل درس التاريخ .

* – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٤ / ٩٨مقال للأستاذ الكاتب / على عيّاد .

(العولمة وقضايا الهوية الثقافية ؟) (١) .

جاء فيه :

« انتهى الخميس الماضى مؤتمر (العولمة وقضايا الهوية الثقافية) وهو المؤتمر الذى سبقه مؤتمرات مشابهة فى الكيف والرؤية ، لكن لم تشابهه فى خطورة القضية التى طرحت على بساط البحث والتأمل والنقاش الحادث فى أحيان كثيرة بين المنصة والحاضرين .

فقضية الهوية فى هذا العالم اللانهائى عالم الشمال هى قضية الخصوصية وهى قضية العمق الإنسانى للمواطن العربى الذى يعيش فى نهاية القرن العشرين ورغم أن هذه الهوية هدرت كثيرا فى الظروف السابقة ، بدءا بسقوط الدولة الأموية ومرورا بالصليبيين والمغول ووصولا إلى الأحداث الخطرة التى لم تنل من الهوية بمعناها الثقافى إلا أنها نالت الاقتصاد والاجتماع الإنسانى العربى . رغم هذا ، فإن هذه الحقبة الأخيرة شهدت من مخاطر (العولمة) ما جعل المجلس الأعلى للشباب يقيم لها هذا المؤتمر ويتوقف خاصة فيه عند الهوية الثقافية .

وعلى مدى الأيام بين ١٢ ، ١٦ شهدت مكتبة القاهرة جلسات صباحية ومسائية اشترك فيها عدد كبير من المثقفين من شتى أنحاء العالم ، وتركزت القضايا الرئيسية على العولمة فى الزمن العربى المعاصر فراح يكتب عنها فالح عبد الجبار وحازم البيلاوى كما كتب على حرب وسالم يفوت وعبد السلام المسدى ووحيد كوثرانى وبيتر جران وحسن حنفى وفهمية شرف الدين وحلمى شعراوى وشوقى جلال وجلال أمين وعبد القادر الزغل... إلى جانب عدد هائل آخر لم يتردد فى المشاركة فى المناقشات الساخنة التى شهدتها مكتبة القاهرة .

* وإلى جانب التركيز الذى بدا فى فهم الهوية فى اطار العولمة ، لوحظ ان مفهوم العولمة – نفسه – رغم بداهته ، لاقى اختلافات كثيرة فى درجة الفهم والطرح طيلة أيام المؤتمر ...فالبعض راح يراه سياسيا والبعض الثانى راح يراه اقتصادياً والبعض الثالث راح يراه ثقافيا . البعض راح يراه اوروبيا (ولا يلغى دور الولايات المتحدة على اعتبار أن اوروبا من قارات الشمال التى تنتمى إليها الولايات

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٩٨ ص ٢٢ كتب المقال د. مصطفى عبد الغنى .

المتحدة) وفى حين راح البعض الآخر يراه امريكيا صرفا على اعتبار أن امريكا تمثل اكبر صاحب نصيب فى الشركات المتعددة الجنسيات التى تتحكم فى العالم، وصاحبة أكبر انتاج فى (الصناعات الثقافية) بما يشير إلى ان الاتفاق على نقطة محددة طيلة المؤتمر كانت مستحيلا أن ينتهى إليها أحد .

* بيد أن أكثر الأطراف تطرفا فى هذا كان رأى العراقى د. عصام خفاجى الذى رأى ان العولمة هى النظام فى حد ذاته ، وأن التقدم هو هدف فى حد ذاته ، ولم يتنبه إلى أن التقدم الذى يحتكره الغرب الآن انما يقتصر على الغرب فقط مما دفع عددا كبيرا من الحاضرين حتى من المنصة ، إلى انتقاد هذا الرأى .

فالمعلوماتية أو التكنولوجيا لايجب ان يفهم أى منهما على أنه فعل تام بدون هواجس أو التباسات .

* لوحظ أيضا أن عددا كبيرا راح يردد . رغم الكيفيات العلمية التى تَحَدَّث عنها الباحثون . ان التقدم العلمى أو المعلوماتى لايوازيه تقدم فى مستوى القراءة الهجائية أو العلمية فى المراحل الأولى من الدراسة .. وان ربط مصر يحتاج إلى تقدم يسهم به ليس فقط فى رفع القيمة الثقافية والتنمية التعليمية وانما فهم ما يجرى حولنا على مستوى العالم قبل ان تصبح (ريف العالم) وكأننا لم نصبح كذلك ؟

لقد راح البعض يردد فى حيرة كيف يمكننا إدخال التكنولوجيا الحديثة فى حين ان هناك هوة سحيقة بين المثقف والشارع . وقد خفّف من هذه الصورة القائمة بعض الحاضرين حين ختم د. هشام الشريف إحدى جلسات المؤتمر بأن البعد المستقبلى يتوقف على مهمتنا للإصلاح الاقتصادى وأن الانطلاق هو الذى يبدأ فى تحريك هذه النهضة ، وهو بهذا راح يثنى على الجهد البشرى الضخم الثرى عندنا .

* وكما بدأت جلسات المؤتمر بكلمات التفاؤل انتهت به . ففى يوم الافتتاح سأل د. جابر عصفور أن هدفا أساسيا من أهداف المؤمر هو تأكيد الهوية الثقافية فى موازاة العولمة أو فى مواجهتها .. كيف ؟ (1)

راح يجيب الأمين العام للمجلس الأعلى « من منظور الإبداع الذاتى الذى

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٩٨ ص ٢٢ كتب المقال د. مصطفى عبد الغنى .

يؤسس لمقاومتنا شروط الاتباع التى هى الوجه الفكرى من التبعية ، كما يؤسس رفضنا شروط التبعية التى هى المعادل الاقتصادى السياسى للإتباع الفكرى) .

وسمعنا عنه عبارة غاندى تدوى طيلة ايام المؤتمر تعبيرا عن مخاطر العولمة واجابة عن التخوف منها ، « لا أريد لبيتى ان تحيط به الأسوار من كل جانب إلى أن تسد نوافذه ، وإنما أريد بيتا تهب عليه بحرية تامة ثقافات الدنيا بأسرها ، لكن دون أن تقتلعنى إحداها من الأرض » .

وعلى هذا النحو ، فإن اليوم الأخير ـ الخميس الماضى ـ كان يشهد طلبا جماعيا سواء من المفكرين الجالسين على المنصة أو من المستمعين الجالسين على مقاعد الجمهور .. وهذا الطلب رفض ان ينهى المؤتمر جلساته مثل كل المؤتمرات الأخرى وإنما يجب ـ كان هذا يردد كثيرا ـ ألا نسمع توصيات (لاتنفذ فى الغالب) وإنما (خطة عمل) لمواجهة العولمة فى جدالها السلبى أو الإيجابى مع الهوية الثقافية .

وعلى هذا النحو ، علا صوت أحد المشاركين على المقاعد سمعنا عبارة نجيب عازورى فى عام ١٩٠٤ أن هناك ظاهرتين الآن تتكونان : الصهيونية والأمة العربية ، وها نحن فى نهاية القرن . هكذا قال أحد المشاركين فى النقاش وهو يقف فى مواجهة المنصة ، ها قد قامت اسرائيل التى نرى هذه الأيام وقد مرّ على قيامها خمسون عاما ، أما الأمة العربية فأين هى ؟ .

سؤال ظل يطرح نفسه ، بإجابته المحزنة ، بينما كان الحاضرون يستمعون إلى تفصيل لكلمة المهدى الصادق ليتحدث عن مخاطر العولمة (المهمشين) وما يجب ان نفعله لنتقى هذا المصير .

* وعلى هذا ، برهن المؤتمر طيلة أيامه الطويلة ، ونقاشاته التى تخللتها أوقات حيرة أو تفاؤل .. على أن عهد مؤتمرات التوصيات قد انتهى وحل الآن عهد مؤتمر المجلس الأعلى للثقافة التى تطرح الأفكار تحملها ، وتحولها إلى أسئلة فاعلة .. وهى أسئلة تصل إلى بعضها فيما بعد .. » . (١)

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٩٨ ص ٢٢ كتب المقال د. مصطفى عبد الغنى .

إحياء الفكر القومي لتفادى خطر « العولمة » ! (١)

أين نحن من ظاهرة « العولمة » التى يكاد تيارها أن يجرف أمامه كثيرا من خصوصيات الشعوب ، وأن يفكك الروابط القومية للأمم.. أين نحن ، كعرب ، وماذا نحن فاعلون لكى ندرء عن أنفسنا هذا الخطر المرعب بالمواجهة وليس بالهرب ، وبالتصدى وليس بالاختباء ، وبالمقاومة لبعض دعاوى الاستسلام للظاهرة وتداعياتها وكأنها قدر محتوم لا نملك منه فكاكا ولاطاقة لنا بتعديل مساره.

وبادىء ذى بدء أقول إننا لابد أن نسلم بأن ظاهرة « العولمة » باتت إحدى الحقائق المؤكدة فى عصرنا الراهن فى ظل ثورة الاتصالات والمعلومات التى حولت هذا العالم الفسيح على امتداد قاراته الست إلى قرية صغيرة مفتوحة على جميع الإتجاهات.

ثم لابد أن أقول أيضا فى البداية أن خطر « العولمة » لايمثل خطرا على أمة بعينها بقدر ما يمثله بالنسبة للأمة العربية ، وهو ما يدفعنا إلى الإلحاح على حتمية إحياء النزعة القومية التى لم تعد مجرد حلم كما كان الحال فى الماضى إبان حقبة الاستقطاب العالمى والصراع الأيدلوجى ، وإنما أصبحت الآن ـ فى ظل العولمة ـ ضرورة حتمية دفاعا عن الوجود وترسيخا للهوية ووقاية من الذوبان .

إذن .. فليس أمامنا من سبيل سوى توسيع قاعدة المعرفة وامتطاء جواد التقدم العلمى والولوج إلى الآفاق المستقبلية حتى لو كان ذلك من بوابة الخيال العلمى لأن كل الشواهد تشير إلى تسارع ملحوظ فى كم المعرفة الإنسانية التى تضاف إلى رصيد البشرية .

ومن بين أهم الكتب التى تتحدث عن « المستقبليات » كتاب صدر أخيرا تحت عنوان « رؤى Visions » للعالم اليابانى الشهير ميشيوكاكو الذى يعمل حاليا كأستاذ للفيزياء النظرية فى معهد هنرى سيمات التابع لجامعة مدينة نيويورك والذى يعتبر من أبرز المتخصصين فى تأليف الكتب المتخصصة فى قراءة المستقبل العلمى كان أشهرها كتابه « ما بعد اينشتاين » .

---

١ – مرسى عطا الله – خواطر سياسية وقضايا مستقبلية – مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

والذى يهمنى أن أشير إليه من بين سطور هذا الكتاب المهم الذى يقع فى أكثر من ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط وبلغة علمية متخصصة للغاية مجرد عبارة صغيرة تقول :

« ونحن نستعد لدخول القرن الحادى والعشرين ، فإن المقدر أن تكون لهذا التسارع التطورى فى حقول العلم والتكنولوجيا مضاعفات واسعة على ثروات الأمم ومستويات معيشتها .. وإنه على مدى القرون الثلاثة الماضية كانت الثروات تتكدس عند الدول التى تتمتع بالمصادر الطبيعية الغنية أو تلك التى تمكنت من تكديس رءوس الأموال الضخمة ، ومن ثم كان ظهور القوى العظمى فى اوروبا خلال القرن التاسع عشر والولايات المتحدة فى القرن العشرين مرتبطا بمدى القدرة على استغلال هذا المبدأ التقليدى ... ولكن يبدو أن هذا المبدأ قد أشرف على التقوض والإنهيار حيث يظهر مفهوم جديد لثروات الأمم بعيدا عن الثروات الطبيعية ورءوس الأموال المكدسة .. مفهوم جديد يرتكز على قوة العقل والخيال والقدرة على الابتكار والتحكم فى التكنولوجيا الجديدة » .

وكما نرى ، فإن هذه العبارة الموجزة التى لم ترد فيها أية إشارة مباشرة لظاهرة « العولمة » تحمل فى طياتها كل مكامن الخطر المرعب للعولمة والذى ينبغى أن نتهيأ له وأن نتحسب لكل احتمالاته التى بدونها تصبح كل قضايانا السياسية فى مهب الريح وتصبح كل طموحاتنا التنموية مجرد وهم أو سراب .

* * *

وربما يكون مدخلى للمناقشة وفتح باب الاجتهاد حول هذه القضية الحيوية يطرح سؤالا ضروريا هو :

هل نحن فى العالم العربى ـ فرادى أو مجموعات ـ يمكن أن نساير المفهوم الجديد الذى تتراجع فيه أهمية الثروات الطبيعية ورءوس الأموال المكدسة وتتقدم فيه مفاهيم الارتكاز على قوة العقل والخيال والقدرة على الابتكار والتحكم فى التكنولوجيا الجديدة ؟ (١)

ولكى أكون أكثر وضوحا فلعلى أقول أننى هنا لست بصدد فتح حوار حول

---

١ - مرسى عطا الله - خواطر سياسية وقضايا مستقبلية - مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

آفاق التقدم العلمى وأساليب اللحاق به فذلك أمر يدخل فى اختصاص العلماء والباحثين ، وبالتالى فإن مكانه ليس هنا ، وإنما فى دوائر البحث العلمى وعلى صفحات الدوريات العلمية المتخصصة .

ولكننى استهدف من فتح باب الحوار حول هذا الموضوع طرق ذات القضايا والشواغل السياسية والأمنية والاقتصادية ، ولكن من زاوية جديدة تختلف تماما عن زوايا استرجاع الماضى بحججه القانونية وثوابته الجغرافية ودروسه التاريخية .

أريد أن نجرب ولو مرة واحدة أن نتعامل مع عملية السلام فى الشرق الأوسط وخطر امتلاك إسرائيل للسلاح النووى واستمرار العجز عن انجاز حلم السوق العربية المشتركة من أرضية الرؤية المستقبلية فقط .

أريد أن نرى الأشياء وان نتعامل معها على أساس الواقع الذى نعيشه وليس على أساس « المفترض » الذى تقول به القواعد والقوانين والأعراف ، لأن الأوضاع الصعبة التى يمر بها الوطن العربى ناشئة فى معظمها عن بطء فى استيعاب ما وقع أخيرا من متغيرات دولية عميقة كان أبرز نتاجها تصاعد درجة وحجم الأزدواجية فى التعامل مع العرب بمنطق « الترهيب » ومع إسرائيل بالطبطبة والترغيب » .

ولست أتجاوز الحقيقة إذا قلت أن « الأزدواجية » أحد أهم ملامح عصر « العولمة » وإنه كلما ازدادت « العولمة » اتساعا ورسوخا برزت « الازدواجية » وتعددت مخاطرها وتداعياتها المخيفة خصوصا بالنسبة لنا، مادامت بقيت أوضاعنا المشتتة عاجزة عن صنع إرادة عربية موحدة تملك الوقوف يدا واحدة فى وجه هذا الوحش الكاسر المسمى بـ « العولمة » .

* * *

وربما تكمن هنا أهمية الدعوة المتكررة على مدى السنوات الأخيرة من جانب الرئيس مبارك من أجل إحياء فكرة السوق العربية المشتركة كمدخل يمكن من خلاله إقامة كيان عربى موحّد يحقق مصلحة الأمة بأسرها ولا يصطدم مع طموحات الزعامة عند البعض ولا الحساسيات القطرية عند البعض الآخر .(١)

بل إننى أستطيع أن أقول اجتهادا أن دعوة الرئيس مبارك لإحياء فكرة السوق

١ - مرسى عطا الله - خواطر سياسية وقضايا مستقبلية - مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

العربية المشتركة هي الخيار الوحيد المتاح أمامنا حاليا لمواجهة خطر العولمة قبل أن يستفحل ضرره .. ولتكن البداية على الصعيد الاقتصادى الذى تمثّل العولمة أحد أهم مجالاته وأهدافه أيضا !

ثم إننى أضيف إلى ذلك اعتقادى بأن الرئيس مبارك بما يملك من قدرة هائلة على استشراف المستقبل لم يشأ أن يحدث ذعراً فى النفوس العربية بما يستشعره من مخاطر قادمة على أمتنا فى ظل « العولمة» ومن ثم فانه قفز مباشرة إلى ما ينبغى عمله لدرء هذه المخاطر قبل وقوعها من خلال بوابة السوق العربية المشتركة.

كان هدف الرئيس مبارك فى دعوته لإحياء فكرة السوق العربية المشتركة ـ منذ أكثر من ثلاثة أعوام ـ أن يقول للجميع انتبهوا .. فليس أمامنا من سبيل لمجاراة العصر الذى تتسارع تطوراته ومتغيراته إلا بفكر جديد ولغة جديدة عن طريق توثيق الروابط الاقتصادية والتجارية والمالية من أجل توحيدها فى النهاية لخدمة أهداف الصمود أمام مخاطر « العولمة » وتحديات القرن الجديد .

كان هدف مبارك ـ فى اعتقادى ـ أن ينبه الكل إلى أن بقاء التشتت العربى يعنى أننا قد أعلنا استسلامنا لخطر « العولمة » لكى يتم التهامنا فرادى قطرا بعد قطر، وبالتالى سوف نذوب تلقائيا فى بحر العولمة وتغرق معها نحو القاع مصالحنا الإقتصادية وخصوصيتنا القومية وثقافتنا العربية والإسلامية .

لم يكن هدف مبارك إذن مجرد الدعوة لبناء تكتل اقتصادى بمفهوم مادى فقط ، وإنما كان الهدف هدفا استراتيجيا بعيد المدى لكى يؤدى فى النهاية إلى وقفة مع النفس والذات لمراجعة شاملة تتناول كل سبل المواجهة الضرورية لمخاطر « العولمة » .

ولست أظن أن أحدا يمكن أن يجادل فى أن ما ترصده عيوننا وما تحلله عقولنا بشأن بانوراما المتغيرات الدولية المتسارعة، لا يترك أمام أمتنا العربية أى خيار سوى مزيد من التماسك والترابط والتوحد ونسيان الماضى بكل مثالبه والمسارعة بقراءة المستقبل بكل تحدياته . (1)

* * *

---

١ – مرسى عطا الله – خواطر سياسية وقضايا مستقبلية – مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

إن الماضى يمكن أن يصلح قاعدة للإنطلاق نحو المستقبل ولكن فى غيبة التطور فى المفاهيم والأساليب ، فقد تتحول دفة الانطلاق نحو الخلف كسلاح فاسد يرتد إلى الصدور بدلا من أن يصيب الهدف المقصود ! .

بالتالى ، فإن الحديث عن غد عربى يبعث على الاطمئنان ، يبدأ من نقطة القدرة على الإمساك بالمنهج العلمى فى التعامل مع الأشياء .

وربما يكون ذلك مدخلى للحديث عن أهمية استثمار دعوة الرئيس مبارك لإحياء فكرة السوق العربية المشتركة ليس فقط من أجل تقوية الروابط المالية والتجارية والإقتصادية بين الدول العربية لمواجهة الخطر الاقتصادى الرهيب للعولمة فحسب ، وإنما من أجل إعادة نظر شاملة فى كل أساليب الحياة .

نحن بحاجة ـ كعرب ـ إلى إعادة نظر شاملة فى مناهج التعليم لكى نخاصم أفكار الشعوذة والتخلف ونتصالح مع الحداثة والتكنولوجيا فى عصر الكمبيرتر والإنترنت .

ونحن بحاجة ـ كعرب ـ إلى مدارس ومعاهد وجامعات تدفع إلى سوق الحياة بباحثين وخبراء وصنّاع مهرة وليس مجرد حاملى شهادات .

ولست أظن أن ما أدعو إليه يمكن أن يكون قدر دولة عربية بعينها مهما تبلغ امكانياتها ولكنه مسئولية عربية جماعية مهما تباينت نسب المشاركة فيما بينها .

ولست أظن أيضا أن أية دعوة للحداثة أو الأخذ بلغة العصر وتقنياته المتطورة تعنى شبهة الرغبة فى الدعوة فى أن نتجاهل جذورنا العربية والإسلامية أو أن نتخلى عن ثقافتنا وحضارتنا القومية . وإنما قد يكون العكس هو الصحيح .

إن التقدم نحو المستقبل رهن بمدى قدرتنا على الأخذ بأساليب العلم الحديث مثلما هو رهن أيضا بمدى قدرتنا على إعادة الاعتبار والاحترام للفكر القومى الذى ينبغى أن يظل بالنسبة للعالم العربى هو الشعلة المضيئة التى لاتنطفىء مهما تعددت الهزائم وتوالت الانتصارات . (١)

ثم قد يسألنى أحد قرب النهاية :

ولكن أين كل ما قلته من تحديات الحاضر التى تعرقل انطلاق الأمة العربية نحو المستقبل ؟

---

١ – مرسى عطا الله – خواطر سياسية وقضايا مستقبلية – مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

ماذا نحن فاعلون فى مواجهة هذا التعنت الإسرائيلى منذ مجىء بنيامين نيتانياهو إلى الحكم والذى يريد أن يدفع المنطقة بأسرها مرة أخرى بعيدا عن أجواء السلام ؟

وماذا عن الخطر النووى الذى انبعثت هواجسه من جديد بعد خروج الماردين الهندى والباكستانى من قمقميهما فى جنوب آسيا وبعد أن أصبح السلاح النووى سرا مذاعا على الهواء وبكل لغات العالم ؟

وماذا عن رواسب وشكوك وحساسيات الماضى فى العلاقات العربية والتى تعرقل حتى الآن أية خطوات للمصالحة والتضامن وتنقية الأجواء؟

وماذا ... وماذا ... وماذا ؟ .

وجوابى على كل ذلك هو :

مفهوم جديد يرتكز على قوة العقل والخيال والقدرة على الابتكار والتحكم فى التكنولوجيا الجديدة .. كما قال ميشيوكاكو فى كتابه الذى يحمل عنوان « رؤى » .

نعم .. نحن بحاجة إلى رؤية جديدة لأوضاعنا بحيث تتجه أبصارنا نحو المستقبل بأكثر مما نلتفت إلى الخلف !

ولكن هذه الرؤية الجديدة يجب أن تستند إلى قاعدة صلبة اسمها إعادة إحياء الفكر القومى وإعادة بعث القومية العربية بمفهوم جديد .

وعلينا أن نبدأ على الفور قبل فوات الأوان !! (١)

---

١ – مرسى عطا الله – خواطر سياسية وقضايا مستقبلية – مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

((العولمة)) فى مرآة الثقافة القومية [1]

« العولمة » قضية لها جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية فضلا عن جانبها الثقافى الذى سأخصص هذا الحديث له فى الإطار الموضوعى للمؤتمر المهم الذى عقده المجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان « العولمة والهوية الثقافية » وشارك فيه نخبة ممتازة من الباحثين والمفكرين .

وقد تمهلت بضعة أسابيع بعد المؤتمر قبل أن أقدم على الإسهام فى موضوعه، حتى أراجع الأبحاث المهمة والتقارير الصحفية حول الموضوع ، نظرا لأهميته الكبيرة وتأثيره الفعال فى مستقبل العالم للقرن القادم، وأثره بالتالى على أجيالنا المقبلة .

و « العولمة » فى تقدير معظم الباحثين هى طغيان ثقافة عالمية ـ اقرأ غربية أو أمريكية ـ واحدة على الثقافات القومية والمحلية المتعددة ومحاولة ابتلاعها والحلول محلها ..

و « العولمة » لفظ جديد وله إيحاءات جديدة ويرتبط بظروف جديدة نشأت فى عالم القطب الواحد، ونشأت فى دنيا أصبحت فى حجم القرية الصغيرة بترابط أنحائها بالأقمار الصناعية والمواصلات الفضائية وقنوات التليفزيون .. وكل وسائل الاتصال والبث الإعلامى والثقافى .

و « العولمة » نشأت أيضا فى عصر صعود الهيئات العالمية واكتسابها القدرة على إصدار القرارات النافذة .. وعلى رأسها الأمم المتحدة ومجلس الأمن واليونسكو والرأى العام العالمى متمثلا فى مؤتمرات الجمعيات غير الحكومية ، والإعلام الفضائى القوى والمال الدولى وغيره .

---

١ - جريدة الأهرام ١٥/١٠/١٩٩٨ - العولمة فى مرآة الثقافة القومية - مقال بقلم الأستاذ / ألفريد فرج .

ومقابل ما تكتسبه العولمة من قوة ونفوذ تنسف الحواجز بين الدول وتضعف قلاع الثقافات المحلية والقومية وحصونها.

والسؤال الأول الذى يتبادر للذهن هو : هل « العولمة » ظاهرة ثقافية جديدة فى جوهرها؟ أم هى مجرد صورة جديدة وأكثر فعالية لظاهرة قديمة عرفناها بوصفها « بالعالمية » وهى الصفة التى وصفنا بها أدب نجيب محفوظ « العالمى » بما يعنى جاذبيته وتأثيره على الناس فى العالم كله ، أو فى وصفنا النجم عمر الشريف أو يوسف شاهين بالفنان « العالمى » أو العالم ذى الشهرة « العالمية » أحمد زويل أو الدبلوماسى « العالمى » بطرس غالى أو الجراح « العالمى » مجدى يعقوب ..

وكلها أوصاف تزكى فى الواقع « العالمية » وتضعها فى مرتبة أرفع من مرتبة الامتياز القومى فى الفن والعلم .

ولعلنا أيضا لاننسى أن مصر استردت طابا عن طريق التحكيم الدولى على مقتضى القانون الدولى ، وأننا نسعى دائما إلى استرداد الحقوق الفلسطينية على مقتضى قرارات الأمم المتحدة، ونستند فى أكثر من قضية فى تشريعات القانون الدولى ومواثيق حقوق الإنسان .

فموقفنا من العالم هو موقف القبول الجزئى والتأييد الإنتقائى على الأقل للعالمية (واقرأ أيضا العولمة) .. ولكن ميلنا إلى مدافعة التيارات والمؤثرات الفكرية والثقافية العالمية هو ميل يعبر عن إحساسنا بتفوق الآخر علينا فى الصناعات الثقافية وتكنولوجيا تلك الصناعات مثل امتلاك معظم الفضاء وأسرار الكمبيوتر والإنترنت وصناعة السينما والكتاب. (١)

---

١ - جريدة الأهرام ١٥/١٠/١٩٩٨ - العولمة فى مرآة الثقافة القومية - مقال بقلم الأستاذ / ألفريد فرج .

ولكن هذا وحده لايثير القلق إلا بافتراض المقابلة أو المواجهة بين الثقافات وماقد توحيه عبارة : « العولمة والهوية الثقافية » من افتراض التقابل أو التناقض أو التضاد بين « العولمة » من جهة والثقافة القومية من جهة أخرى قياسا على ما نميل إلى فهمه من قولنا « الأصالة والمعاصرة » فنتصور الأصالة نقيضاً للمعاصرة ، أو كما نشب الجدل بين المثقفين فى أوائل القرن بين دعاة إنشاء الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨ ودعاة التوسع فى إنشاء الكتاتيب ومحو الأمية فى الريف آنذاك ـ أى بين دعاة التنمية الرأسية ودعاة التنمية الأفقية للتعليم ..

ويميل الجدل فى عاداتنا الفكرية فى مثل هذه الأحوال إلى دعوتنا للاختيار النافى للوجه الآخر من المسألة . كاختيار الأصالة ونفى المعاصرة أو العكس ، واختيار التنمية التعليمية الرأسية ونفى التنمية التعليمية الأفقية. فَهُمَا وجهان للعملة الواحدة وإحداهما ينطوى بالضرورة على الآخر ..

ويحدث ذلك حتى فى الاختيار بين إيجابيين لاتناقض بينهما ، ولا ضرورة لأن ينفى احداهما الآخر، ولا موجب لهذا النفى .

وأخشى أن نضع قضية العولمة والهوية الثقافية الموضع نفسه ، ونكلف أنفسنا بالاختيار بينهما كما لو كنا أمام نقيضين .. فى حين قد يرى الكثيرون من المفكرين والباحثين غير ذلك .

والذى يثير القلق فى أنفسنا أيضا أن الثقافة من طبيعتها الانتشار ، وهى مثل الضوء يرسل أشعته فى كل اتجاه دونما حاجة لأية محطات للتقوية ودفع التيار .. والثقافة العالمية تنتشر بذاتها.. (١)

١ - جريدة الأهرام ١٩٩٨/١٠/١٥ - العولمة فى مرآة الثقافة القومية - مقال بقلم الأستاذ / ألفريد فرج .

وقد عرفت الثقافة المصرية ذاتها ذلك الانتشار فى العالم القديم وتأثيرها فى كـل أنحاء الشرق الأوسط فضلا عن اليونان كما يذكر البروفسور برنال فى كتابه « أثينا السوداء » الانتشار الطبيعى والإشعاع فى كل أنحاء العالم آنذاك .. من الصين إلى الأندلس .. وإلى أوروبا فى عصورها الوسطى حيث عرفت أسماء وأعمال ابن سينا وابن رشد وابن الهيثم وابن خلدون فضلا عن الموسيقى والشعر وقصص ألف ليلة ، وانتشرت نظم وقوانين الأسواق والتجارة العربية إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا..

وإذا لم تكن هذه مرحلة من « العولمة » فماذا تكون ؟ وقد شمل أثرها كل العالم المتمدين آنذاك والبلاد الساعية على أعتاب المدنية ..

وقد عرفت مصر أيضا الانتشار الطبيعى لثقافتها فى القرن العشرين بإسهام المصريين فى العالمين العربى والأفريقى فى مجال التعليم وبانتشار الآداب والسينما والموسيقى والمسرح وأسلوب الحياة فى المدن ..

ولولا معرفتنا تلك واضطلاعنا بمسئوليته ما تكلفنا الإنفاق السخى على إنشاء قنواتنا الفضائية لتكون من الأدوات المستحدثة والفعالة لانتشار ثقافتنا الوطنية .

ولمن لم فإن افتراض إختيارنا تثبيت الهوية الثقافية القومية عن طريق نفس « العولمة » افتراض غير ممكن ، ولا بد من تصور المحافظة على هويتنا الثقافية فى إطار التعامل مع ظاهرة العولمة ..

والثقافة الحية مثل كل الكائنات والكيانات تتطور دائما بالحذف والإضافة . بموت بعض الخلايا وميلاد غيرها .. (١)

---

١ جريدة الأهرام ١٥/١٠/١٩٩٨ - العولمة فى مرآة الثقافة القومية - مقال بقلم الأستاذ / ألفريد فرج

الثقافة الوطنية تتطور بطبيعتها ..

والثقافة العالمية تتطور أيضا ..

وقد شهدنا في تاريخ الغرب (أوروبا وأمريكا) عملية التطور من المجتمع الأبيض ذى القومية الواحدة إلى المجتمع متعدد القوميات والألوان .. ومن المجتمع ذى الثقافة الواحدة إلى المجتمع متعدد الثقافات فى إطار الوحدة ، وفى سباق هذا التطور استوعبت الموسيقى الغربية الإيقاعات الزنجية ، واستوعبت الآداب الغربية تأثيرات من رباعيات الخيام وأشعار طاغور وقصص الف ليلة وخرجت السينما الأمريكية من هوليوود تصور أفلامها فى اوروبا وإفريقيا والصين وتروى التاريخ والتقاليد والعادات والفولكلور من الصين وافريقيا والهند وسائر البلاد ..

ومن العجيب ان ذلك التوجه فى الإبداع كان من أكثر عناصر مسرح شكسبير وضوحا حيث أن ذلك الشاعر المسرحى الكبير قد تصور وحدة النفوس البشرية والأخلاق الإنسانية .. وصور الحب والكراهية والبخل والسخاء والطموح والغيرة والاستبداد والتسامح والغفران والانتقام على رقعة العالم كله .. من روما إلى الإسكندرية ، ومن البندقية إلى قبرص ، ومن اسكتلندا إلى فرنسا والمانيا والدنمارك وأثينا وموريتانيا وجزر المحيط الأطلسى .. أى فى كل أنحاء العالم المعروف ، فقدّم بذلك افتراضا إنسانيا بوحدة العقل ووحدة المشاعر ووحدة الجنس البشرى وتناسق الأفعال بين بنى الإنسان .. ولما أنشأ شكسبير مسرحه الخاص سنة ١٥٩٩ سمّاه مسرح « جلوب » GLOBE أى « العالم » واشتقت منه لفظة « العولمة » (GLOBALISM) المعاصرة .. (١)

فالاتجاه نحو العولمة وارد من قديم ، وربما نشأ ذلك الإتجاه مع الدولة المصرية

---

١ - جريدة الأهرام ١٥/١٠/١٩٩٨ - العولمة فى مرآة الثقافة القومية - مقال بقلم الأستاذ / ألفريد فرج .

القديمة وعبر العصور القديمة والإسلامية كان انتشار الثقافات يتم بطبيعتها الإشعاعية وقدرتها الذاتيةعلى الانتشار ، ولم يكن ذلك مثيرا للقلق إلا بعد أن تميزت ثقافة الغرب ـ واقرأ أمريكا ـ بأدوات نشر للثقافة قوية ، ومن بينها الفضائيات والإنترنت ونظم تخزين المعارف وتكنولوجيا الاتصال والطاقة المنظمة الهائلة على البحث والابتكار والإبداع ..

بهذه الأدوات أصبحت « العولمة » عملية تستمد قوة تكنولوجية مضافة وزادت مخاوف أهل الثقافات الأضعف والأقل تنظيما والتى تمتلك أدوات أقل من أن تبتلع الثقافات القوية الثقافات الضعيفة ، وان تفقد الثقافات الضعيفة استقلالها وقدراتها ولأن طغيان الثقافة الواحدة لابقوة أطروحاتها وإنما بقوة أدواتها .. فإننا نخشى على أطفالنا وشبابنا وأجيالنا المقبلة أن تكون مصادر المعلومات فى زمانهم غير ملائمة خاصة فى التاريخ والعلوم الإنسانية والفنون .. ونخشى من أن تعتمد أجيال مقبلة فى تكوينها الثقافى على الكتاب الأجنبى والفيلم الوثائقى والبرامج التليفزيونية « العالمية » وفى مجال المعلومات على القواميس والموسوعات والمراجع « العالمية » وفى مجال السلوك ودواعى الانفعال والاستجابة ان يتحول الاعتماد فى ذلك على ما تمليه العادات والتقاليد فى الآداب « العالمية » والفنون والعلوم الإنسانية ..

ولكن القلق من هذه الأمور لايكفى ولايدفع ضررا، وإنما لابد ليكون القلق نافعا ومفيدا أن يقترن بالبحث الجدى فى وسائل جديدة للتعامل مع الحال الجديد .[1]

---

١ - جريدة الأهرام ١٠/١٥/ ١٩٩٨ - العولمة فى مرآة الثقافة القومية - مقال بقلم الأستاذ / ألفريد فرج .

كيف نتعامل مع العولمة .. الفرص .. والمخاطر ؟ (١)

فى القاهرة العاصمة الدبلوماسية لدول الجنوب يلتقى زعماء القمة الثامنة لمجموعة الخمس عشرة كى يتدارسوا أحوال بلادهم ويضعوا استراتيجية لمواجهة تحديات التنمية المتواصلة ونتائج العولمة بكل فرصها ومخاطرها والتى نبّه إليها الرئيس مبارك فى خطابه فى مؤتمر كوالامبور ١٩٩٧ م وكذلك فى عيد العمّال .

يتصاعد الاهتمام فى الوقت الحاضر بفكرة العولمة وما قد يترتب عليها من تداعيات أو نتائج يمكن أن تؤثر على حياة الناس . وقد حاول العديدون على اختلاف هوياتهم الاقتراب من الفكرة سواء بالتعريف أو بالتوضيح .

وفكرة العولمة ليست جديدة تماما ولكن سبقها كثير من الأفكار والنظريات التى تتشابه معها وتماثلها لحد كبير مع اختلاف الأبعاد المعبرة عنها .

والعولمة فى تعريف عام لها « هى حقبة التحول الرأسمالى العميق للإنسانية جمعاء فى ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفى ظل سيادة نظام عالمى للتبادل اللامتكافىء .

وتثير العولمة عددا من القضايا هل نحن نعيش حقا عصر العولمة أم أن الفكرة خيال داعب بعض المثقفين ؟

وتأتى البراهين حاملة فى طياتها مظاهر الشروع فى عصر العولمة من خلال الزيادة الهائلة فى معدل التحول الاقتصادى الذى أدى إلى ظهور سياسة عالمية جديدة تتسم بتزايد الاعتماد المتبادل بين الدول اقتصاديا فضلا عن تزايد حركة العملات وقد عزز ذلك التقدم التكنولوجى فى الاتصالات مما أتاح للعالم أن يكون

---

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

قرية صغيرة .

فالعالم اليوم تسوده ثقافة كونية واحدة تتوحد عبر الحدود وامتدت العولمة إلى مجالات أخرى كالمجال العسكرى حيث التسليح المتشابه إلى حد ما فى أغلب الدول ورغم رؤية البعض أن العالم مازال منقسما إلى جزء متقدم وآخر نام إلا أن العولمة أخذت سبيلها بلا توقف .

* الهيمنة الدولية :

لعل المتتبع لمسار الأمور التى تدور على الساحة يجد أن هناك اتجاها يقود إلى الاقتصاد الحر وتحرير التجارة مما أكسب العالم حوارا تنافسيا شديدا زاد من قوة الدول المتقدمة وزاد من ضعف الدول النامية التى لاقبل لها بمنافسة الدول الأخرى اقتصاديا . أما سياسيا فقد تزعمت الولايات المتحدة العالم بالإضافة إلى ما أفرزته الثورة العلمية والتكنولوجية فقد أدى فى نهاية المطاف إلى صعود بعض القوى الحاكمة للعالم والتى من شأنها إضعاف شأن الحكومات القومية على مستوى الدول النامية واختلف البعض فى هذه القوى هل هى قوى اقتصادية مثل : (البنك الدولى – منظمة الجات – صندوق النقد) أو استراتيجية تتمثل فى الولايات المتحدة والأمم المتحدة ـ منتدى دافوس العالمى فمن المرجح أن الولايات المتحدة سوف تنتهز الفرصة السانحة لها لكى تعتلى قمة الهرم حتى الهيمنة وتوزيع الأدوار.(١)

ولكننا لايمكن أن نغفل أن هناك قوة تنظيمية جبارة سوف تقود عمليات التنمية الاقتصادية عالميا وتشكل اتجاهاتها الرئيسية بما يتفق وميول القائمين عليها.وتشير المعلومات إلى أن القائمين عليها هم رجال الأعمال والخبراء

---

١ – جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ – مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) – مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

والمفكرون ورجال الدولة بالإضافة إلى الشركات العملاقة أما الأمم المتحدة فبالرغم من أن منظمة الأمم المتحدة ليست إلا منظمة للدول فإن السلطة الفعلية الموكلة بها تقع على عاتق الدول الخمس الكبرى بما فيها الولايات المتحدة الامريكية . ورغم سيطرة الولايات المتحدة إلا أن العالم فى حاجة إلى مثل هذه المنظمة لحاجة العالم لمنمظة قادرة على استيعاب الدول تحت مظلة الشرعية الدولية والتى تحتمى بها الدول الصغيرة .

أما القوة الاقتصادية المتمثلة في البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي فهذه القوى فى مجملها قوى دافعة نحو الإصلاح الاقتصادى للدول النامية فى محاولة لاستيعابها داخل أسوار العولمة .

والملاحظ أن دعوة الإصلاح الاقتصادى فى مضمونها دعوة إلى نبذ المركزية ودعم اللامركزية حيث الدعوة إلى الإصلاح تأتى من خلال تفكيك الإدارة الحكومية الثقيلة وتقليص دور البيروقراطية فى النشاط الاقتصادى وتفعيل اقتصاديات السوق ورغم ما يعترى هذا الاتجاه من أضرار ولاسيما للدول المتحولة تتمثل فى التسيب التشريعى وشيوع الفساد فإن هذا التحول وما تجنيه الدول على المديين المتوسط والطويل يحقق لها نوعاً من النمو والتقدم لاسيما إذا أخذت بأسباب التقدم المتمثلة فى سياسات التحرر الاقتصادى والقدرة على المنافسة . (١)

ولكن رغم ذلك فإن السيطرة العالمية على الاقتصاد الدولي تتجه نحو المركزية من خلال تحكم مجموعة من القوى الاقتصادية المتحكمة فى الفعاليات الاقتصادية الكونية سواء كان صندوقا أو بنكا أو اتفاقية فالتناقض ظاهر فى دعوة هذه القوى الكبرى إلى اللامركزية الصغيرة لاسيما أن عملية التحوّل يصاحبها حالة من التخبط

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

لهذه البلدان سرعان ما تتلهف إلى طوق النجاة المتمثل في يد الدول الكبرى المنقذة تتوهم هذه الدول الصغيرة ان هذه اليد هي طوق النجاة نحو النمو والازدهار. ولكنها في الحقيقة هي يد جبارة تحاول استيعابها من خلال مفهوم أشمل وأعم وأوسع ألا وهو « العولمة » .

* تقلص السيادة :

يرى البعض أن جوهر عملية العولمة يتمثل فى سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع والأموال بين الدول والموارد والنشاطات التى تنتشر عبر الحدود ، هذه الرؤية من شأنها أن تخلق مفهوما ينطوى على ما يمكن أن نطلق عليه الدولة العالمية . هذا الكيان التى تحولت فيه الدول إلى مقاطعات داخل نظام كونى متفاعل له يد مسيطرة ونظام معمول به وقواعد لايمكن ان يتخطاها أحد .

ومن المعروف أنه عند قيام اتحاد فيدرالى تنصهر الدويلات تحت لواء الدولة الأم وفى حالة العولمة فالجميع ينصهر تحت لواء الكونية حيث يتحول العالم إلى دولة واحدة .

ورغم تحفظ البعض فى الانضمام إلى هذه الدولة خوفاً من استلاب سيادته أو لعدم مقدرته نتيجة اختلافه الهيكلى مع متطلبات هذا الاندماج إلا أنه فى النهاية تجد البلدان النامية مطالبة بالإندماج وهذا لايتعارض مع الحفاظ على سيادتها لاسيما أن العولمة رغم شروط واضعيها لاتعنى الخضوع التام وتفكيك الدولة كلية .

ولكننا يمكن وضع البديل الصحيح لسياسة تفكيك الدولة (1) وهو اللجوء إلى برامج الإصلاح الاقتصادى والتى تستهدف تخفيف قبضة الدولة الإدارية على

---

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

مفاتيح الحركة فى الأسواق والانتاج والتجارة والخدمات وفى الوقت نفسه مقاومة الضغوط الخارجية لحماية الدولة من التفتيت فى عصر اختلال موازين القوى الاستراتيجية والاقتصادية والحضارية - إنها فهم روح العصر دون أن نذوب فيه كلية .

* **تفكيك الدولة :**

ومن الملاحظ أن مفهوم الدولة القومية التى قام عليها الفكر السياسى الحديث يتعرض اليوم لأزمة عارمة فى أقطار الجنوب وذلك فى مواجهة محاولة الدول الرأسمالية لفرض نموذج آخر على هذه الأقطار.

فمع نشأة حركة اللامركزية عالميا متمثلة فى التحرر الاقتصادى وسياسات الخصخصة والانخراط فى قواعد الجات وقبول دور متزايد للقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية تحت مظلة « العولمة » نجد أن الدول رحبت بخطوات مدروسة فى مجال التحرير التجارى . رغم تعقيدات الجانب الإدارى والتنظيمى للدولة . (١)

والواقع أن الكثير من المسئولين يخامرهم الشك خوفا من أخطار تفكيك الدولة إذا ما نجحت المشروعات الخاصة والشركات الدولية فى تقوية نفوذها كطبيعة لعصر العولمة . ورغم بيروقراطية الحكومات والرغبة فى مسايرة اللامركزية سمة هذا العصر فإن صانع القرار أمام اختيار صعب بين الاستماع إلى دقات القلب (الداخلية) وبين الاستنشاق العميق لرياح التغيير (الخارجية) ويمكن حل المركزية الداخلية من خلال وقف التضخم البيروقراطى وإفساح المجال للقيادات الشابة ومن خلال الاتقان الذاتى الذى يمثل مفتاح التميز والطريق إلى العالمية .

---

١ - جريدة الأهرام ٢٧/ ٥/ ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس

لقد بالغ البعض فيما يسمى بظاهرة العولمة من حيث تعريفها ودرجة شموليتها فالغالبية العظمى من الشركات الدولية ليست شركات دولية أو عالمية حقيقية من حيث القيمة المضافة والأصول الثابتة والمبيعات . هذه الشركات متعلقة بالوطن الأم وتحتاج إلى الدولة فى مجالات عديدة .

ويرى البعض أنه ليست هناك عولمة حقيقية فيما يتعلق بانتقال قوة العمل البشرى فضلا عن أن عولمة رأس المال المتمثل فى الاستثمارات الأجنبية المباشرة محدود جدا وإلا لما اعتمدت الغالبية العظمى من الدول على مدخراتها الوطنية فضلا عن أن جزءا يعتد به منها لايمثل استثمارات بالمفهوم الاقتصادى لأنه ينصرف إلى شراء منشآت وطنية قائمة . لذلك فالعولمة المالية لاتشمل اغلبية دول العالم وبخاصة دول العالم الثالث حيث لايسمح بحرية تحويل العملات المحلية إلى عملات أجنبية قابلة للتحويل ولذلك ترفض هذه الدول الحصول على قروض من مستثمرين أجانب .

ويؤدى هذا إلى تراجع فى قوة الدولة وتخليها تدريجيا عن مكانها للشركات المتعددة الجنسية أى العابرة للجنسيات .

عصر النوادى العالمية :

تتخلق اليوم فى أحشاء النظام العالمى الجديد مجموعة من الجسيمات السياسية الوسط لاهى بالدول ولا هى بالمنظمات الدولية هذه الجسيمات ما هى إلا تجمع غير رسمى أو شبه رسمى يضم فى عضويته عددا من المنظمات العملاقة أو الشركات عابرة الجنسية أو الهيئات الناشئة ، هذه المسميات هى ما يطلق عليها « النوادى العالمية » (١).

---

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

وتتعدد النوادى وأسماؤها وتصنف حسب الدول المكونة لها فإذا كانت الدول صناعية أطلق على النادى نادى المجموعة الصناعية الغنية السبع الكبار وأما إذا أصبحت مجموعة من جنسية واحدة ولتكن يهودية كان اللوبى اليهودى العالمى والذى يعد أقدم التجمعات الدولية حيث النفوذ القوى للوصول إلى الدول الصغيرة والتغلغل داخل المنظمات الأهلية .

وقائمة هذه النوادى كثيرة كنادى الدول النووية – ونادى مجموعة الخمس عشرة دولة ـ نادى غزاة الفضاء وهم المهتمون بعلوم الفضاء ونادى الدول المفتتة وهى الدول التى تتعرض لعمليات تفكيك متعمدة باستغلال النزاعات القومية والعرقية والطائفية ـ كالسودان والعراق ونادى البورصات العالمية الذى يعد بمثابة ترمومتر لحرارة المعاملات والاستثمارات الدولية .

هذه النوادى إن عكست فإنها تعكس ظاهرة الاعتماد المتبادل الذى يمكن أن يوفره أعضاء كل ناد فوجود ناد مثل نادى العولمة وهو نادى الدول والمنظمات والقوة المتشيعة لموجة العولمة مع كافة الأنشطة وتقلص دور سيادة الدولة . وتزعم هذا النادى خلال المنتدى العالمى فى دافوس بسويسرا مشروعات التنمية الإقليمية فى الشرق الأوسط بغرض دمج اسرائيل فى المنطقة لكن من المثير للدهشة ان ظاهرة الاعتماد المتبادل وتزايد الارتباط الدولى حول الكرة الأرضية إلى قرية كونية شديدة التفاعل وكما لكل شىء فائدته واضراره فإن اضرار هذا التجمع يظهر فى صور عديدة مثل تسرب العنف والتطرف والإرهاب والنزاعات وتدمير النسيج الاجتماعى للجميع دون تمييز بين فقير وغنى مما يتطلب رسم سياسة ذكية للتعامل مع هذا الوضع الجديد المراوغ (١).

---

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ – مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) – مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

الرأسمالية المتوحشة والشركات العملاقة

ظهر دور الشركات الدولية المتعددة الجنسيات فى الاقتصاد العالمى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتتميز هذه المؤسسات الاقتصادية العامة والخاصة بأنها تقوم بنشاط خارج حدود دولتها . وبطبيعة الحال لايكفى ان تنخرط أى شركة عامة أو خاصة فى نشاط خارج الحدود حتى توصف بشركة دولية النشاط ،وإنما لابد أن يمثل هذا النشاط نصف مبيعاتها أو أن يوجد نصف حجم أصولها خارج حدود دولة واحدة أيا كانت هذه الدولة . سواء كانت دولة المنشأة أو دولة المقر وقد أصبحت هذه الشركات الدولية تنشط فى مجالات متعددة منها (التجارة ، الصناعة، الزراعة، الخدمات بكافة أنواعها ....) .

والملاحظ هو الزيادة الهائلة فى حجم رؤوس أموال وقيمة انتاج ومبيعات هذه الشركات وكذلك فى حجم سيطرتها على التجارة الدولية والتدفقات المالية والنقدية فقد قدر مركز الأمم المتحدة للشركات عبر القومية أن ثلث صادرات الولايات المتحدة يتمثل فى التجارة الداخلية بين فروع الشركات الأمريكية عبر القومية وأن خمس (٢٠ ٪) وارداتها من كل أنحاء العالم هى صفقات داخلية فى إطار نفس الشركات .

ويقدر أن مائتى شركة منهم تحقق ٣٠ ٪ من الناتج العالمى حتى ١٩٩٥ .

وتتوزع هذه الشركات عامة بين تسع دول :ـ (١)

اليابان (٦٢) وألمانيا (٢٣) والمملكة المتحدة (١١) وكوريا الجنوبية (٤) وهولندا (٤) . الولايات المتحدة (٥٣) وفرنسا (١٩) وسويسرا (٨) وإيطاليا (٥) .

---

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

وقد زاد تركز الأصول المالية والانتاجية داخل هذه الشركات نتيجة لنمو حركة الاندماجات فيما بينها . ومما يزيد من سطوة هذه الشركات فى المجال الدولى ظهور أشكال عديدة من النشاط المشترك فيما بينها تتراوح ما بين إقامة مشروعات مشتركة إلى تقسيم الأسواق إلى الاندماج الكامل مما أدى إلى ظهور كيانات عملاقة تضم مصارف وشركات تابعة تعمل فى مجالات متنوعة، وانخفاض المنافسة فى بعض الميادين فى الاقتصاد العالمى بسبب سيطرة عدد محدود من الشركات على معظم النشاط داخل هذه الميادين .

وقد دعت هذه القوى المالية والاقتصادية المتزايدة لهذه الشركات البعض إلى الاعتقاد بأنها قد أصبحت كيانات مستقلة لاتخضع لأى رقابة حتى من جانب حكوماتها . (١)

---

١ - جريدة الأهرام ٧/ ٥ / ١٩٩٨ - مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة (١) - مقال بقلم الأستاذ / محمد فريد خميس .

أين موقعنا من العولمة ؟ (١)

ما سبب الخوف الذى انتاب الولايات المتحدة بصفة خاصة بعد التفجيرات النووية للهند وباكستان ؟

هل سيؤدى الوضع الجديد إلى تجارب نووية فى قارات أخرى تكون بمثابة رسائل إلى الغير أو تدعيم لهيبة دولة ما فى مواجهة أخطار محتملة ؟

وبعد اكتشاف هشاشة معاهدة منع الانتشار النووى هل ستدفع هذه التطورات بعض الدول إلى سرعة تطوير أسلحة بيولوجية وكيميائية لروادع مضادة وسريعة حفاظا على الوجود والمصالح فى هذه الغابة الدولية ؟

هناك أربعة شواهد أولية هى :

- بدء انهيار الاحتكار النووى واهتزاز الميزان الاستراتيجى رغم العقوبات المتوقعة .

- ان الولايات المتحدة بدأت تجنى عواقب سياسة ازدواج المعايير بغض الطرف عن التسلح النووى للبعض دون البعض الآخر.

- ان هذه التفجيرات الأخيرة يمكن اعتبارها أول معاول هدم النموذج الأول للعولمة المعاصرة الذى ثبت ضعفه .

- ان معدل التغير المتوقع إلى النموذج الثانى للعولمة قد يكون أسرع مما نتصور !!

نناقش بعض الاعتبارات السياسية للعولمة من خلال تحليل نقدى لثلاث

---

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

مقالات مهمة تناولت نفس الموضوع المقالة الأولى بعنوان « الإطار القانونى للإصلاح الاقتصادى فى مصر » للدكتور ابراهيم شحاته المستشار العام للبنك الدولى للإنشاء والتعمير (مجلة مصر المعاصرة يوليو ١٩٩٦) يحبذ فيها تكامل مصر التام مع الاقتصاد العالمى والاستفادة من التطورات التكنولوجية وزيادة حجم التجارة والاستثمار الدوليين . وقد اقترح لذلك ثلاث وسائل هى إجراء إصلاحات فى المجالات التعليمية والقانونية والقضائية والإدارية ، وإصلاح آليات تنفيذ القوانين، وتعديل الدستور المصرى لعام ١٩٧١ بحجة عجزه عن تلبية حاجات الحاضر والمستقبل ثم يستخدم عبارات غير مباشرة ينصح فيها بعدم الاكتراث بالشعارات الموروثة للعدالة الاجتماعية، أو المعارضين لسرعة الاندماج فى العولمة ، أو المستفيدين من أوضاع خاطئة كالتعليم المجانى ودعم السلع الاستهلاكية الأساسية لمحدودى الدخل ويختتم د. شحاته مقالته بفقرة نختلف معه فيها جملة وتفصيلا وهى « إن قطار التطور العالمى قد انطلق بالفعل بسرعة عالية .. وعلينا وقد فاتنا ركوبه فى البداية أن نخاطر الآن بالقفز إليه ، وهذا تحد كبير ولاشك لابد من مواجهته بشجاعة وحزم لأن القطار لن يتوقف أو يهدىء سرعته من أجلنا ، وليس هناك فى علمى قطار آخر بعده .

تعكس هذه المقالة الضغوط نفسها التى تمارسها المؤسسات الدولية على مصر لحث الدولة على الانسحاب من أى نشاط اقتصادى وترك تحديد مصير الاقتصاد المصرى بين القطاع الخاص المحلى والأجنبى والتحريض على التخلى عن حماية الحد الأدنى لمستوى معيشة الفقراء الذين يبلغون ٤٨٪ من تعداد الشعب المصرى طبقا لإحصاءات معهد التخطيط القومى وبرنامج الأمم المتحدة للإنماء ولايخفى أن هذه الشروط تعتبر من أهم مؤهلات الاندماج فى مرحلة الرأسمالية المعاصرة (١)

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

المسماة بالليبرالية L. Libertarianism (التفاصيل أكثر انظر كتابنا : الفكر السياسى الغربى ١٩٩٤) .

إن التقويم المتوازن لبعض ما يجرى حاليا اقتصاديا وسياسيا يدل على نجاح مقاومة حكومة د. الجنزورى لضغوط البنك والصندوق الدوليين وخاصة فى رفض تخفيض قيمة الجنيه المصرى فى مقابل الدولار الذى أنقذ مصر من كارثة اقتصادية محققة لم تفلت منها دول أقوى من مصر اقتصاديا كالمكسيك خضعت لضغوط الصندوق ، كذلك رفضت الحكومة المصرية زيادة اسعار االبنزين والكهرباء التى كان يمكن أن تؤدى إلى دائرة خبيثة من الغلاء ، ورفض تصفية المجمعات الاستهلاكية التى جرى تحديثها لحماية محدودى الدخل ونجاح المقاومة حتى الآن فى رفض الضغوط لبيع مياه النيل وتحميل المستهلكين أعباء ضريبة ثقيلة رغم توافر بدائل نصح بها الخبراء للقضاء على الإسراف فى استخدام المياه .

وكما تتقبل الحكومة بصدر رحب النقد الموجه لبعض سياساتها ، فإن من حقها الحصول على المساندة الوطنية فى مثل هذه المواقف حتى تواجه بصلابة ضغوط وتهديدات المؤسسات والقوى الدولية العاتية التى لاتضمر بحكم انتمائها الأيديولوجى أى خير لمصر ولا لمحدودى الدخل فيها وفى القراء فطنة ويدركون أن قوى العولمة لن تكون أكثر رحمة بشعبنا من شعوبها الغربية وماأدت إليه ممارساتها لاقتصادية هناك من بطالة مزمنة أفرزت جيوشا من العاطلين كثمن باهظ لانجازات تكنولوجية رائعة تحتكر ثمرتها شرائح اجتماعية محدودة للغاية من قوى العولمة أصحاب الجنة المزعومة التى لاتنصح بركوب قطارها خلافا لما توصى به هذه المقالة الأولى . (١)

---

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

إن الظن بإمكان بقاء ميزان القوى الدولى على حاله ظن استاتيكى خاطىء ينطلق من الفرضيات الأكثر خطأ لفوكوياما بأبدية النظام الرأسمالى وانتهاء التاريخ، وقد سبق أن توقع كاتب هذه السطور تغير ميزان القوى الحالى فى مقالة بعنوان « الممكن والمستحيل فى المواجهة مع العدو الصهيونى » بصحيفة الوطن الكويتية (٣١ مارس ١٩٧٩) أى قبل أن يصل الكتاب الأمريكيون إلى هذا التوقع بعقد كامل وقد استبعدت المقالة مناقشة الصراع مع إسرائيل فى نهاية القرن الحالى وأوائل القرن الـ ٢١ لأننا نفترض أن الولايات المتحدة لن تكون حينذاك الدولة الأولى فى العالم ليس لضعف قد يطرأ على قوتها وإنما فى الأغلب لتمكن دول عظمى أخرى من اللحاق بها مما سيؤدى إلى تعدد مراكز صنع القرار الفعال على المستوى الدولى » ولتصور مايمكن حدوثه نتيجة تضارب المصالح تمت الاستعانة بمثال مصغر لما حدث فى الحرب القصيرة بين اثيوبيا والصومال حول إقليم اوجادين وكيف اسفرت الحرب عن لوحة كاريكاتورية معقدة تعكس التشابك بين رؤى وقرارات الدول الكبرى والدول العربية وإسرائيل بشأن ذلك النزاع وهو تشابك أصبح سمة العصر وينتظر ازدياده قياسا على ذلك المثال مما سيفضى فى المدى البعيد إلى شل قدرة الولايات المتحدة أو غيرها على الاستئثار بفرض إرادتها كما يحدث الآن . النتيجة هى احتمال بروز وضع دولى جديد يسمح بهامش للحركة تستطيع الأمة العربية استثماره (إذا أرادت) فى التعامل مع الكيان الصهيونى وليس هذا وقت العتاب لعدم استجابة صانعى القرار العرب لما ينشر من دراسات وتوقعات بينما تسرع إسرائيل فى الاستفادة منها، والمأمول الآن فقط تطويق مضار انفتاحها على تلك القوى الأعظم خاصة الاتحاد الأوروبى والصين واليابان التى تستعد للمشاركة فى منصة الصدارة بالنموذج الثانى العولمة بعد تجاوز مرحلة النموذج الأول (١)

---

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

الحالى الذى تهيمن فيه الولايات المتحدة بمفردها على مقاليد العالم كقطب واحد منذ تصدع المعسكر الاشتراكى ولاداعي للاستغراب من قصر عمر نموذج العولمة المعاصرة فقد أدت سرعة الطفرات التكنولوجية الى تقصير العمر الافتراضى لسيطرة الولايات المتحدة التى لم يعرف الإنسان دولة أقوى منها اقتصاديا وعسكريا ومع ذلك ستكون الأقصر عمرا بين الأمبراطوريات التى عرفها التاريخ إذ لن تتجاوز سيطرتها الفعلية سبعين عاما أى من سنة ١٩٤٥ وحتى أوائل العقد الثانى من القرن ٢١ على وجه التقريب .

بناء عليه يمكن القول إن أى تغير فى ميزان القوى الكوكبى سيفرز نموذج العولمة الملائم له . وبعبارة أخرى فإن اللحاق بالقطار الحالى للعولمة لايعتبر الفرصة الأخيرة للتنمية الشاملة والازدهار لأنه ستكون هناك قطارات أخرى ومحطات وصول أكثر ملاءمة لظروف مصر والعالم العربى خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن قوى العولمة المعاصرة هى امتداد عضوى وايديولوجى للقوى الامبريالية نفسها التى لعبت الدور الأكبر (وليس فقط الأخطاء والانحرافات الداخلية) فى سحق محاولتى النهضة المصرية أيام محمد على وعبد الناصر وساندت إسرائيل فى كل حروبها العدوانية . أى أنه فيما خلا القبول ببعض أشكال التعاون مع نموذج العولمة المعاصرة فإن كل الشواهد تدل على أن الاندماج الكامل فى إطارها وإبرام اتفاقيات محورية طويلة الأجل معها لن يكون فى صالح مصر ليس فقط لأن الاعتبارات الجيوبوليتيكية التى أدت إلى تدمير محاولتى النهضة السابقتين لاتزال قائمة، وإنما أيضا لأن التحيز الأعمى لإسرائيل سيدفع تلك القوى إلى استخدام أية وسيلة (بما فيها الشرق اسيوية) للحيلولة دون استثمار مصر لطاقاتها الابداعية المعهودة فى « التحول إلى قوة إقليمية مؤثرة تنافس إسرائيل » ولا تقتصر أخطار ومطامع (١)

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

العولمة المعاصرة على مصر وإنما تنطبق بدرجة أو أخرى على الأوضاع الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية للعالم العربى سواء بالنسبة للدول المنتجة للنفط أو المطلة على مضايق بحرية أو المجاورة لتركيا وإسرائيل .

المقالة الثانية بعنوان « فى مواجهة العولمة كتبها د. مصطفى النشار أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة (الأهرام ١٢ / ٤ / ١٩٩٨) رفض فيها قيم العولمة بصورة مطلقة لتفادى الهيمنة الغربية وعقدها الاستعلائية وانه لامفر من استلهام القيم الذاتية ذات الجذور المصرية والعربية والإسلامية فى عملية إعادة البناء الشاملة لأن الاعتماد على الغرب فى بناء الذات خرافة . ورغم الاتفاق مع رؤيته الوطنية وهناك حاجة لأن يستبدل بهذا الرفض المطلق بحث عن وسائل للتعامل مع واقع سياسى اقتصادى قائم فعلا بدأ منذ اتفاقيتى كامب دافيد وعضوية الجات والمناورات العسكرية المشتركة .

المقالة الثالثة بعنوان « استكشاف الاستعمارى فاسكوداجاما مازال حياً » للدكتور محمد السيد سليم مدير مركز الدراسات الآسيوية بجامعة القاهرة (الاهرام ١٥ / ٤ / ١٩٩٨) اتخذ فيها مدخلا أكثر واقعية فطالب بالتعامل الإنتقائى مع تيار العولمة « للاستفادة من إيجابياته وتفادى هيمنته وذلك من خلال مشروعات وطنية تنهض على أساس الاعتماد الجماعى على الذات، على غرار تجارب التنمية الشرق آسيوية . وقد ألقى مسئولية الأزمة الحالية على قوى العولمة ومحاولاتها تحجيم تلك التجارب التنموية مستشهدا باتهام ساكا ليبارا نائب وزير مالية اليابان للولايات المتحدة وبقية قوى العولمة لمسئوليتها عن الأزمة الآسيوية . [1] وكيف انتهز صندوق النقد هذه الكارثة ليفرض اتفاقيات تعسفية لبيع الشركات الوطنية للمؤسسات

---

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

الرأسمالية متعددة الجنسية والسماح بسيطرتها على الأسواق وإبطاء معدلات الانجازات الآسيوية حفاظا على مصالح قوى العولمة ولعل التعليق الوحيد على هذا الطرح الممتاز هو الحاجة إلى تطوير عناصر القوة المصرية والعربية لفرض هذا التعامل الإنتقائى ومقاومة محاولات الاندماج القهرى .

ويمكن إجمال الملاحظات الأخيرة على الحوار فيما يلى :

- إن الإندماج القسرى فى نموذج العولمة المعاصرة ليس قدرا وإنما يمكن مقاومته كما حدث عند رفض المشاركة فى مؤتمر الدوحة للتطبيع مع إسرائيل ورفض التحريضات ضد ليبيا وإيران والسودان ورفض الضغوط للتوقيع على اتفاقية تحريم صنع واستخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية حتى يتم تجريد إسرائيل من السلاح النووى واخضاعها للإشراف الدولى .

- يزخر سجل التعامل العربى مع العولمة المعاصرة بأمثلة ذات مغزى منها مشكلة الصادرات البتروكيماوية الخليجية إلى الإتحاد الأوروبى ونتائجها ومشكلة صادرات المنسوجات المصرية ، والتعسف فى استخدام القدرات الدولية ضد ليبيا والعراق والمواقف السلبية من المذابح الدورية فى فلسطين . ماذا عساه يحدث لو تم اندماج أكثرفى نموذج العولمة المعاصرة ليس كجبهة عربية متماسكة وإنما كدول هامشية ضعيفة ؟ (١)

- ألا يدعو تحجيم رموز التنمية الآسيوية إلى نبذ القطرية والمصالح الضيقة وقبول اقتراحات مصر بتنسيق اقتصادى وسياسى اقوى أو سوق عربية مشتركة ؟

أما الإجابة عن السؤال الأهم ماذا بعد ؟ فمفتوحة على كل الاحتمالات

---

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

الفوضوية وعدم الاستقرار الإقليمى بفعل صعود الايديولوجيات المتطرفة سواء الهندوسية أو الصهيونية أو اليمين الأمريكى وتتجمع الأدلة على صحة توقعاتنا عام ١٩٧٩ ، وان المسرح بات مهيأ لانتقال زمام القيادة فى القرن القادم إلى نموذج ثان للعولمة لكن هذا الانتقال سيكون عسير المخاض ولن يدفع ثمنه سوى الضعفاء الذين حاول مؤتمر الدول الـ ١٥ بالقاهرة (مايو ١٩٩٨) الدفاع عنهم وكان أقطابه فى اتهامهم الصريح للعولمة المعاصرة بعدم العدالة وسوء المعايير قد تنبأوا بالاختلافات التى ستنجم عن احتكار الأقلية للمزايا الإقتصادية والسياسية على المستوى الكوكبى وتظل قرارات تلك القمة نواقيس خطر تدعو الدول النامية لسرعة التضامن للعبور بأقل الخسائر من نموذج العولمة المعاصرة إلى نموذج أرقى أكثر عدالة وإنسانية . (١)

---

١ - جريدة الأهرام الجمعة بتاريخ ٥/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / محمد محمود ربيع ص ١٠ .

الجمعيات الأهلية والعولمـــة !! (١)

كان العنوان الأول لهذا الموضوع هو « .. يصل إلى يد المثقف العربى » .

سرعان ما غيرته إلى عنوان ثان هو : « المثقف والجمعيات الأهلية »

ثم عدت مرة ثالثة لأمحوه وأعيد كتابته على نحو آخر :

« الجمعيات الأهلية والعولمة »

ماذا يعنى ذلك ؟

يعنى أننى اعرف ـ على مدى السنوات الماضية ان هذه الرسالة لن تصل إلى المثقـف أبدا ولن يقرأها ، وإذا قرأهـا فلن يفهمها ، واذا فهمها فلن يستفيد بها ، (مع الاعتذار لانطونيو مكيافيللى صاحب كتَابَىْ « المطارحات والأمير ») .

وأعرف أيضا أن أكثر المثقفين ـ وهو ما يهمنى هنا ـ اصبحوا ينتمون الى هذه الجمعيات واصبحت هى ـ أى الجمعيات ـ الهيئات الفاعلة فى المجتمع أكثر من أفرادها ، هذه الجمعيات التى تخفت الآن وراء مسميات ضخمة وعناوين فخمة فى عملية التحول الكبرى الذى منى بها الوطن .

إذن فلا داعى للحديث إلى المثقف .

لاأريد أن أرسل برسالة إليه بل أريد أن أراه .

« تابعت من وسائل الرؤية التى زادت هذه الأيام الكثيـر لكى أراه » عـرفت هذه المؤتمرات والأبحاث ومجموعات العمل المنشورة والنشرات الدورية والنشرات الفصلية والصحف المثيرة ... الخ التى زادت خاصة عن المؤتمرات الأهلية . (١)

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

ففى هذا المدى غير المنظور يقبع المثقف هناك يتحول عن أدائه الوطنى إلى أداء آخر يرتبط بالمناخ العالمى ونظامه الجديد (العولمة) بما يمكن أن نذكر معه رأى جوليان بندا عن خيانة المثقفين دون أن نعتذر له (كما فعلت سناء المصرى فى كتابها عن التمويل والتطبيع ، والتى ذهبت فيه حول قصة الجمعيات غير الحكومية) .

فبدلا من أن يكون المثقفون ضمير البشرية اليقظ اصبح هناك الكثير منهم ممن يتخلون عن رسالتهم ويعرضون مبادئهم للشبهة .

وحتى لفظة الشبهة كدت أغيرها ، لأضع مكانها كلمة التحول والارتداد والصمت والكسب السريع والوجاهة والسيجار الضخم والألفاظ الضخمة والسيارات الفارهة والمواقف التى لم نعد نستطيع تفسيرها فى معزل عن هذا العالم الجديد الذى نحياه فى نهاية القرن .

فلنترك الكلام الى المثقف للكلام عنه ...

ولنعد إلى كتاب تضيف فيه صاحبته عن وسائل التمويل والتطبيع مالا يخطر على بال .

* * *

تعددت الأسماء التى إشارت إلى هذه الجمعيات من نادية فرج إلى المنصف وناس إلى حيدر ابراهيم إلى امانى قنديل إلى تقارير وابحاث ومؤسسات ومنتديات كثيرة ، (انظر خاصة ندوة الجمعيات الأهلية التى صدرت عن دار الأمين) غير أن كتاب سناء المصرى يصبح من أحدث الكتب التى حاولت ان تجيب عن كثير من الأسئلة عن هؤلاء ، تقول فى فقرة مباشرة تضع ايدينا بها على الواقع (١)

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

المؤسف الجديد :

(وجمعيات حقوق الإنسان التى اندرج فى العمل بها كثير ممن كانوا يقفون فى صفوف المعارضة « شيوعيون » ناصريون أو اليساريون عموما الذين كانت دعايتهم تدور حول الوطن والاستقلال والعدالة الاجتماعية وتهاجم الرأسمالية والإمبريالية والتدخل الأجنبى والفوارق الطبقية يتكدسون الآن فى جمعيات حقوق الإنسان فى أوضاع متفاوتة بين رؤساء وشغيلة . لقد غيروا خطابهم بدعوى «متطلبات العولمة » وقلبوا الكلام والشعارات على الوجه الآخر .. وسرعان ما ينفلت عدد من « الشغيلة ويكونون جمعيات جديدة بعد أن يدركوا سهولة الأمر ويفهموا سر اللعبة .. أو بمعنى آخر يعرفون سر التمويل ويواصلون إلى طرقه التى باتت معلنة فى الكتيبات الدعائية ، ويكفى » ..

ويكفى ما جاء من هذه الفقرة لنرى أكثر عبر ظواهر العولمة كيف تحول بعض المثقفين المتمردين الواعين إلى أجراء وشغيله ، إلى متعاونين وخونة .

ولا اعتذر عن هذه النعوت ، فما يموج به الواقع (قرن على قيام اسرائيل) أكثر مما يصمت معه الإنسان .

لنتعرف على الدور الذى تقوم به تلك الجمعيات أكثر ، قبل أن نصل إلى مصادر تمويلها وتشغيلها وتطبيعها .. الخ .

فما هى هذه الجمعيات الأهلية فى زمن العولمة ؟ وما هى مصادر تمويلها ؟.

لنحاول أن نجيب عن هذا السؤال الأول قبل أن نصل إلى السؤال الآخر .

والواقع أن هناك تعمد استبدال هذه الجمعية بتلك استبدال بالجمعية غير الحكومية . هكذا اسمها فى الأصل ... إلى الجمعيات الأهلية . (١)

ان البعض يسميها ، الجمعيات الأهلية، حتى توحى ـ كما يلاحظ ـ بعلاقتها بالأهل على طريقة المثل الشعبى القائل (لقد أصبحنا أهلا) وحتى توحى ـ كما يلاحظ أيضا ـ باستخدام كل الأساليب وكل التراث الشعبى للتأثير فى المواطن . وخداع دافع الضرائب ، فأصبحت العصا السحرية لتمويل هذه

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

الجمعيات، كيف تمول هذه الجمعية أو تلك تحت عناوين مخادعة وأهداف مراوغة. وبفضل تلك الكلمة الحربية كما تشير صاحبة كتاب (تمويل وتطبيع) . ولاحظ تجاور الكلمتين ـ بفضل التمويل تكونت خلال السنوات الخمس الأخيرة زحمة الجمعيات غير الحكومية .

بل وزاد الأمر ؛ فإذا الكثير من الجمعيات تتحايل على قانون وزارة الشئون الاجتماعية وقانونها رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ وتعلن عن أهداف إنسانية (كختان الإناث أو السلام .. الخ) للإسهام اكثر ، ليس فى توسيع نطاق الجمعيات وتناثرها كالفطر ، وإنما أيضاً ـ وهذا هو المهم ـ تلعب الدور المطلوب منها، ويقوم به هؤلاء المثقفون أو المثقفات .

والأدوار تتعدد حسب توجه مناطق التمويل والتحويل وهو ما سنضرب له مثلين اثنين .

المثل الأول يشار فيه إلى هؤلاء المثقفين :

فبدلا من أن يختاروا تنظيم المعارضة والضغط الشعبى بشكل ديموقراطى ، فإنهم يسعون إلى الطريق الآخر، وهو ، التعاون ، مع الخارج المجهول لنا وتقديم شتى المعلومات له فى انتظار تشدقه بالديموقراطية فى بعض أحاديثه الثنائية مع الحكومة الموالية له فى الأساس ، وعلى هذا النحو ، فإن إفساد الصفوة المثقفة يبدأ من هنا .

بدأ المثقفون المصريون يلعبون دورا ضد مبادئهم الأولى ليلقوا فى طاحونة كشف البنية المصرية وتفكيكها فضلا عن الإسهام ـ ولو بالصمت ـ فى عملية التخصيص .

وبدلا من الجواسيس الذين كانوا يتخفون ، ويستخدمون الحبر السرى والوسائل المجهولة . (١)

وبدلا من الأجانب الذين كانوا يكتبون التقارير بشكل لايعبر بالكامل عن الحس الوطنى ، أصبحنا أمام جهات وطنية تقوم بالدور كما لاتستطيع القيام به أية

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

جهة أجنبية منفردة .

إن التقارير المراد أن تأتى من الداخل ، تأتى ولكن بأساليب مرنة ، وبوضوح كامل، وتحت مسميات تتخذ شكل الشرعية .

ولدينا فى الداخل الآن مراكز لحقوق الإنسان تزعم أنها تدافع عن الأقليات وتفعل بالصمت أو المشاركة مالا يستطيع العدو الخارجى أن يفعله ، ويمكن أن يضاف إلى هذه الجمعيات الداخلية التى تتعاون بشكل ما مع بعض الجمعيات الخارجية التى تسهم فى الاضرار بالبلد إلى حد اقتراح (كما جاء فى كلمة سليمان شفيق فى مؤتمر جماعة تنمية الديموقراطية سبتمبر ١٩٩٧) مؤداه (ضرورة تشريع قانون للحقوق المدنية يضمن للمسيحيين اختراق الحياة العامة المصرية مثلما حدث للملونين فى الولايات المتحدة الأمريكية) وتعلق سناء المصرى على هذا القول :

« وكان اقباط مصر فى وضع زنوج امريكا قبل ان ينالوا حقوقهم المدنية ؟! ولم يكلف رئيس مركز (الوحدة الوطنية) المصرى نفسه دراسة الوضع الحقيقى للأقباط فى مصر من حيث مساواتهم المدنية الكاملة فى الحقوق والواجبات بمختلف شئون الحياة .

هل فضّل القبطى أن يتبنى لغة الممول الأمريكى وبرنامجه دون تفكير .

تسأل وتجيب بأكثر من إجابة عبر الكتاب :

غير أن الذى يطرح نفسه هذه الأيام كرد حقيقى لما يحدث هو ما انتهى إليه الكونجرس الأمريكى أخيرا من زعمه أن مصر تضطهد الأقليات المسيحية ، ومن ثم، بدأت حركات افتتاح مكاتب جديدة تحت مسميات شتى وتمويلها بزعم مراقبة الشئون الدينية فى دولة مستقلة » وكانت النتيجة أيضا أن يصدر القانون الأخير بالكونجرس (فى ٢٠ مايو) وبأغلبية ٣٧٥ صوتا ضد ٤١ صوتا بما يعنى ان نعطى لامريكا حقوق الوصاية الدينية على العالم ، ونحن نعلم ان نيتانياهو (١) قد قابل قبل ذلك اقباط المهجر بالولايات المتحدة الامريكية ووعدهم بنجاح القانون

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

في وقت لم يتردد فيه الانبا شنوده والهيئات المسيحية فى مصر فى معارضة اية جهة تتدخل فى شئون مصر الداخلية وتحت أى مسمى .

إن قانون (الاضطهاد الدينى) الذى بلغنا أخيرا يعد إحدى ثمار هذا الجهد الغربى للتدخل فى شئوننا خاصة بالتعاون مع عديد من هذه الجمعيات والإيغال فى إقامة مكاتب أخرى للحصانة كما يقولون لرصد الحالات الدينية .

هذا هو المثال الأول « للجمعيات غير الحكومية » بمثقفيها ، أما المثال الآخر، فهو يشير إلى أحد هذه المراكز التى تلعب دورا خطيرا فى حياتنا اليوم ، فإذا كانت عديد من هذه الجهات تموّل من الولايات المتحدة الامريكية ، فنحن لانعدم مراكز أخرى تنتمى إلى عديد من المركزيات الغربية الأخرى التى تلعب لأهدافها الخاصة .

لقد وصل إلى يدىّ (مشروع دراسة متعدد الجوانب لحىّ شبرا) يمول من أحد هذه المراكز الأوروبية ، فإذا تذكرنا أن الجمعيات الأهلية هناك تقام فى عديد من المناطق الشعبية : بولاق الدكرور، امبابة ، ارض اللواء ، دارالسلام ، منشية ناصر، المعتمدية، وغيرها من المناطق الشعبية . فإن المشروع هنا يتركز حول حىّ شبرا تحديدا ويشارك فيه أسماء لانستطيع أن نقطع بنزاهتها ، كما أن الهيئات والمراكز والمجلات التى اشتركت فيها لا تجاوز هذا ، ونذكر منها (سيداج – الهيئة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية ـ ومجلس الكنائس العالمى ـ ومجلة الدستور وبعض اقسام الجامعات المصرية، وتتعدد الموضوعات التى تدرس فى حىّ شعبى كشبرا لتحكم دائرة الشكوك ، انظر مثلا : العمل الأهلى ، محكمة شبرا الشرعية ، شكاوى وهموم الناس القضائية ، القدامة فى شبرا ، المسلمون وكنيسة سانت تريزا، التمثيل السياسي، الكاهن والسياسة ، وعمال ومصانع النسيج فى شبرا الخيمة، نشأة مدارس الأحد وتضيف قائمة المشتركين ـ يوجد اشخاص وافقوا على الاختيار وفى انتظار تحديد الموضوع، ولم أعرف ـ والمشروع بين يدىّ ، لمن يريد ـ ما هى العلاقة بين هذه المشروعات وحىّ شبرا ؟ هل يعرف أحد العلاقة ؟ (١)

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

إن ما يلفت النظر فى هذا كله أن المثقفين والمثقفات الذين يذوبون فى هذه الجمعيات (أو المراكز العلمية فى تهاونها معهم) فقدوا هوياتهم المعارضة السابقة « شيوعيون أو ناصريون أو يساريون » جميع الوان الطيف ـ وراحوا يتسابقون الآن فى جمعيات أهلية وهيئات انجيلية تزعم الانتماء الى « الخدمات الاجتماعية ـ الخ» يبدو انهم غيروا خطابهم بدعوى متطلبات العولمة، وقلبوا الكلام والشعارات على الوجه الآخر .

يبدو ان ذلك كله يحدد العلاقة بين الجمعيات الأهلية والتمويل ..
والمعروف ان طريق التمويل هو سبيل التطبيع السريع مع اسرائيل.
فلنتمهل أكثر عند طريق التمويل ... (١)

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

الجمعيات الأهلية ... التمويل ! [1]

سبق وأن رأينا كيف تكونت الجمعيات الأهلية وكيف تهيأت لتلعب الدور المطلوب منها فى عديد من القطاعات ، ثم كيف تسللت ـ فى زمن العولمة ـ إلى قضايا إنسانية ، أو أراد لها أن تكون إنسانية كقضية حقوق الإنسان دون أن تكون ساعية ـ بالفعل ـ عبر مثقفين واعين ـ للعب دور إيجابى فى دفع عجلة التطور الوطنى ، وإنما التدخل فى الشئون الداخلية .

وقد تنبه الرئيس حسنى مبارك إلى هذا جيدا حين أكد ـ صراحة ـ إبان مؤتمر الـ ١٥ إلى أن التدخل فى الشئون الداخلية للدول مرفوض . وبعد أن ضرب أمثلة كثيرة شدد على أنه لاتوجد دولة تقبل أبدا التدخل فى الشئون الداخلية للدول باسم حقوق الإنسان طبعا الإنسان له حقوق حق التعليم وحق العمل وله حقوق كثيرة وليس مجرد الحق الذى تثيره بعض المنظمات الأهلية (أهرام ١٤ مايو) .

وهو ما ينقل بنا من طبيعة الدور إلى مصادر التمويل ..

لقد سعت هذه الجمعيات لتغيير البديهيات، وتطوير الكلمات التى كانت تحرك الحس الوطنى إلى كلمات مغايرة عن طريق المال، فإذا بنا نتحدث عن قضية تعد (أم القضايا) وهى قضية السلام تحت شعار ثقافة السلام ، وكان السلام لابد أن يعلم لشعبنا المنكوب منذ نصف قرن بالمذابح والاستيطان والاستعمار .. وإذا بنا أمام هذه الجمعية أو تلك وبعضها أقيم لها أو معها نظائر صوتية فى إسرائيل من أجل إنهاء الحروب . وان هناك فى المعسكر الآخر محبين للسلام والاتفاق مع العرب لولا .. وبهذا تجرنا الرمال المتحركة إلى طريق التطبيع مع إسرائيل .

والتطبيع ليس بعيدا عن المشروعات التي يقيمها الغرب الأمريكى ـ خاصة ـ من آن لآخر لتحويل الوطن العربى بعد تغيير التاريخ إلى تغيير الاقتصاد (اقتصاد السوق) وبعد تغيير الجغرافيا من الوطن العربى إلى الشرق الأوسط ... الخ .

ولا تتردد هذه الجمعيات عن كشف منابع التمويل باسم (الشفافية) أو للتدليل على إخلاصها لهذه الجهات الإنسانية فتقدم لها الشكر فى مقدمة نشراتها

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

أو مراسلاتها التى تقدمها ، وما أكثر هذه الجهات ورغم أن عديدا من النشرات أو الدوريـات التـى تصـدر عن مثل هـذه الجمعيـات ذكرت بعض مصـادر التمويل (وفعلته بشكل ما بعض الدراسات القليلة جدا فى المكتبة العربية) ، فإن أكثر رصد لهذه المراكز يمكن أن نجده فى كتاب سناء المصرى ، فقد بذلت جهدا كبيرا لتربنا كيف أننا محدقون بجمعيات « تزعم » أنها أهلية، فى حين أنها تخفى وراءها مئات من جهات التمويل تلك التى لاتحتفظ بقدر بسيط من البراءة .

* * *

تتعدد مصادر التمويل ولا تتحدد ، فنحن أمام جهود منظمة اليونسيف التى قامت أخيرا بالاشتراك مع الجهات الممولة الأخرى ومن أبرزها مؤسسة GTZ الألمانية والاتحاد الأوروبى ، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ومؤسسة CARE أخرى والصندوق الاجتماعى وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية برعاية دراسات منظمة وشاملة للمنظمات المحلية غير الحكومية والمبادرات الشعبية فى مصر .

وقد يأتى التمويل من جهة واحدة بمسميات كثيرة، فجهة واحدة ترسل باسم :

AID ومرة باسم UNI ، وتتحدد مؤسسات أخرى تتبع الحكومة الامريكية أيضا مثل المنحة المحلية للديموقراطية فى واشنطن كما تسجل الكاتبة ، ويمضى مع هذا ما يسمى بالمعهد الديموقراطى ويرمز له برمز NDI حيث ، « يفضل نشطاء حقوق الإنسان استخدام الحروف الأولى فقط للاختصار وإن كان الأمر كما يلاحظ ، لايتعدى التعمية والتشويش .

وهذا المعهد يتبع الحزب الديموقراطى الحاكم مباشرة، حيث نجد فى مقدمة اوراق التعريف والدعاية الخاصة به صور كلينتون وكارتر وربما وجدنا شعارات كثيرة لمادلين اولبرايت وقد ظهرت هذه الأيام صورتها الكاملة فى الحفاظ على المصالح الأمريكية كما تعلن من آن لآخر . (١)

إن المصادر كثيرة، وهى أكثر ما تقدر على ذكره هنا وربما كان من أهمها

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

كل من الامديست ، ومؤسسة فورد فونديشن . ثم هناك منظمات تتوارى وراء هذه المنظمات التى تهتم بالتنمية الحكومية .

لانتوقف قليلا حتى تواصل التعرف على جهات التمويل الكثيرة التى تتبع جهات أخرى لاتخطر على بال ، وقد تبدو بعيدة عن تأثيرها المالى فى الإرادة العربية ، غير أن إعادة النظر وتأمل المصادر، والتمهل فى الأهداف ترينا أنها ، جميعا ، تتبع لمصدر واحد معاد للبلاد ، من منظمات العم سام أو اخواته من المركزيات الغربية . وهى تلعب دورها بشكل غير مباشر .

* * *

وجه العجب ، تقول « ان اغلب الجهات الغربية تلعب أدوارها فى التمويل بشكل غير مباشر وتنتمى لجهات لايبدو وراءها خطر ما ، وعلى سبيل المثال فهناك:

الجهات الهولندية / وزارة التنمية الهولندية / وزارة الشئون الخارجية بالدانيمرك / المعونة الإسترالية / سيدا كندا / فيدا فنلندا / توارد النرويجية / المنظمات الألمانية الكثيرة وتفرعاتها / المركز الدولى لحقوق الإنسان / الصندوق الأوربى / الهيئة الإنجيلية / مؤسسة المنحة القومية الديموقراطية / فريد راش ابيرت / لجنة الحقوقيين الدوليين / مؤسسة الاوكسفام الانجليزية / البنك الدولى! بل ونتأمل . وهى مالا يحتاج لتأمل الآن ، ان الحكومة اليابانية نفسها دخلت سباق تمويل الجمعيات الأهلية فى مصر (هل هذا معقول) أو لماذا ؟؟؟

ان المنظمات الأهلية التى تدعى استقلالها عن مناطق التأثير، والتى تعلن من آن لآخر استقلالها عن الحكومةالمصرية تقع فى أحضان الجهات الكندية والسويدية والهولندية والدينماركية والألمانية واليابانية .. الخ .

وهو ما يدفع المرء ليتساءل عن المدى الذى يمكن أن تزعم فيه مثل هذه الجمعيات أنها تستقبل التمويل وهى تحرص على استقلالها فى آن معا ، أو أنها لا تنتمى إلى أية جهة ضاغطة قط ، فكيف تكون هذه المنظمات سيدة قرارها (١) وكيف تكون حرة إذا كان وجودها ونشاطها يرتبط بمدى ما تمنحه لها المؤسسات

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

المالية التابعة بشكل أو بآخر للحكومات الرأسمالية » ، ان هذا يدفع البعض ليقول بصراحة أن هذه الجمعيات تدور فى فلكهم ابتداء من نوع النشاط الذى يمكن أن يدفع من أجله تمويل ، وانتهاء باللغة المستخدمة فى العمل والتى لاتختلف عن لغة الممول كثيرا . وفى كل الأحوال من يدفع يملك ويتحكم ولو عن طريق خيوط غير مرئية ... »

المثير فى الأمر ان الجمعيات ذات الميول التمويلية هى الجمعيات ذات الميول التطبيعية ، والأمر يفسر على انه كلما زاد حجم التمويل (السرى) حافظت على درجة التعاون المثلى وتشدقت بالسلام ورددت كيفية التعايش الإنسانى .. الخ .

وفى كل هذا لايفقد المسئول عن هذا التنظيم او ذاك منطقه المداور فى التعامل مع القضايا الإنسانية ، وتضخمه المتهمد للنزاعات الطائفية وهو ما يضطرنا لنقل أكثر من نموذج للتدليل فقط .

* * *

يحكى فريد زهران حكاية توضح موقف هذه الجمعيات من قضية التطبيع والتعامل المزعوم من إسرائيل بوجه خاص فقال ، وانا انقل هنا بالحرف الواحد هذه العبارة الدالة :

(نظّم سعد الدين ابراهيم لجنة لمراقبة انتخابات مجلس الشعب لعام ١٩٩٦م وكانت المؤسسات المدعوة بالتحديد هى.. مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية ، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والمعلومات ، مركز الدراسات القانونية ، مركز المساعدة القانونية ، المنظمة المصرية لحقوق الإنسان.. (و) ... / سافر سعد الدين ابراهيم إلى اسرائيل اثناء عمل اللجنة واستمرار نشاطها وطالب البعض (بتجميد عضوية د. سعد فى اللجنة أو على الأقل بتنحيته عن موقعه كأمين عام . وقد انتهى هذا النقاش العاصف بالموافقة على استمرار د. سعد فى اللجنة وبنفس موقعه) (١)،

تنتهى شهادة أحد العاملين فى هذا الطريق ، فسعد الدين ابراهيم لم يسافر إلى اسرائيل إلا بصفة شخصية ولم تتم باسم اللجنة .

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

ويدهش المرء ، وهى دهشة لامحل لها ليسأل : وهل هناك انفصام بين الفعل والإنتماء ؟

النموذج الآخر ما يتشدق به موريس صادق من اقتراح أشرنا إليه سلفا فى الأسبوع الماضى ونحب أن نكرره هذا الأسبوع (فقد نسب خطأ للصديق سليمان شفيق وهو برىء منه تماما) من ضرورة تشريع قانون للحقوق المدنية يضمن للمسيحيين اختراق السيادة المصرية مثلما حدث للملونين فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ويدهش المرء هل درس رئيس مركز الوحدة الوطنية الوضع الحقيقى للأقباط فى مصر قبل أن يتبنى؟ هذا الرأى ، وهل هناك انفصام بين الفعل والإنتماء ؟

وهو ما ينتقل بنا إلى حالة أشد غرابة .

* * *

فى إحدى المشادات التى حدثت بين المثقفات (الناشطات) فى هذا الاتجاه، راحت إحدى السيدات تحرض ضد التمويل الأجنبى ولم تلبث ان سافرت بتمويل منها . ورغم هذا الموقف ، فإننا نلتقى فى موقفها بملاحظات تستأهل التوقف ، فمثلا ، أنها تفرق مرة بين مؤسسات التمويل الغربية المشبوهة ومؤسسات الدول الاسكندنافية التى ليس لها أى دور استعمارى من وجهة نظرها ، وتلاحظ سناء المصرى هنا ـ فى كتابها تمويل وتطبيع ـ ان الدول الاسكندنافية هى السويد والنرويج والدانيمارك من أنشط الدول فى تمويل الجمعيات النسائية المصرية ...

ولا نكون فى حاجة لمن يحدثنا هنا عن الدور التى تلعبه الدانمارك فى هذا الاتجاه، فالحكومة الدينمركية لعبت ادوارا عديدة مباشرة وغير مباشرة فى عملية الصراع العربى الاسرائيلى ولكن فى الجانب الاسرائيلى. كما أنها ـ وهو معروف ـ ليس لها أى موقف مضاد للسياسة الأمريكية بالمنطقة . (1)

ولا نحتاج للتذكير هنا بأن الدانيمارك وعاصمتها المعروفة هى التى لعبت اكثر من دور فى لقاء عناصر غربية واوروبية ومخابراتية وعربية لاطلاق البيانات حول

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٨ / ٦ /١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

التطبيع والسلام فى وقت كان نيتنياهو يصل إلى اقصى درجات العنف ضد الاطفال الفلسطينيين واقصى درجات التراجع عن وعوده للرئيس مبارك فى القاهرة لعديد من الاتفاقات التى حاول فيها الرئيس المصرى انقاذ السلام .

لقد قامت الدانيمرك بهذا الدور ـ وغيره ـ وهى تتشدق بكلمات السلام والحوار فى وقت لم يتوقف فيه التمويل الغربى عن لعبته ، ولم تتوقف الجمعيات الأهلية (والكثير منها نسائية) عن ممارسة لعبة التمويل والقبض والتصريحات الرنانة والسفر على نفقة مؤسسة معروفة والتجمع فى فندق درجة أولى لينعموا وينعمن بالسفر المريح والدولارات الدافئة التى تأتى من المعونة الكندية كما تأتى من التمويل اليابانى ، ولا بأس من ان تأتى ـ كما عرفنا بالفعل ـ من جهات تبدو محايدة كاليونيسيف والأمم المتحدة وقابوس وغيرها ..

على أن أخطر أدوار هذه الجمعيات تتمثل فى استيعاب جيل صغير ناشىء ، كان يمكن أن يلعب دورا حقيقيا من أجل قضية تغيير النظام الفاسد وبدلا من هذا يفسد المثقفون من هذا الجيل الجيل التالى ، ويدرج فى هذه الجماعات التى تأخذ من الخارج تمويلا للوجاهة والثراء ، وتعطى إلى الداخل تطبيعا للخزى والاستكانة، فيتحول مثقف هذه الأمة ـ من جيل إلى آخر ـ إلى مهرج ، لايضحك أحدا وإنما يبكينا جميعا ...

* * *

وهو ما يدفعنا للقول أننا فى عصر العولمة والرأسمالية المتوحشة يظل المجال مفتوحا أمام (الجمعيات الأهلية)، ومن ثم يظل أحد الطرق للسيطرة عليها رجال الأعمال الذين يستطيعون أن يسهموا فى هذه الجمعيات فى مصر من منطلق وطنى عوضا عن هذه الجهات الأجنبية الغربية المريبة . (١)

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ٨ / ٦ / ١٩٩٨ مقال بقلم الدكتور / مصطفى عبد الغنى .

الامتيازات الأمريكية في عصر العولمة [1]

تثير أمريكا زوبعة مدوية اسمها « الاضطهاد الديني » وينشط الكونجرس الأمريكي لإصدار تشريع يقضي بمواجهة أمريكا لاضطهاد الأقليات الدينية بالخارج وخاصة الأقليات المسيحية وتنوى أمريكا فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على الدول التي تتوهم أنهاتمارس الاضطهاد ضد المسيحيين على أراضيها .

والحقيقة أن كل فترة تمر نسمع بمقولة جديدة ودعوى جديدة تهدف إلى فرض الهيمنة والسيطرة الأمريكية خاصة وأن أمريكا هذه المرة تدعى لنفسها حقاً ليس لها، وتفويضا ليس من حقها في فرض حمايتها على الأقليات المسيحية فى البلاد الأخرى تحت زعم أنها أقليات مضطهدة ! وهذا معناه أنها تعتبر نفسها حامى حمى الأقليات فى العالم وهو شيء غريب ومضحك فى نفس الوقت ! ففى فترة اخترعوا مقولة « معاداة السامية » ورموا بها بعض الدول وبعض الشخصيات جرياً وراء إثارة إسرائيل لهذه القضية وقامت بعض الدول الخائفة وقد صدقت المقولة أو هى تظاهرت بتصديقها تكفر عن ذنب لم تقترفه، فتمنح إسرائيل معونات ومساعدات وأسلحة لاحصر لها وطوردت شخصيات متعددة فى أنحاء كثيرة من أوربا وأمريكا بدعوى أنها من مجرمى الحرب ومعادى السامية وحوكموا كمجرمى حرب ضد الحمل الوديع إسرائيل التي تلطخت أيديها بدماء الأبرياء فى قانا كمثال واحد يدل على وداعتها ! .

وتمادى اللوبى اليهودى فى مقولته هذه فأخذ يرمى بعض الدول التى هى سامية أصلا بمعاداة السامية للىّ ذراع هذه الدول وقذف الخوف فى نفوس أبنائها .

وفى مرحلة أخرى أثاروا قضية ، الدولة الأولى بالرعاية ، وهددوا بعض الدول بهذه المقولة كالصين مثلا وتمادوا فى الضغط عليها كى تقبل بتصفية الشيوعية والاندراج فى الرأسمالية وحماية حقوق الإنسان ومنعوا عنها المعونات والمساعدات والقروض لفترة من الزمن للىّ ذراعها . وفى فترة أخرى أثاروا مقولة « سرقة

---

١ - جريدة الأخبار بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٩٨ ص ٦ مقال بقلم الدكتور/ أحمد فؤاد متولى .

التكنولوجيا الأمريكية ، وعدم مراعاة الحقوق الفكرية وهددوا الصين وبعض دول جنوب شرق آسيا من النمور سابقا وضيقوا على هذه الدول تجاريا واقتصاديا وكاد الموقف ينفجر. وفى فترة غيرها اتهموا بعض الدول بـ « رعاية الأرهاب والتشجيع عليه ، فاتهموا ليبيا تارة واتهموا السودان تارة أخرى واتهموا سوريا مرة واتهموا ايران مرة أخرى وفرضوا عقوبات اقتصادية وسياسية على بعض هذه الدول دون وجود أسانيد وبراهين كافية .

ونعود إلى موضوعنا الأصلى وهو الاضطهاد الدينى المزعوم للأقليات المسيحية وهو موضوع تكرر فى التاريخ ، إلا أنه هذه المرة مصحوب بما يتمتع به العصر الحاضر من الاستعمار الفكرى والسيطرة الثقافية والهيمنة والعولمة وإثارة الذرائع للتدخل فى الشئون الداخلية من قبل « العولمى الكبير » صاحب العولمة .

ومن خلال السيطرة الفكرية والثقافية تزرع أمريكا عقدة التفوق الأمريكى الهائل لدى الغير والخنوع والتبعية لدى الآخرين فى بعض الدول التى تأمركت ثقافيا وفكريا وأصبحت ممسوخة الهوية مهزوزة الضمير طائشة التوجه .

والعولمة هى الهيمنة بعينها بعد أن أجروا عليها بعض « العمليات التجميلية » كى تبدو « حسنة المظهر» والهيمنة هى الأمركة « لفظا ومعنى » ليس إلا ! .

واعتقد أن حملة الاضطهاد الدينى تثور الآن ضد مصر خاصة أن أقطابها من اللوبى اليهودى الأمريكى بهدف تكميم الأفواه وتكميم الأفواه المقصود به مصر كى تسكت عن الضغوط على اسرائيل وملاحقتها كى تعود إلى عملية السلام التى تعمل على قتلها . أقول هذا وأشير إلى أن الذين يرمون الناس ظلما وعدوانا ويتهمونهم بالسعى إلى التفسير التآمرى للأحداث وللتاريخ إنما يهدفون إلى تكميم الأفواه كى لايكون هناك مسعى لاجتهاد فى تفسير أو تحليل أو تعليق (١).

وموقف امريكا الحالى يذكرنا بما حدث فى التاريخ العثمانى حيث طالبت الدول الكبرى فى ذلك الوقت وهى انجلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا وامبراطورية النمسا ـ المجر ـ بحق حماية المسيحيين من الرعايا فى أراضى الأمبراطورية العثمانية المترامية

---

١ - جريدة الأخبار بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٩٨ ص ٦ مقال بقلم الدكتور/ أحمد فؤاد متولى .

الأطراف التي امتدت في آسيا وأوربا وأفريقيا ، رغم أن الدولة العثمانية كانت تمارس التسامح الديني بأعلى صورة . وعندما فتح السلطان سليم الأول الشام ومصر ١٥١٧م أراد أن يجعل جميع المسيحيين في أرجاء الدولة يسلمون ، فذكره المفتي بما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى « لكم دينكم ولي دين » (سورة الكافرون) فتوقف السلطان فورا عن مشروعه وانصاع لأوامر الدين الإسلامي الحنيف . وقد أدت هذه الامتيازات التي منحت للدول الكبرى إلى زيادة تدخل هذه الدول في الشئون الداخلية للأمبراطورية وكان من نتيجتها أنها ساعدت على انهيار « الرجل المريض » بسبب المردود السيء لهذه الامتيازات وسوء الاستغلال من جانب هذه الدول أيام ضعف الدولة العثمانية .

وقد أخذت هذه الدول الكبرى تسعى إلى توسيع مجال امتيازاتها فحصلت بعضها على حق حماية بعض المؤسسات الاقتصادية والثقافية والدينية والخيرية في الأمبراطورية العثمانية كمدارس اللغات والمستشفيات والمستوصفات والكنائس والأديرة وبعض النوادي الاجتماعية والثقافية والرياضية والجمعيات الخيرية ، وكانت هذه المؤسسات تتمتع بالتشجيع والتوجيه والحماية من الدول وتساهم مساهمة كبيرة في توسيع نفوذها وتقويته من الناحيتين المادية والمعنوية .

ثم تمادت الدول الأوروبية الخمس في تدخلها في الشئون الداخلية للدولة العثمانية سنة ١٩٠٥ فطالبت بإخضاع مالية مقدونيا التي تتكون من الولايات الثلاث سلانيك ومناستر وكوسوفو إلى رقابة دولية إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني رفض هذا المبدأ ، فأرسلت هذه الدول أسطولا مشتركا استولى على بعض جزر البحر الأبيض التابعة للعثمانيين لتهديدهم حتى نالوا ما أرادو لقد بلغ الأمر بالامتيازات الممنوحة من قبل الدول العثمانية لهذه الدول الخمس ان أخذت شكل « نظم تعهدية» لم تعد الدولة العثمانية تملك حق إلغائها أو تعديلها من تلقاء نفسها، ولا سيما بعد أن وصلت إلى ماوصلت إليه من الضعف والانهيار. وكانت هذه الامتيازات وبالا على الدولة العثمانية لتدخّل هذه الدول في الشئون [1]

---

١ - جريدة الأخبار بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٩٨ ص ٦ مقال بقلم الدكتور/ أحمد فؤاد متولي .

الداخلية للدولة حتى كانت أحد الأسباب الرئيسية في إنهيارها .

والسؤال الذى يتبادر للذهن في نهاية المطاف هو أين كان النظام العالمي الجديد والتطهير الديني بل والعرقي الذى يمارسه الصرب ضد البوسنيين ، بل والاغتصاب الجماعي يمارسونه ضد البوسنيات بما لم يحدث مثل بشاعته في القرون السحيقة قبل أن تمارس الأديان السماوية دورها الروحاني الطاهر ؟ بل وأين النظام العالمي الجديد والتطهير الديني بل والعرقي الذى يمارسه الصرب الآن ضد أهالي كوسوفو من الأغلبية الألبانية المسلمة في ديارها والتي تعتبر أقلية دينية في محيط الاتحاد اليوغسلافي الذى تتبعه كوسوفو ! إن قضية كوسوفو التي تطالب بالإستقلال عن الصرب بدأ النظام العالمي الجديد يدخلها مرحلة التبريد الجبرى في مبردات العولمة .

ليتنا نرى دولة أخرى تمارس التسامح الديني ولا تفرق بين مسلم ومسيحى بقدر ما تفعل مصر فنسيج المجتمع الواحد يعيش في سلام ووئام فلم نسمع على مرّ التاريخ تفرقة بين مسلم ومسيحى على أرض الكنانة ، فقد واجه الجميع المحتل الغاصب مثلا صفا واحدا لافرق بين مسلم ومسيحى في سبيل مصر والبطولة التى أبداها اللواء غالى قائد أحد الفيالق بالجيش المصرى في حرب العبور ١٩٧٣ يضرب بها المسلم قبل القبطى المثل على الفداء والتضحية من أجل مصر ذات النسيج الواحد [١].

---

١ - جريدة الأخبار بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٩٨ ص ٦ مقال بقلم الدكتور/ أحمد فؤاد متولى .

العولمة
بين
سماحة الإسلام وهيمنة الغرب (1)

« الإسلام دين عالمي ، بعكس الرسالات السابقة التي كانت تربط بقوم الرسول وبزمنه ، وأحيانا كان هناك نبيان في وقت واحد ، كإبراهيم ولوط ، وإسماعيل وإسحق ، وموسى وهارون ، وعيسى ويحيى ، مما يؤكد النطاق المحدود للرسالة . وتخصيص دعوات الأنبياء السابقين بأهليهم وقبائلهم من قوله تعالى : ﴿ **وإلى عاد أخاهم هودا** ﴾ « هود : ٥٠» ، ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحا** ﴾ « الأعراف : ٧٣» ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيبا**﴾ « الأعراف : ٨٤» ، ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه** ﴾ « هود : ٢٥» ، ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه** ﴾ « الزخرف : ٢٦» ، وعن سيدنا موسى يقول تعالى : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها** ﴾ « الأعراف : ١٤٥» ، وعن سيدنا عيسى يقول القرآن الكريم : ﴿ **ورسولا إلى بني إسرائيل** ﴾ «آل عمران : ٤٩» ، ورفض السيد المسيح علاج فتاة كنعانية وصرخ : [لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل] « إنجيل متّى، الإصحاح ١٥ ، الفقرة ٢٤ » .

أما دعوة سيدنا محمد ﷺ فجاءت شاملة من ناحية المكان ، أى أنها لكل الناس فى أية بقعة من بقاع الأرض . وشاملة من ناحية الزمان ، أى أنها لأجيال البشرية منذ مطلع الإسلام إلى يوم الدين ، وهذا المعنى كان واضحا من مطلع البعثة، فالآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن عالمية الدعوة الإسلامية هي آيات مكية وبيانها كما يلي فى قوله تعالى : ﴿ **تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ « الفرقان: ١ » ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا**

---

١ – مجلة الإسلام وطن – مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ص ٣٦ – ٣٩ .

ونذيرا ﴾ « سبأ : ٢٨»، ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ « الأنبياء : ١٠٧» ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ﴾ « الأعراف : ١٥٨» ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب ﴾ « إبراهيم : ٥٢» ، ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ « الأنعام : ٩٠» ، ﴿ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين * ولتعلمنّ نبأه بعد حين ﴾ « ص : ٨٧ ، ٨٨» .

والذى يطالع بعمق سيرة الرسول ﷺ وتاريخ أصحابه من بعده ، يدرك بوضوح الالتزام الكامل بتحقيق عالمية الإسلام ، لكن الرسول ﷺ وجد أن مكة لاتصلح مركزا تنطلق منه الدعوة للعالم ، بسبب عناد وكفر قريش ، واختار الرسول الحبشة مهاجرا ، وسار لها وفدان من المهاجرين ، بيد أن الحبشة اختيرت ملاذا لإنقاذ المغلوبين على أمرهم من مسلمى مكة ، وفى ليلة الإسراء والمعراج تحدد المركز الصحيح لانطلاق الدعوة نحو العالمية وهو يثرب ، وكان ذلك المكان الذى أعدته العناية الإلهية هو دار الهجرة ، وهاجر المصطفى ﷺ ليس فراراً من العدو ، ولا ملجأ مؤقتا كالحبشة، ولكن لبناء القاعدة التى تنطلق منها الدعوة الجديدة لكل مكان . وأسّس النبى ﷺ مجتمع المدينة على عدة دعائم وهى المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة المدينة بين المسلمين وغير المسلمين من سكان المدينة، ثم أسّس النظام الاقتصادى بها .

لكن اليهود ـ قاتلهم الله ـ لم يخلصوا لهذه المعاهدة ، وكانوا مصدر إزعاج وعدم استقرار لمركز انطلاق الدعوة الإسلامية نحو العالمية ، فلم يتساهل معهم الرسول ﷺ ، بل وقف موقفا صارما ضد من خانوا العهد، فقضى على بنى قينقاع فى العام الثانى من الهجرة ، وعلى بنى النضير فى العام الرابع ، وبنى قريظة فى العام الخامس ، وصفت المدينة من العوائق التى كان يمكن أن تعوق الانطلاق.

وجاء صلح الحديبية فى العام الهجرى السادس ، والذى يقضى بهدنة بين المسلمين وقريش مدتها عشر سنوات .. وهو يعنى إيقاف عداء قريش (1)

---

١ – مجلة الإسلام وطن – مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ص ٣٦ .

للمسلمين .. وهذا يعنى « ضمان لسلامة المسلمين» من العدو الثانى وهو قريش بعد أن انتهت قوة العدو الأول وهم اليهود.قبل ذلك بعام واحد . « عالمية الإسلام ، د. أحمد شلبى ، ص ١٧ » .

وابتداء من العام السادس حتى انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى قام ﷺ بتوجيه الرسائل إلى مختلف شعوب ودول العالم المعروفة فى ذلك الزمان ، يدعو الجميع إلى الإسلام ، فقد بعث برسائل ومبعوثين إلى نجاشى الحبشة ، وإلى هوزة ابن علىّ الحنفى أمير اليمامة، وإلى صاحب البحرين، وإلى كسرى بلاد الفرس ، وإلى قيصر الروم ، وإلى كبير مصر، وقد أحصى المؤرخون للرسول ﷺ أكثر من ثلاثمائة رسالة وجهها إلى الحكام والملوك والأباطرة والأمراء المعروفين فى العالم آنذاك . « د. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط ١١٧٣ » .

خصائص العالمية فى الإسلام

تميزت الرسالة الإسلامية بمميزات وخصائص جعلتها بحق هى الرسالة العالمية ، وفيما يلى نوضح أبرز هذه الخصائص بشىء من الإيجاز والتركيز وهى :

١ – **الخلود** : وخلود الإسلام هو استمرار بقائه ، وامتداد رسالته ودعوته ، مادامت البشرية تواصل حياتها على سطح هذه الأرض .. قال تعالى : ﴿ **قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحىَ إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومَنْ بَلَغْ** ﴾ « الأنعام : ١٩» .

وسر خلود الرسالة يكمن فى عنصرين أساسيين هما :

أ – **السعة والشمول** : فالسعة والشمول تظهر فى العقيدة ، والقوانين والنظم والأفكار والمفاهيم الإيمانية والحضارية.

ب – الاجتهاد : أى استنباط الأحكام والقوانين والمفاهيم والأفكار من القرآن والسنّة المطهرة ، فكل حادثة ، وأمر جديد يحدث فى المجتمع الإسلامى ، [1] ولم

---

١ – مجلة الإسلام وطن – مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ٣٦– ٣٧.

يكن له حكم محدد جاهز ، فإن الشريعة أذنت باستنباط ذلك الحكم من القواعد والأسس والمفاهيم الكلية العامة .

٢ - **اليسر والسهولة والتكليف بمستوى القدرة** : فليس فى الشريعة الإسلامية تكليفاً فوق طاقة الإنسان واستطاعته ، فكل العبادات من الصوم ، والصلاة، والطهارة والحج، والزكاة ، والجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنفقة على الزوجة والأبناء والوالدين، وأمثال ذلك ، كلها قد وضعت بمستوى طاقة الإنسان واستطاعته، قال تعالى : ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ « البقرة : ٢٨٦» .

٣ - **الإنسانية** : فهى تنظر إلى الناس جميعاً بأنهم من أصل واحد ، متساوون فى الإنسانية ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالإستقامة وعمل الخير.. فلا يفضل أحد على أحد بسبب لونه أو جنسه ، أو ذكورته، أو أنوثته، أو قوته .. الخ ، وإنما الفضل للاستقامة فى العقيدة والسلوك .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ « الحجرات : ١٣ » .. ويقول ﷺ فى الحديث الصحيح : (لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى) [١].

ومن الناحية الواقعية ، فقد فتح الإسلام أبوابه منذ سنيه الأولى لكافة الشعوب والجنسيات ، فدخله بلال الحبشى ، وصهيب الرومى ، وسلمان الفارسى ، ثم دخله السوريون، والمصريون ، والوثنيون ، والنصارى واليهود .. وفى ذلك يقول الفيلسوف البريطانى برناردشو : (ويمكن بحق أن نعتبر محمدا منقذاً للبشرية، وأعتقد أن رجلا مثله لو حكم العالم بإيثاره وخلقه لجلب للعالم السلام والسعادة، والإسلام دين كل الأجناس، إذ ضم من ساعاته الأولى الحبشى والفرسى والرومى كما ضم مجموعات من النصارى واليهود والوثنيين ، وانصهر الجميع فى بوتقة واحدة دون فروق على الإطلاق ، ولم يحس أى منهم أنه غريب عن هذا الدين) .

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٧ .

٤ - **العقلانية** : تقوم رسالة الإسلام على أساس قناعة العقل والتوافق مع منطقه ، وإقناعه بالحجة والدليل والبرهان الرصين .. قال تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ « العنكبوت : ٤٣» .. وقد حرر الإسلام العقل ، وأطلقه من الجمود والركود والخرافة ، فبنى أعظم حضارة ومدينة عقلية ملتزمة بقيم الإيمان والأخلاق .. يقول الأعرابى : ما أمرنى هذا الدين بشىء وعرضته على العقل إلاّ وقبله العقل ، وما نهانى هذا الدين عن شىء وعرضته على العقل إلا وقبله العقل .

٥ - **الاعتدال بين الدنيا والآخرة** : تأمر الشريعة بالاعتدال فى كل شىء كالطعام، والشراب ، والحب ، والبغض ، والانفاق ، والعبادة.. إلخ. فقد نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير ، والتفريط والإفراط فى كل شىء، وقد رفض الإسلام اتجاه الرهبانية واعتزال الحياة ، فى الوقت الذى لايسمح للإنسان أن يغالى فى طلب الدنيا ، ويتهالك عليها ، فيتحول إلى بهيمة همها غريزتها، وشهواتها.. يقول تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ « القصص : ٧٧» .

أصول العالمية فى الإسلام (١)

تبرز دعوات عديدة تحمل شعار (الحوار) ، حوار الأديان، حوار الحضارات ، حوار الثقافات ، حوار الشمال والجنوب ، حوار الشرق والغرب .. والحوار شىء إيجابى ينبغى الاعتراف به، ونحن كمسلمين ندعو إلى الحوار بكافة صوره، انطلاقا من مفهوم الإسلام للعلاقات بين البشر، ذلك المفهوم الذى يعترف دائما بالآخر.. قال تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ « النحل : ١٢٥» .. بل نحن ندعو إلى العولمة لكن .. فى أسمى معانيها، لا عولمة الهيمنة والتبعية والأوربة والأمركة فى أبشع صورها .. فالإسلام

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٧ .

يعترف بخصوصية كل شعب : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ « الحجرات : ١٣ » .

والإسلام حينما يدعو إلى الانفتاح والعالمية جعل لذلك شروطاً وحدوداً منها :

١ – أن يقوم الانفتاح والتواصل على الحوار لا على الإلغاء أو الاحتواء .. قال تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ « سبأ : ٢٤ » .. وهو ما يعنى أيضا الحرص على موضوعية الحوار الذى لاينبغى لأى طرف أن ينطلق فيه من أفكار مسبقة، أو من موقع استعلاء واستكبار.. قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ « يونس : ٩٩» .

٢ – اعتماد مبدأ الحرية ، حرية الفكر والرأى ، وحرية الرأى فى الإسلام جعلت بعض المسلمين يجاهرون بالرأى لرسول الله ﷺ بالرغم من إجلالهم له إجلالا لايقف عند حد ، ذلك أن هذا الدين لم يقهر إرادة الآخرين فى تبنى ما يشاءون من آراء وأفكار، حتى وإن كان الإسلام يرفضها.. قال تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغىّ ﴾ « البقرة : ٢٥٦ » وقال تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ « الكهف : ٢٩ » .

٣ – روعة الأدب فى الحوار مع الآخرين .. قال تعالى : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ « المائدة : ٩٩»، ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ « الرعد : ٤٠ » ، ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ﴾ « العنكبوت : ٤٦ » .

٤ – والحوار الإسلامى ليس فيه كذب ولا خداع ولا تلفيق .. قال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ « الإسراء : ٣٦» . (١)

---

١ – مجلة الإسلام وطن – مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ص ٣٧ .

٥ – تأكيد الإسلام لهوية كل شعب ، حيث يتم الاعتراف بلغته التى تمثل أحد أهم أركان هويته فتبدو واضحة فى قوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ « إبراهيم » ٤» .

٦ – احترام الثوابت العقدية وعدم التعرض لها بالإستخفاف والاستهزاء ، قال تعالى: ﴿ **وقد نزّل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً** ﴾ « النساء : ١٤٠» .

وحينما لا يستجيب الانفتاح لهذه الشروط ، ولا يحترم هذه الحدود، ويكون فوق ذلك مفروضاً ، فإنه لابد أن يصير عندئذ تحدياً بل استفزازاً .

إن ما تحمله الدعوة الإسلامية من سمو فى قوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ « آل عمران : ١٠٤ »، هو جوهر ما يمكن أن نواجه به العولمة المعادية للإسلام، وهو جوهر ما يمكن أن نفعله وندعو له من عولمة إسلامية ، العالم فى مسيس الحاجة إليها .

أسس العولمة والإسلام

العولمة الغربية معناها خلط كافة الحضارات ، وإذابة كل خصائص المجتمعات، بحيث لا يكون لأى مجتمع ثقافة ذاتية، أو هوية شخصية، وشيئاً فشيئاً تزول كل الأصول الحضارية، وتقل كل الروابط الأسرية، وينتهى ما يطلق عليه فريضة الخصوصية الوطنية، وبالتالى لايمكن ضبط تأثيراتها والتحكم فيها بالإجراءات التقليدية كإغلاق الحدود وقطع العلاقات الدبلوماسية مثلاً ، مع تسييد قيم مشتركة تنسب إلى الإنسانية برمتها، دون أمة بذاتها ، وهذا هو التصور العام للعولمة [1].

أما التصور الخاص للعولمة فينصرف إلى الجانب الروحى أو المعنوى ويتأسس على تهميش العقائد الدينية وربطها كلية بظواهر التخلف والإرهاب ، فالإيمان

---

١ – مجلة الإسلام وطن – مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ص ٣٨ .

بالغيب خرافة، والتمسك بالدين رجعية، وأداء الشعائر غباء وشكلية وعدم فهم.. وهكذا تنتهى العولمة إلى الفوضى ، فلا ضابط للمجتمع مع نص ضميرى ملزم ، والضابط الوحيد هو وجوب قتل عقائد الآخرين .. ولهذا وجب على العالم الإسلامى أن يرد على القتل بالفكر الإسلامى الرشيد والعقل الملتزم وفقا لخصائص وأصول العالمية فى الإسلام كما ذكرنا سابقاً .

فالعولمة إذا لم تستطع نفى الدين ، فلا أقل من أن تقوم بتهميشه، حتى لايتذرع به أحد فى إثبات ذاته ، وتفرده عن غيره من الناس .

وإذا أردنا الوصول إلى أسس العولمة المتعلقة بالدين على ما تقدم بيانه ، فيجب أن نلاحظ ما يلى :

أولاً : إن الدين يقف حجر عثرة أمام الماديين الراغبين فى تحقيق الهيمنة الاقتصادية العالمية، فالماديون لا يتنعمون إلا بالماديات من حب الشهوات إلى حب المال، إلى غير ذلك من أمور .. والدين الإسلامى يفضح هذه الحقيقة فى قوله تعالى : ﴿ **زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ « آل عمران : ١٤» ، لذلك فالحل الوحيد أمامهم يكمن فى نفى الدين ، أو على الأقل تهميشه ، وحبذا لو تم إظهار عجز الدين عن استيعاب حقائق العصر فى تصورهم كالعولمة .

ثانيا : إن الإسلام يحول دون ما تقتضيه العولمة من موالاة الكافرين بدليل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً** ﴾ « النساء : ١٤٤ » ، ولما كان كثير من دعاة العولمة الغربية من الكفار الذين يبتغون الهيمنة على العالم ، والمسلمون بمقتضى القرآن الكريم لن يوالوهم ، لذا فإنه يجب القضاء على الدين الإسلامى ، أو تهميشه ، وتسخير أعوانهم من العلمانيين « اليهود» لإثارة قضايا الخلاف [1] بين

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٨.

المسلمين فى الصحف والمجلات المقروءة .

ثالثاً : إن الإسلام يحرّم الاتجار فى أكثر الأمور إدراراً للربح الحرام، مثل : الإتجار فى الجنس والرقيق الأبيض ، والمسكرات ، المفترات ، ويحرم التعامل بالربا، والقمار، والاتجار فى شحوم ولحوم الخنازير، والأغذية الفاسدة، والأسلحة التى تمنح للمتمردين على أنظمة الحكم فى البلاد الإسلامية، والقنابل التى تطلق على الأبرياء وتعرض المجتمع كله للدمار .

ففى الاتجار فى الأطعمة الفاسدة سد الله تعالى كل الذرائع وبيّن المحرمات فى المطعومات بقوله تعالى : ﴿ **حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب** ﴾ « المائدة : ٣ » .

وفى جانب الطهر الجنسى والعفة يقول تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ « الإسراء : ٣٢ » .. فكيف يسمح المتاجرون بالمفاسد والجنس بقبول دين الطهر والعفة ؟ !!

رابعاً : إن الدين الإسلامى يفضح المتكبرين، والداعون إلى العولمة متكبرون يكرهون وصف القرآن لهم ولأمثالهم بقوله : ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لايؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً ، ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾« الأعراف : ١٤٦ » . [1]

خامسا : إن الإسلام بيّن حقيقة الدنيا بشكل يدعو إلى عدم الغلو فى التمسك بها، وهذا ضد مذهب الماديين الداعين إلى العولمة .. وبيان حقيقة الدنيا فى الإسلام يتضح من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً**

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٨ .

فجعلناها حصيدا كأن لم تغـن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ « يونس : ٢٤ » . ولكن الماديين يريدون الكسب ، وحض الناس على التعامل مع الدنيا بحسبانها الحقيقة الوحيدة فى حياة الناس ، وكأن الدين لاوجود له .

ومما سبق : نجد أن العولمة بالمفاهيم الغربية ، ضد الدين الإسلامى الذى يفضحها ولا يقبلها فى أى أساس من أسسها، والقضية الآن هى أن نكون أو لا نكون .. فإذا قبلنا أسس العولمة الغربية فرطنا في ديننا ، وإذا تمسكنا بديننا فلن نقبل عولمتهم بأى حـال من الأحوال .. والخير والسعادة فـى الإسلام .. قال تعالى ﴿ ويستنبئونك أحـق هو قل إى وربـى إنه لحـق وما أنتم بمعجـزين ﴾ « يونس : ٥٣» .

مظاهـــر العولمـــة

إن ثورة الإتصالات هي روح عصر العولمة وعـمـودها الفـقـرى، فالعلاقـات الدولية اليوم لم تعد تقتصر فقط ـ كما كان عليه الأمر من قبل ـ على العلاقات التجارية « استيراد وتصدير » ، والدبلوماسية « تبادل البعثات » ، أى تلك العلاقات التى تقررها الدولة بكامل إرادتها فى إطار ممارستها لسيادتها على شعوبها وبلدانها ، بل أصبـحت اليـوم – بفـضل التـقـدم الهـائل لوسـائل المواصـلات وتكنولوجـيـا الإتصالات – تتخطى كل الحدود ، وتحطم كل القيود ، لتفرض نفسها على كل المستويات الحساسة بعيداً عن أى مراقبة من أى نوع كانت ، وهكذا فعلى الصعيد الإقتصادى مثلا أصبح بإمكان رجال المال والأعمال فى أية دولة أن يتواصلوا مع نظرائهم فى الدول الأخرى، وأن يصدروا لهم ويستوردوا منهم دون مغادرة بلدانهم، بل عبر مكاتبهم وعن طريق الفاكس .

وعلى الصعيد الإجتماعى والثقافى فإن أجهزة الأقمار الصناعية اختصرت المسافات الشاسعة بين شعوب المعمورة ، وأماطت اللثام عن الكثير من خصائص بلدانها وتقاليدها، فضلاً عن أوضاعها السياسية وظروفها الإقتصادية ، ومنزلة[1]

---

١ – مجلة الإسلام وطن – مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ٣٨ – ٣٩ .

كل واحدة منها داخل منظومة دول العالم .

ومن حيثيات العولمة السعى نحو توحيد السوق العالمية بإلغاء الحواجز الجمركية بين البلدان ، لذلك فإن (قانون السوق) حرية العرض والطلب ، هو الذى سيحدد لكل طرف مكانته الحقيقية داخل السوق .. هذا القانون يقوم على دعامتين أساسيتين هما : (الجودة والثمن) والدول الغربية - نتيجة للتكنولوجيا المتقدمة ـ ستكون فى موقع القوة بالنسبة لبلدان الجنوب - وأغلبها إسلامية ـ مما سيشكل الضربة القاضية لما تنتجه بلداننا من سلع وخدمات كان معظمها إلى وقت قريب ـ ومنها من لايزال ـ يتمع بالحماية الجمركية ، والدعم المالى من طرف الدولة.. وبالتالى سوف تغلق مصانعنا ويتشرد عمالها بين مجرم ومتطرف .. ولابد من جهاد كبير من المستهلكين فى العالم الإسلامى وذلك بتشجيع الصناعات الإسلامية والإمتناع عن شراء المنتجات الغربية، لأن العالم الغربى يستخدم ظاهرة التدويل ـ للإنتاج ورأس المال ـ فى سياق التنفيس عن الإقتصاديات الرأسمالية التى تمر بفترة أزمة حرجة يترجمها الركود الإقتصاد ى، وتفاقم البطالة ، وغياب الأمن الاجتماعى .. فإذا وقفنا وقفة رجال ضد منتجاتهم انقلبت المشكلة داخل مجتمعاتهم وكفانا الله شر القتال .

وإذا كانت العولمة ذات البعد الإقتصادى تهتم بالمصير المادى للدول المستضعفة، فإن التحديات الثقافية تتجه صوب ضرب مقوماتها المعنوية، وتمضى فى اتجاه طمس القيم والمبادىء الدينية ، التى تشكل منها شخصيتها كشعوب وأمم، حيث ينتصب اللاوعى ـ الغربى ـ كل الصور السلبية التى نسجتها المخيلة الأوربية والأمريكية ـ تحركها الأصابع الصهيونية ـ عن الإنسان العربى والمسلم ، الأمر الذى يفسر لنا سر الهواجس اليومية لدول الشمال واستنفارها الضد لدول الجنوب.. بل إن الغرب يسخر كل إنجازاته العلمية وقدراته الإقتصادية، وإمكاناته الإعلامية ، بل قوته العسكرية ـ إذا اقتضى الأمر ـ ليفرض تصوراته الخاصة عن السلام، [1] والأمن،

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٩ .

والحرية ، والسيادة، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونحوها من المفاهيم التى لها عند كل أمة بل عند كل توجه فكرى وسياسى تصور خاص .

وباختصار شديد إنهم يريدون أن يلبس العالم الجينز ، ويأكل الهامبورجر، ويشرب الكوكاكولا ، ويرقص الماكارينا واللمبادا، ويغنى مع مايكل جاكسون ومادونا ، وتتحول دول الجنوب إلى خدم وأتباع ومرمطون لدول الشمال، ويتحول العالم إلى أبعادية أمريكية.. وأظنها تمهيد لظهور المسيخ الدجّال .

وهكذا فإن السعى اليومى لترسيخ فكرة العالمية والعولمة سيجعل الدنيا قرية أمريكية أو أوروبية عن طريق سلطان المعرفة، وغواية السلع، وسحر تقنيات الاتصال ، فضلاً عن قوة الحضور المستحضرة بالقوة ، إظهاراً للمركزية المستكبرة التى تحاول اختراق خصوصيات الغير، وتمزيق أنماطه الثقافية ، من أجل تأكيد قيم التبعية والهيمنة وآلياتها .

وشتّان بين العولمة الإسلامية، والعولمة الغربية من حيث الشروط والحدود والأخلاق والقيم والمبادىء .. لذلك فعولمتهم زائلة لا محالة.. وعولمة الإسلام باقية إلى ما شاء الله تصديقا لوعده تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ « الفتح : ٢٨» .

العالم فى مخاض وسيلد الإسلام

إن الناظر بحياد تام إلى العالم اليوم يجد أن كل النظم السياسية والإقتصادية والإجتماعية فشلت فى حل مشاكل البشر، وعجزت عن إقامة دعائم العدل والمساواة بين أبناء الأرض، وأفلست أو كادت النظم الرأسمالية والشيوعية فى أن تحل مشاكل الإنسان ، وقد خدعت بريق المادية والذهب ، وحياة البذخ والغنى والتطور المادى ، وفى وقت طغت المادة على الروح فأعمتها ، وتحول الإنسان إلى صخرة لا يهتز مهما اضطهدت من شعوب ، ومهما أريقت من دماء، أو انتزعت من حريات . (١)

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٩ .

وفى ميدان الحريات التى أطلقت لأبناء الغرب لم يستطع الواحد منهم - فى غياب العقيدة - أن يضبط شهوته ونزوات نفسه، فكان أن جرف فى تيار المادية بما حملته معها من خمور ومخدرات ونساء وشهوات ، فغرق وسط ذلك التيار وما عاد يستطيع أن يتخلص من أوزار ذلك كله وتبعاته.. هذا التيار المادى الذى تلبّس فى الظاهر بلبوس الفتن الباهرة ليخفى وراءه من دواعى الفساد ونذر الفناء ما يخفيه ، وإن المجتمع الغربى لتكاد تسمع صيحات أبنائه وعويلهم من حين لآخر، على الرغم من التقدم والغنى ، فليست سعادة الإنسان بالمادة وحدها ، إن الروح لها حقها ولها ضريبتها فإذا لم يحسب لها حساب ، وإذا لم تعمل على النهوض مع الفكر والعقل ، وعلى انتزاع الإنسان من كلب المادة وسلطانها فعلى تلك المجتمعات السلام .

إن لقاء الإسلام اليوم مع كل تقدم علمى فى الغرب، وكل حضارة ورقى ليعنى أنه هو الغاية وهو الهدف وهو المآل والملجأ ، وعنده الحل والربط ، إنه نظام متكامل صلاحيته لكل زمان ومكان .. كل صيحات العقلاء والحكماء فى الأرض تلتقى مع ما خطه الإسلام من نظم وقوانين .. لأنه هو القادر وحده على قيادة العالم إلى النجاة .. وإعادة كرامة الإنسان المهدرة فوق سطح الأرض.. فهل تعى الإنسانية ذلك قبل فوات الأوان ؟ !!

العالم فى مخاض وسيلد الإسلام .. تلك هى الحقيقة الواضحة، الإسلام اليوم عاد يكتسح سائر بقاع الأرض، ويشعل فتيله على الرغم من ضعف المسلمين، وضعف المبشرين بتعاليمه ، وعلى كثرة الواقفين فى وجهه .. لأن حضارتهم داخلها الوهن فى القيم والأخلاق والعقيدة والدين ، لذلك فهى صائرة إلى الزوال ، وفى زوال الأمبراطوريات العظمى أكبر شاهد ، ولعلهم يعتبرون بغيرهم قبل أن تصير حضارتهم عبرة للآخرين : **﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾** « ق : ٣٧ » . (١)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

١ - مجلة الإسلام وطن - مقال بقلم الأستاذ / عبد الحليم إبراهيم العزمى العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ص ٣٩ .

«« تعليق عام على المقالات السابقة »»

««« فى معنى « العولمة » وآراء المفكرين حيالها »»»

إنه بعد الاطلاع على ما كتبه المفكرون فى المقالات الخمس عشرة السابقة نستطيع أن نخرج بمفهوم واضح عن العولمة نوجزه فى كلمة « التبعية العالمية » والتبعية هى الدوران فى فلك الأقوى ، وبرز فى مواجهة هذا المعنى ثلاثة فرقاء من المفكرين :

الفريق الأول : هو فريق الفلاسفة ويمثله د. مصطفى عبد الغنى والأستاذ مرسى عطا الله والأستاذ الفريد فرج ، والأستاذ / السيد يسن ، والأستاذ الدكتور / أحمد عباس عبد البديع .

والفريق الثانى : فريق الاقتصاديين ويمثلهم الأستاذ / محمد فريد خميس .

والفريق الثالث : وهم فريق الإسلاميين ويمثلهم : د/ احمد فؤاد متولى, والأستاذ الدكتور/ على عياد والأستاذ / عبد الحليم ابراهيم العزمى .

وكلهم على حق فى التصور والتصرف حيال هذا الاتجاه العولمى الجديد .

ويتفق الجميع على أن معنى العولمة فى العصر الحاضر هو الدوران فى فلك الغرب المسيطر اقتصاديا ومعلوماتيا وتكنولوجيا ، لاسيّما بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، والغرب قد تفوقت فيه أمريكا فهى تريد أمركة العالم وأوربة ترفض هذه الأمركة ولذلك حصنت نفسها بالاتحاد الأوربى منافسة لأمريكا فى هذا الصدد . وقد تصدى الفرنسيون ـ بوجه خاص ـ للسيطرة الأمريكية فى « الجات » فراحوا ينتزعون مصطلح (الإستثناء الفرنسى) للحفاظ على هويتهم من هذه الرأسمالية المتوحشة .

وقد رأينا فى غضون الكلام كيف أن الغرب بما فيه أمريكا تتجه

النوايا فيه إلى احتواء العالم العربى بأسره طمعاً فى ثرواته وطمعاً فى إذلاله، وبأسلوب الأذكياء عمد دعاة العولمة إلى تخطى الحدود والمسافات بإنشاء بؤر ومراكز فى بلاد الوطن العربى تمثلت على الأقل فى مصر فى صورة الجمعيات الأهلية وهى فى عمومها ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ونستطيع بعد أن عرضنا آراء السادة أصحاب الفكر الفلسفى وأصحاب الفكر الاقتصادى وأصحاب الفكر الإسلامى أن نلخّص تصور كل فريق كما يلى :ـ

يرى فريق الفلاسفة : أنه يجب التصدى لتيار العولمة بالتحذير من أخطارها التى يمكن أن تحيق بنا ، مرددا ما قيل من أن ((العولمة السعيدة لمن يعرف ألا يكون ضحيتها)) . **السيد يس** .

وأن العولمة ليست هى المسئولة عن نشر ثقافة دون أخرى أو أنها هى التى تقود معركة الغزو الثقافى وذلك لأن جميع تكنولوجيات الاتصال فى بيوتنا مفتوحة على سائر محطات البث الإذاعى والبث عن طريق القنوات الفضائية العالمية وشبكة الإنترنت وغيرها دون أن نعمل على وقفها أو منع تدفقها على أسماعنا وأبصارنا وعقولنا ، لذا فإنه يتعين علينا أن نوجد لدى جماهيرنا الوعى بأن يختاروا من بين الصور والرسائل الاعلامية المختلفة ما يتفق مع قيمنا الدينية ومثلنا الأخلاقية ومعتقداتنا الاجتماعية وتوجهاتنا السياسية وبمعنى أشمل وأعم ما يتفق مع ثقافتنا القومية دون أن نغالى فى الحديث عن مساوىء العولمة وآثارها الضارة المدمرة .

أحمد عباس عبد البديع

ويرى فريق الاقتصادين : أن البراهين تأتى حاملة فى طيّاتها مظاهر الشروع فى عصر العولمة من خلال الزيادة الهائلة فى معدل التحول الاقتصادى الذى أدّى إلى ظهور سياسة عالمية جديدة تتسم بتزايد الاعتماد المتبادل بين الدول اقتصاديا ، فضلا عن تزايد حركة العملات ، وقد عزز ذلك التقدم التكنولوجى فى الاتصالات ، كما أتاح للعالم لأن يكون قرية صغيرة، وفى حالة العولمة فإن الجميع ينصهر تحت لواء الكونية حيث يتحول العالم إلى دولة واحدة .

ورغم تحفظ البعض فى الانضمام إلى هذه الدولة خوفا من استلاب سيادته أو لعدم مقدرته نتيجة اختلافه الهيكلى مع متطلبات هذا الاندماج إلاّ أن فى النهاية نجد البلدان النامية مطالبة بالاندماج . وهذا لايتعارض مع الحفاظ على سيادتها لاسيماأن العولمة رغم شروط واضعيها لاتعنى الخضوع التام وتفكيك الدولة كلياً .

ولكننا يمكن وضع البديل الصحيح لسياسة تفكيك الدولة وهو اللجوء إلى برامج الإصلاح الاقتصادى التى تستهدف تخفيف قبضة الدولة الإدارية على مفاتيح الحركة فى الأسواق والانتاج والتجارة والخدمات . وفى الوقت نفسه مقاومة الضغوط الخارجية لحماية الدولة من التفتيت فى عصر اختلال الموازين : موازين القوى الاستراتيجية والاقتصادية والحضارية . أنها فهم روح العصر دون أن نذوب فيه .

أ / محمد فريد خميس

ويرى فريق الإسلاميين : أن الإسلام فى عالميته يكون مشتملا على العولمة فى أسمى معانيها ، لاعولمة الهيمنة والتبعية والأوربة والأمركة فى أبشع صورها . فعولمة الإسلام لاتلغى خصوصية كل شعب، بل إنها تحترم الثوابت العقدية وعدم التعرض لها بالاستخفاف والاستهزاء ، وتأخذ بمبدأ الحوار الحر مع الآخرين ؛ حوار ليس فيه كذب ولا تلفيق ولا استعلاء .

وتاريخ الصحابة يمثل الالتزام الكامل بهذه المبادىء السامية لأن الاسلام يرجو الخير لكل الناس.

وهم فى تصورهم هذا يرون أن العولمة بمعنى فرض التبعية للغرب والسير تحت لوائه أمر مرفوض تماماً لأن كل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فشلت فى حل مشاكل البشر وعجزت عن إقامة دعائم العدل والمساواة بين أبناء الأرض وأفلست أو كادت النظم الرأسمالية والشيوعية فى أن تحل مشاكل الإنسان وقد خدعت ببريق المادية والذهب ، وحياة البذخ حتى تحول الإنسان إلى صخرة لايهتز مهما اضطهدت من شعوب ، ومهما أريقت من دماء ، أو انتزعت من حريات ، وأن العالم اليوم فى مخاض وسيلد غداً الإسلام .

أ / عبد الحليم إبراهيم العزمى

وأخيرا يرى هذا الفريق أن نتعامل مع العولمة بعقل وفكر وأسلوب الحضارة الإسلامية التى دخلت فى صراع كان ومازال ممتدا منذ خمسة عشر قرنا مع غيرها من الحضارات الأجنبية ، وبالرغم من ذلك فعطاؤها مستمر محتفظ بضخامته وهويته وشخصيته ، رغم ضراوة التحدى وما علينا فى هذا الصدد سوى أن نصطحب فى رحلتنا للمستقبل درس التاريخ .

أ - علي عيَّاد

ومجمل القول : أن العولمة خطر داهم تذوب فيه القوميات وتذوب فيه شخصيات الشعوب وعزتها، وأنه لابد من مواجهة هذا الخطر بالتحصين ضد عدواناته وتأثيراته السلبية ، وإذا كانت دول أوربا قد حصّنت نفسها بالإتحاد الأوربى، وإذا كانت فرنسا قد حصّنت نفسها بالاستثناء من الرأسمالية المتوحشة، فلا أقل من أن نحصّن أنفسنا بالدين، فالدين أقوى الحصون وأمنعها فى مواجهة هذا التوحش الاستعمارى البغيض المتمثل فى العولمة التى هى بمعنى الأمركة أو الأوربة .

الفصل الثـــالث

الأزهـــر

مَنـــار الإســـلام

الأزهر منار الإسلام

ظلت منارة الأزهر طوال قرون عديدة تلقي بأشعة الإيمان والتنوير علي جميع أرجاء العالم الإسلامي .. وظل الأزهر دائما الملاذ في مختلف المراحل الصعبة.. وظلت العيون عليه دائما انتظاراً لأجوبة الزمن الصعبة.

والمسلون اليوم يعيشون إحدى مراحل هذا الزمن الصعب.. مرحلة الانتقال من عصر الي عصر آخر تنهار فيه الحدود وتختفي فيه الفواصل وتمتد السماء فوقه مفعمة بالقيم المتغيرة والثقافات المتباينة والرؤي المختلفة .. وأصبح المسلمون أكثر حاجة لاكتشاف ما بين الحفاظ علي هويتهم الذاتية وجوهرها الدين الإسلامي وما بين الحياة في قلب العصر حتي لا يخرجوا بعيدا عن خارطته..

محمد همام

جريدة الأهرام ١٩٩٧/١٠/٢٤

(فتوي الأزهر في موقف الإسلام من العلمانية)

ناقشنا في الفصلين السابقين مصطلح العلمانية ومصطلح العولمة، وعلمنا أن العلمانية مفادها تهميش الدين وتأليه الانسان، والإيمان بالمطلق المادي، وأن العولمة مفادها الدوران في فلك الأقوي وطمس الهوية وأن العالم أصبح قرية لتفوق وسائل المواصلات والاتصالات وأن حكم العالم يؤول للقوي المسيطرة عليه اقتصاديا وتكنولوجيا ، والعلمانية تقف الي جوار العولمة طالما أن القوة في عصرنا الحاضر أصبحت للغرب المتغطرس وناقشنا في غضون ذلك أيضا ما يطلق عليه لفظ الحداثة وما تمثله القطيعة عن التراث والانحراف في نظريات حدية الي تاريخ الأمة وحضارتها.

وفي هذا الفصل الأخير نريد أن نعرض رأي الازهر ورأي بعض المفكرين الاسلاميين من واقع ما أثير علي صفحات الجرائد من تحقيقات صحفية في هذا المجال وما ظهر في بعض الكتب أيضا مما له تعلق بهذا الشأن، عسي أن نصل في النهاية الي بر الأمان.

أمّا عن العلمانية فقد صدرت فتوي الشيخ عطيه صقر (رئيس لجنه الفتوي بالازهر الشريف) ردا علي السؤال الآتي :

س : يتحدث الناس كثيرا عن العلمانية فما هو أصلها وما هو موقف الاسلام فيها ؟

ج : مما هو مقرر ان الحكم علي الشيء فرع عن تصوره ، فلا بد من تحديد المفاهيم حتي يمكن الحكم عليها صحيحا، والعلمانية لفظ وجد في كتبنا العربية حديثا عند ترجمة ما يقابلها في اللغات الأجنبية عن طريق الإدارة العامة للتشريع والفتوي بمجلس الأمة المصري – آنذاك – كما هو ثابت في الموسوعة العربية للدساتير العالمية التي أصدرها المجلس المذكور سنه ١٩٦٦ م. (١)

---

(١) الشيخ عطيه صقر– أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام– المجلد الثاني العدد رقم ٩٠ الطبعة الثانية نشر دار الغد العربي– العباسية – القاهرة من ص ٤٥٤ الي ص ٤٥٧

وبعيدا عن صحة النطق بهذه الكلمة، الذي ذهب فيه الكاتبون مذاهب شتي، وكان فرصة استغلت للدعوة الي وجه نظر معينة كما هو شأن المتشابه من النصوص الذي جاءفيه قول الله تعـالي : ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابـه منه ابتغـاء الفتنه وابتغـاء تأويلـه.** ﴾

[سورة آل عمران : ٧].

بعيدا عن ذلك، فان نسبه العلمانية الي العلم أو العالم ليست علي قياس لغوي، وهي ترجمة للكلمة الافرنجيه « لاييك » أو « سيكولا ريسم » وتعني « لا دينية » علي اي وجه تكون ، وفي اي ميدان تطبق ، وعلي أي شيء تطلق. وهي نزعه أو اتجاه أو مذهب اعتنقه جماعة في أوروبا في مقابل ما كان سائدا فيها في العصور المظلمة ، التي تسلط فيها رجال الدين علي كل نشاط في أي ميدان، مما تسبب عنه ركود وتخلف حضاري في كل المجالات .

وكان معتنقو هذا المذهب في أول الأمر في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد وقفوا من الدين موقف عدم المبالاة به، وتركوا سلطانه يعيش في دائره خاصة ، واكتفوا بفصله عن الدولة. ومن أشهر هؤلاء « توماس هوبز » الانجليزي المتوفي سنه ١٦٧٩م ، « جون لوك » ١٧١٦م، « جان جاك روسو » المتوفي سنه ١٧٧٨م.

وفي القرن التاسع عشر كانت المواجهه العنيفة بين العلمانية والدين ، وذلك لتغلغل المادية في نفوس كثير ممن فتنوا بالعلم التجريبي، الي حد أنكروا فيه الأديان وما جاءت به أفكار ، واتهموها بتهم كثيرة كرد فعل للمعاناة التي عانوها من رجال الدين وسلطانهم في زمن التخلف الذي نسبوه الي الدين ، ذلك الدين الذي كان من وضع من تولوا أمره، والدين الحق المنزل من عند الله بريء منه. (١)

ومن أشهر هؤلاء المهاجمين « كارل ماركس » الألماني المتوفي سنة ١٨٨٣م، و « فريدريك أنجلز » الألماني المتوفي ١٨٩٥م، و « فلاديمير أوليافوف لينين » الروسي المتوفي ١٩٢٤م. هؤلاء لم يقبلوا أن تكون هناك سلطة ثانية أبداً ، حتى لو لم تتدخل

---

(١) الشيخ عطيه صقر- أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام - المرجع السابق ص ٤٥٢- ٤٥٣

في شئون الدولة ، وإن كانت هذه العداوة للدين بدأت تخف، وتعاونت السلطات السياسية والاستعمارية علي تحقيق أغراضها.

لقد تأثر بهذا المذهب كثيرون من الدول الغربية، وقلدها في ذلك بعض الدول الشرقية، ووضعت دساتير علي أساس الفصل بين السياسة والدين عن النشاط السياسي والاجتماعي.

إن العلمانية بهذا المفهوم، وهو عدم المبالاة بالدين، يأباها الإسلام ، الذي هو من صنع الله وليس من صنع البشر، فهو منزه عن كل العيوب والمآخذ التي وجدت في الأديان الأخري التى لعبت فيها الأصابع وحرفتها عن حقيقتها. وذلك لانه دين الإصلاح الشامل، الذي ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويوفر له السعادة في الدنيا والآخره على السواء، فهو كما يقال، دين ودنيا، أو دين ودولة، أو عبادة وقيادة...

ومن مظاهر ذلك ما يأتي :

١- عقائد الإسلام ليست فيها خرافات ولا أباطيل، فهو يقدس العقل ويأمر بتحكيمة الي حد كبير.

٢- الإسلام ليس منغلقا علي معلومات معينه يتلقاها بنصها من الوحي، بل هو كما يقال، دين منفتح علي كل المعارف والعلوم ما دامت تقوم علي الحقائق وتستهدف الخير.

٣- الإسلام يمقت الرهبنة التي تعطل مصالح الدنيا، ويجعل النشاط الذي يبذل لتحقيق هذه المصالح في منزلة عالية ، لأنه جهاد في سبيل الله، والتاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين فهو دين يعمل للدنيا والآخره معا . (١)

٤- الإسلام يقرر أنّ السلوك الاجتماعي مقياس لقبول العبادة، فمن لم تثمر عبادته، بمفهومها الخاص من العلاقة بين العبد وربه، استقامة في السلوك فهي عبادة مرفوضة لا يقبلها الله ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون** ﴾

[سورة الماعون : ٤-٧].

(١) الشيخ عطيه صقر- أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام - المرجع السابق ص ٣٥٣- ٣٥٤

٥- الإسلام ليس فيه كهنوت يتحكم فيه بعض من الناس في مصائر الناس بإدخالهم الجنة أو حرمانهم منها، بناء على اعتبارات خاصة، فمدار ذلك على العقيدة الخالصة والعمل الصالح، وليس المشتغلون بعلوم الدين الا معلمين ومرشدين، والأمر متروك بعد ذلك لمن شاء أن يستفيد أو لا يستفيد بالتطبيق. وقد يكون المتعلم أقرب الي الله من معلمه ، بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله لهم جميعا، فما دامت العبادة لله وحده فهو وحده الذي يقبل منها ما يشاء.

٦- الإسلام ليس فيه سلطة مقدسة مستمدة من سلطان الله، وليس في البشر من هو معصوم من الخطأ، إلاّ من اصطفاه الله لرسالاته، والحكم من ذوي السلطان ليس لذواتهم، بل الحكم للدين أولا وآخرا، فكل شيء فيه اختلاف رأى يرد الي الله والى الرسول، أى الكتاب والسنّة .

٧- مبادىء الشريعة تستهدف تحقيق المصلحة، فإذا لم يوجد نص واضح فى أمر تعددت فيه وجهات النظر من أهل النظر وكان يحقق المصلحة العامة كان مشروعا، وبخاصة في أمور الدنيا، فالناس أعلم بشئونها.

٨- الإسلام دين تقدم وتطور وحضارة، ليس جامدا ولا متمسكا بالقديم علي علاّته فهو ينهي عن التبعية المطلقة في الفكر أو السلوك الذي يظهر بطلانه، بل يقرر ان الله يبعث مجددين علي رأس كل قرن، يوضحون للناس ما أبهم، ويصححون لهم ما أخطأوا فيه ويوائمون بين الدين والحياة فيما تسمح به المواءمة ، لأنه دين صالح لكل زمان ومكان، ومن مبادىء التربية المأثورة عن السلف : لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم . والمراد بالأخلاق العادات التي تقبل التغيير، أما أصول الأخلاق فثابتة. (١)

بهذا وبغيره نرى الإسلام يرفض العلمانية، وأن المسلمين ليسوا فى حاجة إليها، وانما هم فى حاجة الى فهم دينهم فهما صحيحا، وتطبيقه سليما كاملا، كما فهمه الأولون وطبقوه، فكانوا أساتذة العالم فى كل فنون الحضارة والمدنية الصحيحة، وضعف المسلمين وتأخرهم ناتجان عن الجهل بحقائق الدين وبالتالي عدم العمل بما جاء به

(١) الشيخ عطيه صقر- أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام - المرجع السابق ص ٤٥٤- ٣٥٥

من هدى، وبالجهل قلدوا غيرهم فى مظاهر حضارتهم، وآمنوا بالمبادىء التى انطلقوا منها دون عرضها على مبادىء الإسلام، لأنهم لا يعرفون عنها إلا القليل.

ولئن رأينا بعض دول المسلمين الآن قد نقلوا معارف غيرهم ممن يدينون بالعلمانية ،فليس ذلك دليـلا علي أنهـم آمنوا به، وانما هو للاطلاع على مـا عندهم حـتى يعاملوهم على أساسه، واذا كانوا قد قبسوا من مظاهر حضارتهم فذلك للاستفادة من نتائج علمهم وخبرتهم فيما يقوي شوكة المسلمين ويدفع السوء عنهم، والتعاون فى المصالح أمر تفرضه طبيعة الوجود، وهو مشاهد فى كل العصور على الرغم من اختلاف العقـائد والأديان. والمهم ألا يكون فى ذلك مسـاس بالعقـيدة أو الأصول المقـررة وأن يستهدف الخير والمصلحة. هذا، والأدلة علي ما قلناه مما جاء به الإسلام كثيرة تركناه للاختصار، والمقصود هو إلقاء بعض الضوء علي هذا المصطلح وموقف الدين منه [1].

(١) الشيخ عطيه صقر- أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام - المرجع السابق ص ٤٥٦- ٣٥٧

رأى بعض المفكرين الإسلاميين فى العلمانية والعولمة [1]

وبعد أن عرفنا رأى لجنة الافتاء المصرية بالازهر الشريف، نعرض الآن رأى أحد كبار اللامعين فى سماء الحضارة الاسلامية فى العصر الحديث وهو الدكتور ناصر الدين الأسد [2] من خلال الحوار الذى أجرته معه صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٩٨ بشأن العلمانية والعولمة والمخاطر والتحديات التي تواجهها ثقافتنا الاسلامية بسببها، كتبت الجريدة تقول :

- نود أن نعرف ما هي المخاطر أو التحديات التى تواجهها ثقافتنا بسبب العلمانية؟

- مخاطر وتحديات كثيرة، فالعلمانية لو اختصرت على أنها ثورة على الكنيسة وعلى الكهنوت لكانت بعيدة عنا .. لسبب بسيط هو أنّ الإسلام ليس فيه كنيسة أو كهنوت. إلاّ أنها تحولت عند البعض إلى إنكار الدين برمته أو فصل الدين عن المجتمع.

لا بأس من فصل الدين عن السياسة بمعنى ألاّ يكون الدين مطية للسياسة ولكن لا يجوز بأى حال من الأحوال أن نقبل بفصل الدين عن المجتمع، والخطورة تكمن فى أنّ دعاتها يحاولون الآن أن يفرضوا علينا هذا النوع من العلمانية بهذا المعنى، وهم يهددوننا بأنه إذا لم نأخذ بها منهجا ونظاما فإننا نكون مخالفين لحقوق الانسان، مخالفين للديمقراطية!؟

كذلك بالنسبة للعولمة وهى بطبيعه الحال بدأت اقتصادية .لكنها تحولت الآن

١- جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢٤ - مقال بعنوان ساعة مع ناصر الدين الأسد تكشف مخاطر العلمانية فى ثقافتنا ص ١٠ - أجرى الحوار -الاستاذ / سامح كريم.

٢ - الدكتور ناصر الدين الأسد أحد محاور الثقافة العربية المعاصرة ، تعرفه رئيسا للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بالاردن كما عرفناه من قبل وزيرا للتعليم ورئيسا للجامعه ومنشئا للعديد من المؤسسات العلمية والثقافية والسياسية فى بلاده.

وهو مع كل هذه المناصب السياسية والثقافية التى تولاها.. نعرفه فى مقدمة المثقفين الكبار فى عالمنا العربى، الذين يجمعون الى هموم الثقافة العربية ، اهتمام بالثقافات العالمية .. فمع كونه محافظا على أمر ثقافته العربية الأصيلة منذ كتابه الأول « مصادر الشعر الجاهلى » نراه غير غافل عن مد الجسور الى ثقافات الآخرين متخذا منها موقفا موضوعيا. حيث لا يهون من شأنها ولا يهول فى أمرها وهو ما نلمحه فى كتبه وآخرها « نحن والآخر صراع وحوار » و « نحن والعصر مفاهيم ومصطلحات إسلامية ».

لتدخل المجال لثقافى فنراهم يريدون غلبة وسيادة ثقافية معينة على الثقافات الأخرى.. بغرض محو خصوصيات هذه الثقافة المستهدفة .

ومن هنا وجب علينا التنبه لهذه الأساليب الخطيرة ، ومحاولة كشفها ومواجهته بالأسلوب الذى ينبغى أن نخاطب به غيرنا أى بلغة العصر حتى لا نكون لا خارج العصر ولا خلفه.

– وماذا نقصد بخصوصية الثقافة العربية التي يريد الاخرون طمسها؟

– أقصد ان للثقافة خصوصية.. لها خصائص تعرف بها شأنها فى ذلك شأن كل ثقافة علي الأرض .. وتتمثل خصائص الثقافة العربية فى ثلاثه أمور :–

ـ أولها المنهج الذى يضبط مسيرتها ويبين العناصر التى تستمد منها حقيقة وجودها ومقومات شخصيتها . وثانيها المحتوى الذى يجمع ميادين شخصيتها . وثالثها المحتوى الذى يجمع ميادين تعبيرها عن نفسها ذلك التعبير الذى يميزها عن غيرها ، وثالثها الممارسة وذلك فى تطبيقات المنهج والمحتوى على مر العصور... والحديث عن كل واحدة من هذه الخصائص طويل يضيق عنه المجال غير أنه يمكن القول مختصرا .. أنه بدون هذه الخصوصية ، وما تنطوى عليه من خصائص ، تصبح ثقافتنا العربية ممسوخة الشخصية أو تكون استنساخا وتقليدا لثقافة غيرنا ، وتسقط من تاريخ ثقافات العالم ذات التأثير فى غيرها.

– واذا كانت العلمانية تقوم على أسس هى العقل والعلم والتقدم.. وهذه الأسس هى بعينها من مبادىء الاسلام مرجع ثقافتنا فكيف نلقي منها كل هذه المخاطر .. هل يمكن تفسير ذلك؟

– انا معك فى ان هذه الأسس الثلاثة التى تقوم عليها العلمانية هى أيضا من مبادىء الاسلام وانه ليس هناك دين دعا الى استعمال العقل ، والى استخدام العلم ،إلى تقدم الإنسانية مثل الإسلام. (١)

لكن الخلاف بين الاسلام والعلمانية هو فى اسلوب التعامل مع هذه الإسس فمثلا العلمانية تؤله العقل وتقدس العلم وترى فكرة التقدم حتمية، بينما الاسلام يدعو الى العقل لكن لا يؤلهه لأن الأله فى الإسلام واحد.. هو الله عز وجل والاسلام يدعو الى العلم واتخاذه وسيلة إلى أهداف وأغراض لكن كم من وسيلة علمية لم يشأ الله

١– جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢٤ – مقال بعنوان ساعه مع ناصر الدين الأسد تكشف مخاطر العلمانية فى ثقافتنا ص ١٠ – أجرى الحوار –الأستاذ / سامح كريم

عز وجل أن تعمل، والاسلام يدعو إلى تقدم الإنسانية، لكن ليس على النحو الذى يريده دعاة العلمانية اليوم.

ومن هنا يتضح الخلاف بين الذى يؤمن بمبادىء الاسلام وبين الغربى الذى يريد أن يفرض هذه العلمانية بمفاهيمه هو.

الخطورة هي أننا مرغمين فإننا نقع تحت وطأة التهديد والاتهام بأننا مناوئون لحقوق الانسان ولمبادىء الديمقراطية !!.

فعلينا والأمر كذلك أن نستكين وأن نخضع للعلمانية كما يريدونها وإلاّ أصبحنا فى نظر الغرب- ضد حقوق الانسان وضد كل صور الديمقراطية!!

- وألاّ ترى أن فى ذلك تناقضاً ترفضه الديمقراطية ولا تقره مبادىء حقوق الانسان .

- نعم تناقض يجعلنى أتساءل بمناسبة حقوق الانسان ومبادىء الديمقراطية التى يلوحون بها فيما يدعو وما لا يدعو: هل حقوق الإنسان تسمح بحرية التعرى للنساء ولا تسمح بحرية الاحتشام ؟ وهل تسمح بحرية الأزر القصيرة للنساء « المينى والمايكرو » ، ولا تسمح بالملابس السابغة التى هى فى الأصل تراث إنسانى عام لا يزال شائعا بين النساء فى كل بلدان العالم ؟ وهل تسمح للنساء بحرية ملابس سباحة من قطعتين صغيرتين « البكينى» وحرية تعرية الصدور فى الشوارع والمركبات العامة مثل الحكم القضائى الذى صدر فى شهر سبتمبر ١٩٩٤ للسماح بركوب النساء القطارات فى نيوريورك وهن عاريات الصدور) بل وتسمح بحرية العرى الكامل للنساء والرجال معا فى شواطىء أصبحت تتكاثر يوما بعد يوم.. هل تسمح حقوق الانسان بكل ذلك ولا تسمح بالخمار لمن تريد السترة من النساء؟ وهل تسمح حقوق الإنسان بهذه الاختبارات التي تجرى للفتيات بالكشف عن أجسامهن وفحصها من أجل قبولهن فى بعض الأعمال مما يذكرنا بعهد الرقيق وأسواق النخاسة .. هل تسمح حقوق الانسان بكل ذلك ولا تسمح لمن يحترم المرأه.

أليس فى ذلك دليل صارخ على ازدواجية المعايير التى تستبد بها الدول الكبرى فتطبقها على من تشاء حين تشاء وتمسك عن تطبيقها على آخرين؟

- وما هو العمل للحفاظ على خصوصيتها مع وجود هذه التحديات؟ (١)

١- جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢٤ - مقال بعنوان ساعه مع ناصر الدين الأسد تكشف مخاطر العلمانية فى ثقافتنا ص ١٠ - أجرى الحوار -الأستاذ / سامح كريم

ان نتخير مما عند غيرنا، وما يتفق مع تعاليم ديننا ومقومات أمتنا، مع الانفتاح والتطور اللذين لا يناقضان خصوصيتنا ، وليس في ذلك بدع من الأمر.. (١)

كما تفعل فرنسا ... فاذا كان هذا البلد الذى يعتز بانه بلد النور والاشعاع والثقافه يخشى على ثقافته من غزو ثقافه أخرى يدعى أصحابها لها العالمية ويوفرون وسائل الإعلام والاتصالات التى تحقق لها هذه العالمية ، فكيف يجب أن يكون موقف الامم ذات الماضى العريق التى تنتمى الى العالم الثالث والتى لا تزال فى العصر الحديث تتلمس طريقها في ضعف وتردد وحيرة .. هل تستطيع ان تشارك فى ركب الحضارة ، وان تتفاعل مع الخطاب الانسانى العالمى، دون ان تكون هى نفسها بشخصيتها وهويتها وخصوصيتها الثقافية؟ مجرد سؤال.

وأقول مع الدكتور ناصر الدين الأسد فعلا هو مجرد سؤال لكل من يعينه الأمر .

***

ومن النص الوارد في فتوي الأزهر السابقة والذي جاء فيه «إن الإسلام يرفض العلمانية ... وإن المسلمين ليسوا فى حاجة إليها.. وإنما هم في حاجة إلى فهم الدين فهما صحيحا وتطبيقه تطبيقا سليما كاملا» ومن كلام الدكتور ناصر الدين الأسد الذى جاء فيه:- «الخطورة تكمن فى أن دعاة العلمانية الآن يريدون أن يفرضوا علينا هذا النوع من العلمانية بهذا المعنى - وهو فصل الدين عن المجتمع - وهم يهددوننا بأنه إذا لم نأخذ بها منهجا ونظاما فإننا نكون مخالفين لحقوق الإنسان مخالفين للديموقراطية!!» ، نفهم أن العلمانية شئ له خطورة مفروضة علينا - لكننا نجد على النقيض من ذلك - أن بعض الكتاب الذين تعرضوا لموضوع العلمانية يطرح رأيا شاذا مخالفا لما سبق، فهو يري أن العلمانية ليست ضد الدين ويقول إن الإسلام هو الدعوة الحقة للعلمانية ويخلط فى كلامه بين العلمانية والعقلانية، ويرى كما فهمت من كلامه أن العلمانية هى

١- جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٩٨/٢/٢٤ - مقال بعنوان ساعه مع ناصر الدين الأسد تكشف مخاطر العلمانية فى ثقافتنا ص ١٠ - أجرى الحوار -الأستاذ / سامح كريم

استخدام العقل «لأن الإسلام يطلب منا أن نستعين بعقولنا فى كل لحظة، والإيمان يزداد وينقص بقدر ما يحصل عليه العقل من مزيد من المعارف والدراسات فى الكون من حوله فيزداد مع كل معرفة جديدة إيماننا بالله، أى أن العلمانية باهتمامها بالحياة الدنيا وكأننا نعيش أبدا، هى أيضا طريق موصل إلى الإيمان بالله» (١)

وهذا الخلط فى الكلام يوقع شبابنا فى الحيرة، ويجب على كل كاتب أن يتحرى الدقة فى النظر فى مثل تلك القضايا الفكرية الهامة التى لا تحل مسائلها بالأحلام الوردية ولا بالاعتبارات الإقلمية لأن العالم الإسلامى أوسع وأشمل من كل بلد على حدة.

---

١ - الاستاذ/ فتحى غانم ، «أزمة الاسلام مع السياسة» سلسلة كتاب اليوم عدد يوليو سنة ١٩٨٨ م. ص٨٣.

رأي شيخ الأزهر في الحداثة (١)

أما عن الحداثة ومخاطرها التي تهدد الثقافة الإسلامية وتشيع فيها الفوضي، فالكلمة فيها لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وقد سجلتها صحيفة الأهرام من خلال الحوار الذي أجراه الأستاذ/ محمد همّام مع فضيلة الإمام الأكبر وجاء فيه :ـ

– دخلت الحداثة جميع نواحي حياة الناس.. وتطورت ظروف ووسائل المادية.. وتغيرت أشياء كثيرة في معيشتهم.. فهل تعتقد أن أخلاقهم وسلوكياتهم تطورت بنفس الدرجة؟

قال الإمام الأكبر :

« الحداثة من بين الأشياء التي غيرت الاخلاقيات لأن الانسان عندما يعيش في بيئة قانعة بما رزقها الله سبحانه وتعالي.. ففي هذه الحالة تنمو عنده نعمة القناعة.. ونعمة العفاف ونعمة عدم التطلع إلي ما ليس من حق الانسان. لكن عندما تعددت الوسائل وكثرت المطالب وكل واحد يريد كذا.. هنا نجد الكثيرين من الناس يرون الحق فيما يرضي أهواءهم .. فكثرة وسائل الاغراء والكماليات هي من الأسباب التي زادت من تطلعات الناس وعدم الاكتفاء بالضروريات «ومن يستعف يعفّه الله ومن يستغن يغنه الله».

– لعل هذه الملاحظات المنتشرة بين ثنايا إجابتك تثير أيضا سؤالا مهما .. وهو أن هناك مظاهر دينية كبيرة في مجتمعاتنا العربية.. فمن نراهم في المساجد في صلاة الجمعة اعدادا كبيرة تتزايد باستمرار وأجهزة الأعلام تبث ساعات طويلة من المواد الدينية والوعظ والإرشاد وباتت هناك إذاعات عديدة في الوطن العربي مخصّصة للقرآن الكريم.. وهناك ملايين من المسلمين يزورون الارض المقدسة في موسم الحج.. ورغم كل ذلك تزداد الشكوي من تدهور العلاقات الاجتماعية هذه الايام بداية من علاقة الفرد بجيرانه أو بالطرق أو بالآخرين بصفة عامة وصولا إلي اعتداء الفرد علي حقوق المجتمع حينا وشكواه في أحيان أخري من عدم حصوله علي حقوقه .. فأين يكمن الخلل ؟

---

١ – الأستاذ/ محمد همّام ، حوار مع فضيلة الإمام شيخ جامع الأزهر ، مقال بعنوان « الحداثة غيرت أخلاقيات الناس » جريدة الأهرام ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٧ ، ص ١١ .

قال الإمام الأكبر :

مما لا شك فيه أن العبادات من شأنها أن تهذب النفوس. فالصلاة مثلا تنهي عن الفحشاء والمنكر وقال الله عز وجل : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب واقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر.﴾ الزكاة ايضا تطهر النفس الانسانية. ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها.﴾

و الصيام من شأنه .. غرس التقوى في النفوس.. ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾. ايضا أداء فريضة الحج من شأنه أن يغرس بين الناس الأخاء الصادق وتبادل المنافع التي أحلها الله.﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلي كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ﴾ فمما لا شك فيه أن العبادات عندما يؤديها الانسان منا باخلاص ويؤديها بطهارة نفس ويؤديها بشروطها وأحكامها .. مما لاشك فيه أن هذه العبادات تؤثر في قلبه لكن إذا أدي الانسان منا هذه العبادات ظاهريا فقط دون أن يتأثر قلبه بهذه العبادات أو أداها نفاقا أو بصورة شكلية فهنا.. نجد أن هذه العبادات لم تؤت الثمار المطلوبة.. ومع كل هذا أستطيع أن أقول أن معظم الذين يؤدون العبادات التي كلفهم الله سبحانه وتعالي بها.. معظهم يؤدي عمله بنسبة ٧٠ في المائة بطريقة فاضلة وبطريقة حسنة – أيضا مما لا شك فيه أن عددا كبيرا من الناس لا يعرف طريق المسجد ولا يعرف طريق العبادات ولا يعرف شيئا عن القرآن الكريم، ولا يعرف شيئا عن الاحاديث النبوية الشريفة– وهؤلاء – أو معظهم – هم الذين اضطربت أحوالهم وساءت معاملاتهم وأصبحوا يطالبون بما يظنون أنه حقوق لهم ويتركون ما عليهم من واجبات فالمسألة ليست مسألة أن بعض الناس يؤدون العبادات ولكنهم يقصرون في حق دينهم وفي حق غيرهم .. لا .. المسألة أن أكثر الذين يؤدون العبادات يحافظون علي حقوق الناس ويؤدون أعمالهم بأمانة لكن الأكثرية من الذين لا يؤدون الواجب هم الذين لم تحسن صلتهم بخالقهم ولم يحافظوا علي الفرائض التي كلفهم الله – سبحانه وتعالي – بها. (١)

– بمناسبة الحديث عن الدعوة .. يلاحظ الكثيرون هذه الأيام انتشار كميات كبيرة من الكتب التي تتحدث عن الخزعبلات والأوهام. وتلقي هذه الكتب رواجا

---

١ – الأستاذ/ محمد همّام ، حوار مع فضيلة الإمام شيخ جامع الأزهر ، مقال بعنوان « الحداثة غيرت أخلاقيات الناس » جريدة الأهرام ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٧ ، ص ١١ .

ملحوظا.. وباتت أحاديث العفاريت وما شابه ذلك تلقي اهتماماً لافتاً للنظر، وهناك من يري ضرورة قيام الأزهر بدوره التنويري في مواجهة هذه الظاهرة فما رأيكم؟

– مما لا شك فيه أن لها ضررا كبيرا مادامت هذه الكتب تحتوي علي أفكار تتنافي مع قواعد الشريعة الاسلامية والمنطق السليم والعقل القويم. ونحن لا نملك في الأزهر مصادرة هذه الكتب. ولكننا نستطيع أن نكتب تقريرا عن هذه المطبوعات وتقوم بذلك لجنة متخصصة في الجوانب الشرعية والدينية– ويحدث ذلك عندما يأتينا الكتاب من جهة رسمية طلبا لكتابة تقرير عنه.. وعادة تقول في نهايته أنه يحتوي علي الأخطاء التالية– وإذا أزيلت الأخطاء تكون هذه الكتب صالحة للنشر – أو تقول أن كتابا معينا يحتوي علي أخطاء دينية ضخمة تشوش الافكار ونقترح مصادرته. فقط نتقدم بالاقتراح، وإذا لم يقتنع المؤلف بهذا الرأي نتجه للقضاء الذي لا نعلق علي أحكامه.. لكن نبذل جهدنا في تنقية الكتب الاسلامية من كل ما يتنافي مع أحكام الشريعة.. ومن كل الخرافات ومن كل الافكار السيئة التي تجعل شريعة الاسلام ليست صالحة لكل زمان ولكل مكان.

– في مقابل كتب الخرافات والأوهام.. هناك قضية أخري حول كتب الابداع في كافة مجالاته.. حيث بات هناك اقتناع بحق المؤلف الاديب– أو الفنان في الكتابة، ورغم ذلك أثيرت في الأيام القليلة الماضية بعض الشكاوي من اتجاه بعض الجهات الازهرية لمصادرة بعض هذه الاعمال؟

– ليس من وظيفة الأزهر – أو مجمع البحوث الاسلامية المصادرة .. فنحن لا نستطيع أن نكمم الأفواه.. ولا نستطيع أن نمنع الناس من التأليف أو الكتابة لكن نحن نقدم شهادة .. شهادة من أجل خدمة الدين.. ومن أجل خدمة الفضائل .. ومن أجل خدمة الحق .. ومن أجل خدمة هذه الأمة العربية– والاسلامية – نحن يأتينا الكتاب وطبقا لطلبات الجهات الرسمية نكتب تقريراً أميناً عنه، نطالب في نهايته بالمصادرة أو إزالة الاخطاء .. أو نؤكد جودته وصحته .. وليس من وظيفتنا أن نصادر فكراً. (١)

– في هذا الاطار هناك قضية أخري شائكة.. وهي أن هناك تراثا أدبيا وفنيا عربيا يستعين به أو يستخدمه المبدعون، فهل يغفر ذلك لهم اختياراتهم؟.. ومن الأمثلة

١– الأستاذ/ محمد همّام ، حوار مع فضيلة الإمام شيخ جامع الأزهر ، مقال بعنوان « الحداثة غيرت أخلاقيات الناس » جريدة الأهرام ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٧ ، ص ١١ .

الشائعة علي ذلك تناول الكاتب الراحل عبد الرحمن الشرقاوي لشخصيات من الصحابة معتمدا علي كتب التراث الموثوق بها.. ورغم ذلك هاجمه البعض بعنف.. فما رأيكم ؟.

– هناك ثلاثة آراء حول هذه المسألة: رأي يقول لابد من تنقية كتب التراث من كل دخيل فيها، ورأي آخر يري أن يحافظ علي هذه بالحفاظ عليه، وليس في مقدرونا أن تغير ما كتبه السابقون والرأي الثالث أن نحافظ علي هذه الكتب ولكن نعيد تحقيق وقراءتها ونعلق عليها بالتعديل المناسب– فإذا وجدنا كتاب تفسير فسر آيه تفسيرا يتنافي مع الحقائق الدينية– ومع العقول الانسانية السليمة. يمكن أن نترك ما كتبه صاحبه كما هو لكن نعلق في الهامش ونقول أن هذا الكلام خطأ للأسباب التالية– وبهذا نجمع بين أننا تركنا كتب التراث كما هي، لأنها ليست ملكا لنا بل لهذا التراث– وفي نفس الوقت أشرنا إلي ما فيها من أخطاء وصححنا المفاهيم– وهذا الرأي الاخير هو ما استريح إليه– أما الاشارة إلي ما كتبه بعض المؤلفين.. ومثال كتابات الراحل عبد الرحمن الشرقاوي – فإن ذلك كان من منطلق فكره هو، فهو لم يأت ليخقق كتابا تراثيا عن سيدنا عثمان بن عفان مثلا .. بل قرأ ما كتب عن هؤلاء الصحابة أو بعضهم ثم أعاد صياغة ماكتبه السابقون بأسلوبه هو – وهذا شئ يصبح مسئولا عنه من كتب – إن كانت صحيحه فمرحبا.. وإن كاتب غير صحيحة يبين الخطأ الذي فيها .. لكن اهتمامي الحقيقي حول كتب التراث التي كتبت من مئات السنين .. تفسير الفخر الرازي .. تفسير الطبري .. وغيرهما .. كل كتاب فيه الغث وفيه السمين.. فتفسير ابن جرير الطبري مع وجاهته – ومع ما فيه من بحوث قيمة وأفكار ناضجة .. فاننا نجد هناك قصصا ما أنزل الله بها من سلطان..

– نحن علي أبواب الألفية الثالثة للتاريخ.. هل تري أن هناك من القضايا ما تستحق أن تكون شاغل العقل المسلم، وأن هناك من الأسئلة ما هو جدير بأن يبحث لها هذه العقل عن إجابات حتي يحتل المسلمون مكانا لائقا علي خريطة عالم صعب، يلهث نحو الصدارة في الكون في كافة المجالات؟ (١)

– الحياة الانسانية في كل يوم تتجدد في افريقيا واسيا وأمريكا.. وفي كل أنحاء

---

١ – الأستاذ/ محمد همّام ، حوار مع فضيلة الإمام شيخ جامع الأزهر ، مقال بعنوان « الحداثة غيرت أخلاقيات الناس » جريدة الأهرام ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٧ ، ص ١١ .

المعمورة.. الحياة الإنسانية لا تقف عند حد .. والتطور يصيب كافة نواحي الحياة والمخترعات تتزايد والأفكار تتضاعف وأيضا هناك أصول ثابتة مهما تغيرت الدنيا.. هناك وحدانية الله عز وجل.. أركان الاسلام.. أمور ثابتة.. أي فيما يتعلق بالأمور الدنيوية هناك تغيير مستمر ونحن مع هذا التغيير ومع هذا التقدم، وهذا لا يتنافى مع شريعة الاسلام.. فإذا وجدنا علوما جديدة نرحب بها سواء كانت في الطب أو الهندسة أو الاتصالات أو في الكهرباء أو غيرها.. ما دامت هذه الأمور لا تنافي أصول الشريعة فمرحباً بها ... ولكن إذا وجدنا إنسانا خلط كلاما باسم العلم ويتعارض مع الاخلاق الكريمة والحقائق الدينية فنحن ملزمون بالرد عليه– لكن نحن مع التطور لأن الحياة متجددة في كل يوم وفي كل ساعة.. ونقول مرحبا بالتطور مادام في حدود الدين وأحكامه.(١)

١- الأستاذ/ محمد همّام ، حوار مع فضيلة الإمام شيخ جامع الأزهر ، مقال بعنوان « الحداثة غيرت أخلاقيات الناس » جريدة الأهرام ٢٤/ ١٠ / ١٩٩٧ ، ص ١١ .

نُذُر الخطر

نعلم أن الأزهر الشريف يحتل مكانة سامية في قلوب كل المسلمين علي المستوي العالم الإسلامي الكبير شرقه وغربه شماله وجنوبه، وهو يمثل القلعة الصامدة التي ترد الأخطار التي تتهدد حضارة الإسلام، وتسحق الفتن التي تثار ضده، فإذا أصاب هذه القلعة الصامدة ما يفت من قواها أصاب الذعر نفوس المسلمين الغيورين علي الإسلام، والأزهر كعبة المسلمين التي يحج إليها طلاب العلم الديني من كل مكان، ويتخرج فيه حماة الملة الاسلامية الذين يدرسون فيه القرآن وعلومه، والحديث النبوي وعلومه، والفقه الاسلامي، والتاريخ الاسلامي المجيد وما إلي ذلك من العلوم الدينية الاسلامية التي تمثل إشعاع الهداية ونور الحكمة علي مدي العصور والدهور وإلي أن يرث الله الأرض ومن عليها إن شاء الله تعالي، وقد نشرت جريدة الاهرام مقالا للأستاذ العظيم / ثروت أباظة، العنوان «لا أزهر .. بلا قرآن» أثارت ضجة كبيرة في المجتمع الإسلامي، وأحدثت هزة أليمة في نفوس المسلمين، وأتاحت للناس فرصة النقد، وإظهار التخوف من بعض القرارات التي صدرت عن مشيخة الأزهر في المناهج والمواد الدراسية التي تدرس في معاهده ومدارسه وجامعاته.

ونحن فيما يلي نعرض هذه المقالة التي نشرتها جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٧/١/٢٧ كما جاء بنصها في الصفحة الحادية عشرة وبأسلوب كاتبها، يقول :

لا أزهر .. بلا قرآن [1]

أقدم بين أيديكم خطابا واحدا من عدة خطابات وصلت إلي تحمل نفس المضمون وكلها ممهورة بتوقيعات عديدة وإني اكتب هذا الذي اكتبه متوجهاً إلى مولانا الإمام الأكبر الشيخ الجليل محمد سيد طنطاوي وإلى الأخ العزيز العالم الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ، وما أظن واحدا منهما سيسكت عما اشتملت عليه هذه الخطابات من استغاثة .. فالأمر جلل وفضيلة الأمام الأكبر والدكتور رئيس جامعة الازهر كلاهما كفيل بأن يبادر إلي تصحيح هذا العدوان على كتاب الله وعلي اللغة العربية جميعا.. إليك الخطاب أولا ولنا بعده تعليق :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الأديب الكبير / ثروت أباظة

وكيل مجلس الشوري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد فيشرفنا أن نرفع لسيادتكم الالتماس الآتي :

صدر قرار مشيخة الأزهر بإلغاء تدريس القرآن الكريم في جميع كليات الأزهر علي أن يمتحن الطلاب آخر العام في حفظهم اعتمادا علي أنهم يحفظونه من المراحل الأولي في الأزهر ..

كان الطالب يحفظ القرآن كله في «الكتّاب» قبل التحاقه بالأزهر قبل تطوير الأزهر .. وبعد التطوير تقرر حفظه في المرحلة الابتدائية ولكن الواقع أن الطلبة لا يجدون متسعا لحفظه فدخلوا الجامعة، دون حفظ وكانت الجامعة تقبل طلبة الثانوية العامة فتقرر تدريسه في الجامعة وكانت الجامعة تستعين بعلماء الأزهر والمتخرجين من معهد في القراءات لتدريسه..

وتولي رئاسة الجامعة الدكتور عبد الفتاح الشيخ فأسند تدريسه إلي المعيدين والمعيدات لتكملة نصابهم فلم يدرسه أحد منهم لأنهم لا يحصلون علي مكافأة ولأنه

1- جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١ / ٩٧ - مقال بعنوان « لا أزهر بلا قرآن » للكاتب المبدع ثروت أباظة ص ١١ .

يعطلهم عن المواظبة في الدراسة، فهم طلبة في الدراسات العليا ولم يقم بالتدريس إلا بعض المدرسين وقلة قليلة من علماء الأزهر في كلية الدراسات الإنسانية..

وتولي مشيخة الأزهر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي فكان أول عمل صدر منه للجامعة أن أصدر قرارا بإلغاء تدريس القرآن الكريم لاعتقاده بأن الطلبة حفظوه في المراحل الأولي، مع العلم بأنه لم يكن يدرس في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وأنه أصدر قرارا بتدريسه في الإعدادي والثانوي منذ عام واحد، وهم لا يدرسونه كله ولا يجدون مدرسين لإجادة ترتيله ..

فحفاظا علي كتاب الله في أكبر جامعة إسلامية في العالم نرجو إعادة تدريس القرآن الكريم في جامعة الازهر، علما بأن الوافدين من كل بلاد العام- وهم عدد وافر- والملحقين بالترجمة الفورية لم يسبق لهم ترتيل القرآن الكريم، مع العناية في اختيار المدرسين المتقنين لترتيله من هيئة التدريس وعلماء الأهر وخريجي معهد القراءات..

إننا نرجوأن تشمل هذا الملتمس برعايتكم فتعيد لكتاب الله شأنه بين الأزهريين.

وفقكم الله للخير آمين ..

أساتذة ومدرسو جامعة الأزهر عنهم :

عبد المقصود فهمي، عبد المولي علم الدين، إبراهيم فهمي، عبد الناصر عرابي، فؤاد عبد الله، عبد المنتصر علي، فريد فرغلي، علي سعد.

هذا هو الخطاب وكما ذكرت في صدر هذه الكلمة أنه واحد من خطابات أخري كثيرة تحمل نفس المعني وأن اختلفت التوقيعات.

وقد هالني من الخطاب أمور عدة أولها أن يأمر رئيس جامعة الأزهر السابق بأن يقوم بتدريس القرآن المعيدون والمعيدات وهم لايجيدون حفظ القرآن الكريم أو تلاوته التلاوة الصحيحة..

كيف غامر رئيس الجامعة السابق بالقرآن الكريم هذه المغامرة ؟ (١)

١- جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١ / ٩٧ - مقال بعنوان « لا أزهر بلا قرآن » للكاتب المبدع ثروت أباظة ص ١١ .

أما الأمر الثاني الذي لا أصدقه وأرجو ألا يكون صحيحا، أن مولانا الإمام الأكبر أصدر قراراً بإلغاء تدريس القرآن في جامعة الازهر لاعتقاده بأن الطلبة حفظوه في المراحل الأولي من الدراسة مع العلم بأنه لم يدرس في المرحلتين الإعدادية والثانوية إلا منذ قريب.

ولعل مولانا الإمام الاكبر استند في أمره هذا علي ما أصدره من قرار آخر بتدريس القرآن في الإعدادي والثانوي منذ عام واحد ولكن الخطاب يذكر أن الأمر صدر منذ عام واحد لاشك أنه لا يكفي لدراسة القرآن الكريم.

وقد أعجبت غاية الإعجاب بصمود مولانا الأمام الاكبر أمام الذين حاولوا أن يحتجوا علي هذا القرار الجديد بكل إجلال واحترام وتقدير .. إنني أكتب هذا الموضوع وأنشره علي الناس محاولا قدر الجهد مني أن أدعو إلي زيادة الحافظين للقرآن الكريم، الأمر الذي لا أشك أن مولانا الإمام الاكبر وهو الرجل الورع التقي العالم، سيؤيدني فيه كما أثق أن الاستاذ الكبير العظيم د. أحمد عمر هاشم سيكون لي في ذلك خير عون وسند.

إن الله سبحانه وتعالي قال في كتابه الكريم : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وهذا وعد من المولي العزيز قد تم إنجازه فعلا يوم شاء سبحانه أن يتعلم عباده الطباعة فهو القائل جل شأنه : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء» ..

فمنذ شاء سبحانه أن يعلم عباده الطباعة أنجز وعده بحفظ الذكر الكريم.

فأنا فيما أدعو إليه لا أتوجس أي خشية علي الذكر الحكيم، وإنما خشيتي علي المسلمين الذين لا يقرآون القرآن وعلي اللغة العربية التي تحطمت علي شفاة المتحدثين بها وعلي أوراق الكاتبين بحروفها منذ غاب القرآن عن الأزهر الشريف، وعن دار العلوم القديمة التي كانت لا تقبل في ساحتها إلا حافظي القرآن.[1]

فإن عجزنا أن نجعل القرآن يعود إلي دار العلوم، فما نحن بعاجزين أن نجعل

١- جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١ / ٩٧ - مقال بعنوان « لا أزهر بلا قرآن » للكاتب المبدع ثروت أباظة ص ١١ .

كلمات الله تضيء جنبات الأزهر الشريف مرة أخري، فقد بني الأزهر يوم بني ليكون منارة للإسلام ولكتاب الله المنزل.

وقد أصبح الازهر أزهرا بهذا وحده.. وسوف يظل أزهرا بهذا وحده أيضا .. وإن رَغِمَتْ كل الأنوف ولن يكون هناك أزهر بلا قرآن، إن في العالم آلاف الجامعات تتشابه جميعا فيما يدرس بها من علوم الدنيا..

ويظل الأزهر متفردا بأنه حصن الدين الأشم وقلعته الراسخة، ولأجل هذا ولما أعلمه من حرص الإمام الأكبر علي الدين الحنيف وعلي القرآن الشريف وعلي اللغة التي نزل بها وما أعلمه أيضا عن رئيس جامعة الأزهر من هذه الصفات لأجل ذلك جميعا أطلق صيحتي هذه واثقا أنني واجد منهما أذانا صاغية واستجابة عاجلة.

وفق الله الإمام الاكبر ورئيس الجامعة الأزهرية، لما يجمع عليه الشعب المصري من ثقة بهما وجميل علم بورعهما، وحفاظهما علي القرآن ولغة القرآن .. إنه سبحانه قريب مجيب .. (1)

كانت هذه المقالة التى كتبها الأديب الكبير ثروت أباظة بمثابة المحرّك الذى دفع الكثيرين إلى إظهار المخاوف مما آل إليه حال الأزهر . لاسيّما بعد القرارات التى أصدرها شيخ الجامع الأزهر بشأن خفض سنوات الدراسة فى الثانوية العامة إلى ثلاث سنوات بدلا من أربع سنوات .

وربّما ظهرت مقالات فى الصحف قبل تاريخ نشر مقالة الأستاذ الكبير ثروت أباظة تطالب بتعديل مناهج الأزهر، لكن بعد نشر هذه المقالة الأخيرة هاجمت صحف كثيرة قرار تعديل منهج الدراسة فى الأزهر بشكل كثيف.

١- جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ١ / ٩٧ - مقال بعنوان « لا أزهر بلا قرآن » للكاتب المبدع ثروت أباظة ص ١١ .

بداية المخاوف من تطوير التعليم الأزهري في ظل العولمة :

أثارت رياح الحداثة والتجديد زوبعة عاتية من الجدل في ساحة التعليم الأزهري وانقسم الناس إزاءها إلي فريقين، فريق يري أنه لابد من إحداث مراجعة لمناهج ومواد التدريس وتجديد الفقة بما يلائم العصر والبعض الآخر يري أن لا مساس بمناهج الأزهر ولا لمواد الدراسة ولكل وجهة نظره في التعديل أو عدم التعديل، وربما يعود السبب في أثارة هذه الزوبعة تلك الدراسة التي طلب إجراءها السيد رئيس مجلس الوزراء بمناسبة اقتراح جديد معروض يقضي باختصار مدة الثانوية الأزهرية لكي تصبح ثلاث سنوات بدلا من أربع سنوات .

ونبدأ الآن بعرض بعض المقترحات التي تطالب مشيخه الأزهر بإعادة النظر في المناهج ومواد الدراسة وتعديل التعليم الأزهرى ثم نتبعها المقالات التي أعلن أصحابها الهجوم علي مشيخه الأزهر وعدم قبول التعديل، ثم ما انتهي إليه قرار مشيخة الأزهر بعد ذلك .

أولا - المطالبة بالتعديل :

نعرض فيما يلي مقال الدكتور أحمد الحفناوي الذي نشرته جريدة الجمهورية في ١٠ سبتمر سنة ١٩٩٦ يطالب فيه بتبسيط المذاهب الأربعة وتجديد درس الفقه وتيسير الفكر الديني :

الأزهر .. والفكر الديني الرشيد (١)

لكل دين من الأديان روح تسيطر عليّ مجموعه وتوجه تيارها إلي غاية مقصوده والاسلام دين خالد وهو لذلك جمع الله فيه كل ما تحتاج إليه البشرية في جميع أحوالها وأزمانها وأماكنها . والحياة البشرية متغيرة سريعة التحول من قديم إلي جديد فهل روح الاسلام وغايته العليا تعارض سير الحضارة وتقدم العالم وتلزم البشرية بالوقوف عند حال واحد لا تتعداها ؟!

من المؤكد أن الاسلام لا يتعارض أبدا مع الحضارة ولا مع تقدم العالم وأنه دين لين فيه من السعة ما تستطيع أن نوفق بين روحه وبين مظاهر الحضارة في كل العصورفيقول الامام الشاطبي مثلا: « ما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالا للمصالح المرسلة وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالا للمصالح المرسلة ايضا وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالا للمصالح المرسلة ايضا » .

ويؤيد رأي الشاطبي هذا ما جاء في الأثر « ما أحل الله فهو حلال وما سكت عنه فهو عفو » .

ويقول الشاطبي أيضا : الحكم الشرعي يختلف باختلاف العوائد فيكون عند أهل المشرق قادحا في العدالة وعند أهل المغرب غير قادح.

وليس الشاطبي بدعا في هذا الفهم للشريعة، فأصول الشريعة ومصادرها الأولي تؤيد ذلك يقول سعيد بن المسيب رضي الله عنه : قلت يا رسول الله صلي الله عليه وسلم. « الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه منك سنّة قال : اجمعوا له العابدين من المؤمنين فاجعلوه شوري بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد » . صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم.

فالشريعة إذن لم تبن الحكم في كل مسألة فيسر الله علي الناس بأن ترك لهم متسعا وأمرهم بأن يجتهدوا علي أصولها ليحققوا مصالحهم التي راعي الله فيها الخير للناس . والامام محمد عبده عماد الحركات الاصلاحية وتجديد المفاهيم الدينية في

---

١ - جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٦ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٤١٧ - مقال للأستاذ الدكتور / أحمد الحفناوى .

العصر الحديث يقول : إذا ترتب علي شئ مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله فلا شك في وجوب تغيير الحكم وتطبيقه علي الحالة الحاضرة.

ولقد مضي علي الفكر الديني عصور من التخلف والضيق كان يري فيها أن الشريعة هي مذهب أبي حنيفة كما كانت تري دولة الخلافة العثمانية في عصور طويلة وكما كان غيرها يري الرأي نفسه في مذهب الشافعي أو مالك ولكن هذه النظرة خاطئة بقدر ما هي ضعيفة وشريعة الله أفسح وأرحب من حدود هذه المذاهب ونحن لا نريد أن نستطرد إلي نشأة هذه المذاهب ولكن الذي نحرص علي قوله هو : أن العمل برأي مرجوح في هذه المذاهب وترك العمل بالراجح فهذا ليس خروجا علي الشريعة ما دامت المصلحة والضرورة هي الدافع علي ترك الراجح.

إن ترك العمل برأي في هذه المذاهب بعضها أو كلها إلي رأي قيل به في مذهب آخر وراء هذه المذاهب الاربعة ليس كذلك خروجا علي الشريعة مادامت المصلحة هي الدافع والذي يحدد المصلحة وغير المصلحة هم رجال الفكر الديني الفاقهين من رجال الأزهر الشريف وغيرهم الذين يجب عليهم أن يبادروا بتوضيح ذلك للأمة.

نحن نعرف أن السيادة قد تقررت لهذه المذاهب الأربعة بشيوعها وغلبتها علي بقية المذاهب وتداول كتبها ودراسة رجالها ومعرفة الناس لهم السنين الطوال ولكنا نعرف بعد ذلك أن هذه السيادة المقررة لم تكن لتفوق الأولي علي الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة في الفهم بل لذلك أسباب هي الي السياسة أقرب منها إلي العلم خاصة إن كان لهذه المذاهب غير الأربعة في يوم من الأيام وفي أزهر العصور من دول الاسلام مثل هذه الغلبة وهذا التفوق اللذين نجدهما الآن والمذاهب الاربعة. (١)

ونحن لانبحث في الموازنة بين هذه المذاهب الأربعة وغيرها إلا من جانب الفائدة العلمية وإمكان الاستفادة مما عند أهلها من الفروق والاختلافات عن المذاهب الشائعة في السعة واليسر وكلهم من رسول الله ملتمس، كما ذكر صاحب الجوهرة هذه النظرة إلي هذه المذاهب غير الأربعة وموازنتها سيظهرنا علي ميادين فسيحة نجد فيها آراء

١- جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٦ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٤١٧ - مقال للأستاذ الدكتور / أحمد الحفناوى .

ذات قيمة في عصرنا الحاضر وقد تجد لهذه الآراء أيضا رجحانا في الفهم والحجة وخاصة أن في الفكر الاسلامي مذاهب لا يقل بعضها في القيمة والقوة عن هذه المذاهب الأربعة ونستطيع أن تجد فيها من الكثرة ومن السعة ما نستطيع أن نفيد منه أكبر الفائدة في تجديد المفاهيم الدينية وامدادها بالطريق الصالح مما يوافق العصر والحاجة فقد كانت المذاهب في العصر العباسي نحو أربعة عشر مذهبا : كلها مفيد وكلها من الإسلام وكلها مستمد من كتاب الله ومن بين هذه المذاهب :

الأوزاعي فقيه الشام، الحسن البصري، سفيان الثوري، ابن عيينة، والليث بن سعد، فقيه مصر والذي قال فيه الشافعي : الليث أفقه من مالك، ولكن أصحابه أضاعوه أي لم يدونوا فقهه ومذهبه.

وهناك مذهب اسحق بن راهويه وأبي ثور والطبري وهناك من المتأخرين من لم يشتهر بأنه صاحب مذهب فقهي ولكن له آراء يخالف بها أصحاب المذاهب الأخري كابن تيمية وابن حزم.

إن مقصدي الأول في هذا المقال هو : الدعوة إلي دراسة هذه المذاهب، خاصة منها التي يتميز تفكير رجالها برجاحة العقل وحرية البصر والبراعة في الاحاطة بالرأي ونقده وتقديره ..

وليس بدعا أن ندرس كتب هذه المذاهب وأن نعرف أقدار رجالها فهم مسلمون بل فيهم كثيرون هم الذين حملوا لواء الدفاع عن الإسلام وصمدوا في مواجهة خصومه المغيرين عليه .

وللأستاذ الأكبر الشيخ «المراغي» شيخ الأزهر الأسبق عبارات حكيمة يقول فيها : « إن الدين في كتاب الله غير الفقه وأن من الاسراف في التعبير أن يقال أن الاحكام التي استنبطها الفقهاء واختلفوا فيها وتمسكوا بها حينا ورجعوا عنها احيانا، أنها احكام الدين وأن من أنكرها فقد انكر شيئا من الدين فإنما الدين هو الوحي من الله وإلي الأنبياء جميعا. [1] أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل فهي آراء للفقهاء

١- جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٦ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٤١٧ - مقال للأستاذ الدكتور / أحمد الحفناوى .

مستمدة من أصولها الشرعية تختلف باختلاف الظروف والبيئات » وكلام الامام «المراغي» ليس بدعا في بابه فالتغيير من بعض الأحكام إلي بعض أمر «معروف في الشريعة الاسلامية بالنسبة للأحكام الظنية يقول «ابن عابدين» الفقيه الحنفي : كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو حدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف القواعد الشرعية المبنية علي التخفيف ورفع الضرر والفساد.

وهذا هو الامام «الشافعي» العربي القرشي قد تأثر في كثير من أحكامه الخاصة بالمعاملات والبيئة مما أدي بتلاميذه أن ينقلوا عنه : آراء تصوّر ما يراه وهو بالعراق متأثرا ببيئته وآراء تصوّر ما رآه وهو في مصر .. تأثراً ببيئتها !!

لقد كان التضييق وانكار العقل والتقليد ومنع الاجتهاد طابع العصور المنهزمة المتخلفة في تاريخنا الاسلامي وكانت الشجاعة والجرأة والبر بالعقل والفكر طابع العصور المنتصره عصور السيادة والقوة والشموخ.

حدث أن قرر الخليفة العباسي «المنصور» أن يجعل من كتب الامام «مالك» دستورا للشريعة وقانونا للاحكام، ولكن الإمام مالكا «رفض ذلك قائلا : يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ؛ ودع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم » فأين نحن إذن من هذا الفهم السديد لشريعة الاسلام ؟!

إنني علي ثقة بأن الازهر الشريف الآن ، وبعد تعيين شيخنا الطنطاوي شيخا للأزهر والعالم النبيل أحمد عمر هاشم رئيسا للجامعة يستطيع أن يفعل شيئا فما يزال فيه جماعة من العلماء الرواد، سيكون لهم من تأييد الرأي العام ما يدعم اتجاههم نحو تيسير فكرنا الديني، إن هم قرروا ذلك !!

إن القضية الرئيسية التي تواجه المسلمين اليوم هي قضية الاحتفاظ بالهوية الإسلامية في إطار تغير المحتوي الشامل للمجتمع الإسلامي. (1)

والإسلام يشتمل علي أدوات النهضة وشروط التقدم ولكن ظروفا تاريخية بالغة

1- جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٦ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٤١٧ - مقال للأستاذ الدكتور / أحمد الحفناوى .

التعقيد دفعت بالشعوب الاسلامية بعيدا عن اكتشاف القيمة الكبري التي بمنحها الاسلام لهذه الأدوات كلها فقد قذف القدر بخمسة قرون ميتة أمام الحكم العباسي وقذف بعده قرون هالكة أمام الحكم التركي، فما ذنب الاسلام حتي يحمل المخلفات الثقافية والسياسية لهذه القرون؟!

إنني أهيب بفضيلة شيخ الأزهر وبرئيس جامعته الموقرين، أن يعيدا تشكيل «مجمع البحوث الاسلامية» من علماء الأزهر الرواد المشهود لهم: بالعلم والورع والتقوي،وأن يكونا حريصين علي ألا ينتسب إلي هذا المجمع الموقر من كان رصيده العلمي نقولا أو كان طريقه إليه وصولا، حفاظا علي جلاله وهيبته، وحتي يكون قادرا علي أن يقدم للمسلمين فكرا دينيا رشيدا دون تضييق. (١)

١- جريدة الجمهورية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٦ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٤١٧ - مقال للأستاذ الدكتور / أحمد الحفناوى .

(شكوي أحد طلاب العلم بالأزهر) (١)

كما نشر الأستاذ إبراهيم حجازي في جريدة الأهرام :

شكوي مقدمة من أحد طلاب العلم بالأزهر الشريف يطالب بالاهتمام بأمر الثانوية الأزهرية وإعادة النظر في مناهج مراحل التعليم ما قبل الجامعي يقول فيها :

« قرأت كل ما كتب عن الثانوية العامة ومناهجها ونظامها سواء من سيادتكم أو من السادة القرّاء ولكن لن أزيد شيئا علي ما ذكر لسبب بسيط وهو لأني لا أدرس في الثانوية العامة ولكن أدرس في الثانوية الأزهرية وقد كنت قبل أن أمسك القلم والورقة واكتب إلي سيادتكم مترددا كثيرا وكنت علي أمل أن تثيروا هذا الموضوع وأنا علي ثقة بأن سيادتكم سوف تقومون بطرح قضية التعليم الأزهري ومناقشتها سواء مع القرّاء أو المسئولين وإليك سيدي بعض مشاكل التعليم الازهري وأكرر: بعضها وليس كلها، ولعلها تكون البداية ليخرج كل طالب أزهري ما في نفسه وما يعانيه من مشاكل تعليمية.

أولا : أرجو من سيادتكم بعد أن تقرأ هذه الرسالة أن تمسك بكتاب «أي كتاب» ازهري ما عدا الكتب المشتركة بيننا وبين الثانوية العامة وارجو من سيادتكم أن تقرأه وتقول لي ماذا استفدتم منه. أنها يا سيدي عبارة عن كتب مطبوعة من أجل «الصم» لا الفهم «عبارات جافة» جمل كثيرة لا فائدة منها .. هل تعلم يا سيدي أن المناهج الأزهرية لم تتغير منذ عام ١٩٦١ ؟!. هل تعلم يا سيدي أن الطالب الأزهري لا يقوم بفتح أي كتاب وزاري من أول دخوله المرحلة الثانوية ويكتفي بشراء مذكرة مبسطة لكل مادة من الخارج لأنه لا توجد نماذج بالطبع للمواد مقارنة بالتعليم العام – علما بأن الذين يقومون بطبع هذه المذكرات من أساتذة الأزهر الكبار– إذن مادامو غير مقتنعين ببساطة هذه الكتب فلماذا لا يتم التغيير؟. هل هذه الكتب أصبحت كتبا

١– جريدة الاهرام بتاريخ الجمعه ٢٠ مارس ١٩٩٨ . مقال بعنوان:

« تطالبون بعودة الرياضة للمدرسة.. ونحن نطالبكم ببدء الرياضة بالأزهر » للأستاذ / ابراهيم حجازي

مقدسة لا يجوز التغيير أو التحريف فيها هل أصبحت مثل القرآن - سيدي إذا كان طلبة الثانوية العامة يشكون من «صم» بعض المواد فنحن نقوم «بصم» ١٨ مادة هي متوسط مواد الثانوية الازهرية علي مدار أربع سنوات. هل تعلم سيدي أن مواد - التاريخ - الجغرافيا - اللغة الانجليزية - الفلسفة - علم النفس - المنطق - الرياضيات - علم الاجتماع - العلوم كلها مواد ثقافية في الازهر واحيطكم علما بمعني «مواد ثقافية» أي أنها مواد ليست أساسية ولكنها فرعية من باب العلم بالشئ - لدرجة أن أحد الموجهين الأوائل في المحافظة التي أقطن بها عندما اشتكي له طالب أو بالمعني الأصح طلاب أحد المعاهد الثانوية من صعوبة مادة «الانجليزي» قال بالحرف الواحد «مال الأزهر ومال الانجليزي والمواد الثقافية إحنا قادرين علي اللي عندنا علشان ندرس المواد دي كمان؟ سيدي ونحن علي أبواب القرن الحادي والعشرين هناك من يقول أن هذه المواد المذكورة مواد ثقافية والذي يدعو للحزن والأسي أن من يقول هذا الكلام هم المثقفون - ألا يعلم هؤلاء إن الشيخ رفاعة الطهطاوي درس وتعلم في فرنسا ونفس الشئ بالنسبة لعميد الأدب العربي طه حسين ألم يكن هؤلاء من طلاب الأزهر ودرسوا باللغة الفرنسية.. وللعلم أن اللغة الفرنسية لا تدرس في الأزهر وإذا اردت دراستها فعليك بترك اللغة الانجليزية ويبدوا أنهم يحافظون علي اللغة العربية وخائفون أن تطغي اللغات الأخري عليها أليس هذا مضحكا يا سيدي؟

- المشكلة الثانية :

هي مشكلة التدريس ففي الثانوية العامة يقاومون هذه المشكلة وينتصرون عليها بالدروس الخصوصية أما نحن فموادنا لا تنفع فيها الدروس الخصوصية ولاغيره.. وإليك سيدي بعض مشاكل التدريس :- (١)

هل تعلم سيدي أن الذين قاموا بالتدريس لنا في المرحلة الابتدائية عبارة عن راسبي - أو حاصلين علي الشهادة الثانوية الازهرية ولم يكملوا بعدها أو فشلوا في

١- جريدة الاهرام بتاريخ الجمعه ٢٠ مارس ١٩٩٨. مقال بعنوان:

« تطالبون بعودة الرياضة للمدرسة.. ونحن نطالبكم ببدء الرياضة بالازهر » للأستاذ / ابراهيم حجازي

الحصول علي الكلية وفصلوا منها لتكرار الرسوب- أما في المرحلتين الإعدادية والثانوية فهم بالفعل حاصلون علي شهادات من الكليات ومع ذلك فهم عندما يدخلون علينا في الفصل لا نشعر بأن أغلبهم يسبقنا بشئ في التعليم إلا بالسن فقط فكما نحن الان كانوا هم قبلنا أربع مراحل تعليمية لم يستطع أغلبهم فهم أي شئ بل كانوا يعتمدون علي الصم ولكن بعد مضي الوقت ينسي كل شئ وجل من لا يسهو وأغلبهم يعترف لنا بأنه لا يستطيع فهم المادة التي يدرسها لنا وأن هناك خللا بها ولابد من التغيير فيها.

- المشكلة الثالثة الأنشطة :

منذ نشأة مجلة الاهرام الرياضي المحترمة وسيادتكم في كل كتاباتكم تدعون إلي «دعوة» الرياضة إلي المدارس وأنا أدعوكم من خلال هذه الرسالة للدعوة من أجل بدء الرياضة في الأزهر لأنها غير موجودة أصلا، الأزهر يا سيدي لا يوجد شئ أسمه الرياضة، أو الانشطة ويبدو أنها كلام فارغ ومضيعة للوقت - قال يعني الدراسة مقطعة بعضها - مع العلم بأن هناك أكثر من حصة في اليوم تضيع بلا فائدة إما لتأخر المدرس أو لغيابه أو «لقرفة» من المادة ومن الفصل نفسه أو من الناحية المادية وغلاء المعيشة !. فمنذ المرحلة الابتدائية كانت هناك حصة «واحدة» في الاسبوع رياضة ومع ذلك لا أتذكر أننا أخذناها في يوم من الايام كحصة ألعاب ولكن كان المدرس الذي يكون متأخرا في المنهج هو الاحق بها للاستفادة بها في مادة أخري بدل «قلة الأدب» اللي اسمها رياضة، وكلمات نقرؤها في الكتب فقط ولاندري معناها وما ترمي إليه.

لدرجة أن مادة مثل التربية الفنية «الرسم» كان يدرسها لنا في المرحلة الابتدائية أقل مدرس حاصل علي مجموع حصص في الاسبوع أما في المرحلتين الاعدادية والثانوية فالمدرس الذي يقوم بتدريسها حاصل علي دبلوم صنايع، وعندما تصل إلي الصف الثاني الثانوي فاعلم أن هذا آخر عهدك بالرسم لأنك كبرت علي اللعب والشخبطة! (١)

١- جريدة الاهرام بتاريخ الجمعه ٢٠ مارس ١٩٩٨ . مقال بعنوان:

« تطالبون بعودة الرياضة للمدرسة.. ونحن نطالبكم ببدء الرياضة بالازهر » للأستاذ / ابراهيم حجازي

سيدي .. الرياضة والأنشطة عندنا .. بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار//

سيدي أقسم لك أن ما كتبته لكم إنما هو جزء قليل جدا جدا من مشاكل الازهر المتراكمة ولكن أبعث اليكم بها لعلها تكون البداية لغيري لكي يكتب واعلم جيدا أن ما تحمله نفوس طلاب الأزهر من مشاكل كثيرة جدا وأنا أعلم أني لست باقدرهم في التعبير عنهم ؟!.

.. بعد كل الذي كتبته يبقي سؤال يحيرني جدا هل نصلح نحن كطلبة أزهريين أن نحمل الرسالة الأزهرية ونكملها بعد العباقرة رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وجمال الدين الافغاني وطه حسين في وقت أصبح فيه من يجيد فن الحفظ والصم يصبح عبقريا؟.

وأخيرا أرجو من سيادتكم أن تناقشوا موضوع التعليم الأزهري وأن تهتموا به أسوة باهتمامكم بموضوع التعليم والثانوية العامة علما بان الازهر هو اصل العلم والتعليم ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم كله .

أحد طلاب الأزهر الشريف
معهد أولاد عزاز الثانوي - بسوهاج

فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر.. أعلم أن فضيلتكم منذ تولي المسئولية وأمامكم قضايا كثيرة، كلها في حاجة الي حلول جذرية.

وأعلم ثالثا سعة صدركم وترحيبكم بكل مساهمة .. رأيا كانت أو نقداً أو شكاوي.. الهدف منها إلقاء الضوءعلي العقبات التي تعترض حركة التطوير والتحديث والاصلاح التي تريدونها للتعليم الازهري.. الذي تريدون أن توفروا له، كل ما يجعله يقدم ثانية للعالم كله، دفعات جديدة من الطهطاوي ،طه حسين ومحمد عبده [1]

١- جريدة الاهرام بتاريخ الجمعه ٢٠ مارس ١٩٩٨ . مقال بعنوان:

« تطالبون بعودة الرياضة للمدرسة.. ونحن نطالبكم ببدء الرياضة بالازهر » للأستاذ / ابراهيم حجازي

ثانيا – المطالبة بعدم التعديل

احتدم النقاش علي صفحات الجرائد والمجلات وتعرض شيخ الازهر للهجوم من جانب بعض الكتاب والمفكرين لمجرد بدء التعديل في مناهج الأزهر ومواده التدريسية، وظهرت عبارات الاستنكار وأساليب الاتهام لهذه القرارات التي اتجهت نحو تخفيف المواد وتعديل المناهج ووصف التعديل بانه تقليص لعلوم الازهر وإلغاء لمنهجه التعليمي الرشيد، خاصة وأن الأزهر هو المرجع الوحيد لعلوم الأصول. وهو الحافظ الوحيد لها من الضياع والاندثار.

والحق أنه كان من الممكن تجنب هذه الاتهامات اذا لم تصدر التوصيات بإلغاء بعض المواد وتقليص مدة الثانوية العامة إلي ثلاث سنوات، فيكون الإبقاء علي المواد كماهي مع تحسين استغلال الفترة الدراسية، لان استغلال الوقت الدراسي في مدارس ومعاهد الازهر غير جيد، وهذا لا يتأتي إلا بتطوير الإدارة المدرسية، ورأيي أن الادارة المدرسية علي مستوي جميع المدارس ،المعاهد الازهرية هي التي تحتاج الي التطوير، وهذا التطوير يحتاج إلي شيء من العناية باحوال المعلمين والطلاب أيضا، والعناية التي أقصدها للمعلمين إنما تكون بتحسين أحوالهم المالية ومنحهم امتيازات تضمن لهم العيش الكريم لأنهم لا يقبلون علي إعطاء الدروس الخصوصية بل يبذلون العلم لكل من سأل بلا مقابل عملا بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم (من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)

أما العناية بالطلاب فتكون بتحسين توزيع الحصص وتيسير عرض مهاراتهم وتلبيه رغباتهم في الأنشطة المختلفة ـ وكل ذلك يحتاج الي تحسين الإدارة، وذلك يتطلب بالتالي مضاعفة الميزانية المقدرة.

وليس سراً أن نقول أن العيب يكمن في هذا الجانب الخطير من أساسيات الأزهر– وهو الإدارة ؛ فإذا تحسنت الإدارة وسار العمل المدرسي علي أحسن ما يرام فلا مانع إذن من تخفيض الثانوية الأزهرية الي ثلاث

سنوات ، بل من يستطيع أن يؤدي امتحاناتها بنجاح في سنتين فأهلا به وسهلا.

ونحن نعرض فيما يلي بعض ما كتب في رفض التعديل الذي أقره صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي لتطوير المنهج العلمي بالأزهر ومدة الدراسة الخاصة بالثانوية الازهرية لذي ما يقوله هؤلاء الرافضون ونسمع لحججهم ثم نعرض فى النهاية قرارات مشيخة الأزهر.

ونبدأ بما كتبه

الأستاذ/ فهمي هويدي في صحيفه الاهرام بتاريخ مارس ١٩٩٨ :

الازهر في خطر[1]

الذي يحدث في الأزهر غير مصدق وغير مفهوم . غير مصدق لأنه يثير التباسا شديدا، حتي يكاد يعطي انطباعاً بانه سبيل مؤد الي تهديد وظيفته ، وإجهاض دوره ، وغير مفهوم من حيث إننا في الظرف الراهن بوجه أخص ظننا أن الجهد سينصرف إلي تعزيز الأزهر وتنشيط دوره ، بحسبانه قلعة الاعتدال وخط الدفاع الأول ضد الانحراف والتطرف في الفكر الديني. غير أن الريح التي تلوح فى الأفق جاءت بما لا يشتهي الجميع، حتي فوجئنا بها تهب في الاتجاه المعاكس

لا أعرف بالضبط لماذا يحدث ذلك لكني أعرف علي الأقل اجابه عن السؤال كيف ؟ وهي الإجابة التي تمكننا من تحرير المشهد الذي نتحدث عنه.

وإذا جاز أن نلخص ذلك المشهد في كلمات فقد نقول أن الثقافة الشرعية واللغوية في مرحلة التأسيس للتعليم الأزهري في مصر تراجعت وما زالت تتقهقر بشكل مروع، الأمر الذي من شأنه أن يورد لمستويات التعليم العالي أجيالا من الأميين علي هذين الصعيدين.

قصة هذا التراجع سجلتها مذكرة أعدت بناء علي طلب رئيس مجلس الوزراء حول التغييرات التي أدخلت علي مناهج الدراسة في المعاهد الازهرية وقد قدمت المذكرة الي وزير الازهر بتاريخ ٧ / ١٢ / ١٩٩٧م .

أوضحت المذكرة ما يلي :

* أنه قبل صدور قانون تطوير الازهر عام ٦١، كانت الدراسة في المعاهد مقصورة علي العلوم الدينية واللغوية، وكان الطالب يمر قبل ذلك بمرحلة يحفظ فيها القرآن الكريم ويدرس مناهج مختصرة في العلوم العامة والحساب والهندسة.

* قضي قانون التطوير باضافه جميع المواد علي مدارس التربية والتعليم وأوجد في المرحلة الثانوية شعبتي « العلمي والأدبي » وحدثت تلك الإضافه في وقت تم فيه اختصار سنوات الدراسة في المرحلة الثانوية من خمس الي أربع سنوات .وهو ما يعني أن

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١ .

العبء الدراسي تضاعف تقريبا، بينما عدد سنوات الدراسة نقص ، الامر الذي أثقل كاهل الطلاب، وحل الإشكال عن طريق حذف ثلث جميع المواد الأزهرية ، مع الإبقاء علي جميع مواد مناهج التربية والتعليم كما هي.

* استمرت شكوي أولياء الأمور والطلاب من عبء المواد الدراسية، الذي تمثل في مضاعفة كم المناهج فتم في عام ١٩٩١ حذف ٢٠٪ من جميع المواد الأزهرية مرة ثانية (أصبح مجموع المحذوف ٥٠٪) وظلت مواد التربية والتعليم كما هي ، لم تمس ! .

* في سنه ٩٦ طرأ حذف ثالث، حيث قام المتخصصون باستبعاد ما بين ٥ و ١٠٪ من منهج كل مادة في المرحلة الثانوية بشعبتيها (الأدبي والعلمي) أما في المرحلة الاعدادية فقد تم حذف ٣٠٪ من جميع المناهج الأزهرية ، بدورها ظلت مناهج ومواد التربية والتعليم كما هي.

خلاصة هذه البيانات أن طالب المعاهد الدينية الذي يعد للالتحاق بجامعة الأزهر ويفترض أن يحمل رسالته، يدخل مرحلة التخصص بعد أن جُرِّدَ في المرحلة الاعدادية من ٨٠٪ من ثقافته الشرعية واللغوية ، كما جُرِّدَ من نسبه تتراوح بين ٥٥ و ٦٠٪ من تلك الثقافة في المرحلة الثانوية إذا شئت فقل إن الأجيال التي تتخرج من المعاهد الأزهرية تصبح بعد ذلك التجريد منزوعة الصفة الأزهرية في حقيقة الأمر، أو مشكوكا في وفائها بمتطلبات تلك الصفة في أحسن الفروض .

الدراسة التي طلب إجراءها رئيس مجلس الوزراء كانت بمناسبة اقتراح جديد معروض يقضي باختصار مدة الثانوية الأزهرية لكي تصبح ثلاث سنوات بدلا من أربع (كانت المدة خمس سنوات كما قلنا) وهذا الاختصار سوف يستصحب بالضرورة حذفا جديدا ــ رابعا ــ في مناهج التعليم الأزهري- لذلك كان من بين أهداف الدراسة تحري مدي « إمكان اختصار مناهج التعليم في المعاهد الأزهرية مع المحافظة علي المستوي العلمي والديني للخريج وقدرته علي التصدي للتيارات التي يموج [1]

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١ .

بها المجتمع المصري الآن)

أجابت المذكرة عن تلك التساؤل بما نصه : إن الاختصار للمرة الرابعة يمسخ المنهج الضعيف الحالي وسيترتب علية تخريج أنصاف متعلمين، لا يستطيعون التصدي لما يموج به المجتمع من انحرافات في العقيدة والسلوك، بل إنهم سيكونون وقودا لهذا الانحراف كما هو حادث الإن ممن يدعون أنهم جماعات اسلامية، لأنهم ببساطة درسوا قشورا من الدين (وما تبقي في المناهج بعد الحذف لم يكن سوي قشور) ، ولم يدرسوا الدين الصحيح كاملا، لكي يفرقوا بين الخطأ والصواب.

تشويه في كل مرحلة

لقد كان من نتائج الحذف المتتالي – والعشوائي– في مناهج التعليم الأزهري ، أن تشوهت الي حد مفجع الدراسات التي تفرد بها الأزهر، وبها اكتسب رصيده خلال أكثر من ألف سنه ، واذا ما ألقينا نظرة فاحصة علي ما حدث في المراحل المختلفة للتعليم الأزهري التأسيسى ، فإننا سنجد ما يلي :-

* **في التعليم الابتدائي** : كانت تلك هي المرحلة التي يتم فيها حفظ القرآن الكريم، ليس فقط باعتباره شرطا تقتضيه « اللياقة » المطلوبه للانطلاق في رحلة التعليم الازهرى، لكن أيضا بحسبانه ضرورة لتمكين التلاميذ في تلك السن الغضة من اللغة، عبر ضبط ألسنتهم وكيفية نطقهم للمفردات العربية ، ولهذا السبب كان الطالب يدرس يوميا أربع حصص لتحفيظ القرآن ، ولأن المنهج كان أساسيا، فقد قام به تقليديا نفر من المحفظين ، أغلبهم من العاملين في المساجد، الذين كانت تجيزهم إدارة خاصة في الأزهر ، بعد اختبارهم بطبيعه الحال، نظير مكافآت معينة.(١)

هذا الوضع تغير، بحيث حذف ١٢ جزءا من مقرر الحفظ، وأصبح تلميذ الابتدائي يطالب بحفظ ١٨ جزءا فقط من القرآن، وبدلا من أربع حصص، وبعد الحذف أصبح يخصص للحفظ حصتان فقط وفي الوقت ذاته تم الاستغناء عن

---

١ – الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١ .

المحفظين المتخصصين المستجلبين من الخارج، وكلف بالمهمة الموظفون الذين تعينهم وزارة القوي العاملة في إدارة المعاهد الأزهرية، وبعضهم من حملة دبلوم التجارة، وهؤلاء لاعلاقة لهم بتحفيظ القرآن أو حفظه، ولك أن تتصور بعد ذلك الجيل الذي يمكن ان يخرج علي أيديهم، وهم علي تلك الشاكلة !

* في المرحلة الاعدادية : تحول منهج القرآن فيها الي حفظ آيات وسور بدلا من حفظ أجزاء (في السنة الثالثة الاعدادية مثلا يحفظ الطالب سورة المائدة و ٢٣ ايه فقط من سورة النساء)وألغيت مادتا التفسير والحديث وضمتا إلي مادة المطالعة.

وبدلا من أن الطالب كان يدرس ثلاثين حديثا، فإنه أصبح يدرس ثلاثة أحاديث فقط في المطالعة ! ومنهج الفقة حذفت منه معظم الأبواب المهمة التي يجب أن يفهمها الطالب بكل دقة لأنها تتعلق بالقضايا التي تثير خلافا بين المسلمين اليوم .

في مقدمه هذه الأبواب : المواريث والعقوبات ، والحدود والجهاد ، وفي اللغه كان (النحو) مادة مستقلة عن (الصرف) ولكل منهما ٤٠ درجة لكنهما ضمتا في مادة واحدة خصصت لها ٢٠ درجة فقط.

وبذلك أضيف التراخي في الاهتمام باللغة إلي التراخي في حفظ القرآن وقد تمثل ذلك التراخي الاخير في إيراد سؤال واحد في عشرين جزءا من القرآن في امتحان السنة الثانية الإعدادية لهذا العام (فى سورة العاديات) ، وسؤال واحد فى عشرين جزءاً فى امتحان السنة الأولي (في سورة الليل)، وهما من قصار السور التي يحفظها الطالب قبل دخول الازهر!

* في التعليم الثانوي: جري تخفيض عدد حصص حفظ القرآن من أربع الي اثنتين فقط أسبوعيا كما تم تقليص منهج الفقه فالغيت ساعة أسبوعيا مما كان يدرس لشعبة الأدبي، وساعتان من شعبة القسم العلمي . وفي الوقت نفسه ضوعفت مدة اللغة الانجليزية من ٣ الي ٦ ساعات اسبوعيا (أحد العلماء علق قائلاً : هل ستقدم الدروس وخطب الجمعة مستقبلا بالإنجليزية ؟!). (١)

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١ .

من ناحية أخري كان طلاب الصف الثاني الثانوي يدرسون كتابا مستقلا عن تاريخ الحضارة الاسلامية وهذا الكتاب ألغي بالكامل في العام الدراسي الحالي واختصر علي نحو مخل، وتحول الي فصل في كتاب آخر عن التاريخ بشكل عام.

وفي الوقت الذي ألغي فيه كتاب الحضارة الإسلامية بحجة ثقله علي طالب الصف الثاني الثانوي تم الابقاء علي كتاب اكبر منه يتناول التاريخ الفرعوني ومقرر علي الصف الاول !

* **في التعليم الجامعي الأزهري** : ألغيت بالكامل مادة الفقه من الكليات العلمية، بعد أن كانت تدرس في سنواتها الأربع. ومعروف أن قانون التطوير الذي صدر في عام ٦١ أراد لخريجي تلك الكليات أن يصبحوا مسلحين بمزيج العلوم الشرعية مع التخصصات العلمية لكن الإلغاء أفقدهم تلك الميزة ، وبينما لم يعد القرآن يدرس في المرحلة الجامعية فإن الطلاب أصبحوا يمتحنون بصورة شكلية في هذه المادة بدعوي أنهم حفظوا بعضاً من القرآن في المراحل السابقة، الأمر الذي وضع الطلاب أمام مفارقة جعلتهم يمتحنون في مادة لم يدرسوها!

وفي كلية الشريعة كان طلابها يدرسون ١٦ ساعة أسبوعيا في مادة « الفقه» و١٨ ساعه في مادة أخري هي «أصول الفقه» أي بمعدل ٣٤ ساعة أسبوعيا في هاتين المادتيين بالغتي الأهمية بالنسبه لخريجي الكلية. غير أن قرارا مفاجئا صدر بدمج المادتين في واحدة وخصص لها ٦ ساعات فقط لها أسبوعيا! أي أن الطالب أصبح يدرس ثلاث ساعات في الفقه ومثلها في الأصول وإذا لاحظنا أن طالب الحقوق في جامعه القاهرة مثلا يدرس مادة أصول الفقه بمعدل ٤ ساعات أسبوعيا بينما طالب كلية الشريعة يدرس ثلاثا فقط فإن الملاحظة ستقودنا إلي نتيجة غريبة، مفادها ان طالب كلية الحقوق حين يتخرج يصبح متفوقا في «أصول الفقه» عن زميله الذي درس في كلية الشريعة بجامعة الأزهر! (١)

دعوة الي حوار موسع

لا يحتاج المرء بعد ذلك لأن يبحث عن اجابة لأسئلة من قبيل : لماذا تدهور

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١ .

مستوي الدعاة حتي أصبحوا عاجزين عن النهوض بمهامهم؟ ولماذا شاعت الانحرافات في الفكر الديني بين أوساط الشباب الذين لم يجدوا من يصوب مداركهم ويحصنهم ضد الأفكار الشاذة والمتطرفة ؟ ولماذا لم ينجح أحد من خريجي كلية أصول الدين والدعوة في اختيار مسابقة الائمة الجدد، حيث تبين أن التشويه الذي حدث للثقافه الإسلامية أفقدهم الأهلية للقيام بتلك الوظيفة؟

كذلك لا أعرف أن كان المسلمون في أنحاء العالم سيظلون علي« موقفهم السابق الذي كانوا يتطلعون فيه لإيفاد أبنائهم للدراسة في الأزهر، بعد الذي أصاب مناهج معاهده من قصور معيب، حتي كاد الأزهر يفقد ميزته دوره الطليعي الذي تعلقوا به. ليست عندي إجابة تستجلي هذه النقطة، لكني أحسب أن التفكير فيها ضروري من جانب كل المعنيين بمستقبل الأزهر، وبسمعته ودور مصر في العالم الإسلامي .

أيضا لا أعرف إن كان الذين قلصوا الدرسات الشرعية في المعاهد الدينية حتي حذفوا ٨٠٪ من مواردها في الإعدادية مثلا، قد فكروا في مصير المعاهد التي أقيمت في أنحاء العالم الإسلامي علي نسق ومناهج الأزهر أم لا؟! لكني أعتقد أن تلك المعاهد لن تجد بعد الذي جري مبررا لاستمرار ارتباطنا بالأزهر .

إن التراجع المروع للثقافة الشرعية واللغوية في التعليم الأزهري، يجري تبريره في التصريحات الصحفية بالتيسير تارة، وبترجيح الكيف علي الكم تارة أخري؛ وبتجنب الحشو والتكرار في مرة ثالثة، حتي قرأنا تدليلا علي الاستمرار بالعناية بالقرآن الكريم، استشهد بأنه تم توزيع أشرطة للقرآن علي المدارس، لتلاوتها علي الطلاب عبر «الكاسيت» في طوابير الصباح.

كل الحجج التي قيلت في تبرير ما جري وتسويفه.. مردود عليها من جانب علماء الأزهر الذين أصابهم الذعر والجزع مما يرونه، حتي ظن بعضهم أن التعليم الديني في سبيل الإلغاء من المعاهد وأن الحاصل يعد تمهيدا لضم المعاهد الدينية إلي وزارة التربية والتعليم. (١)

اعتبرت ذلك تشاؤما مبالغا فيه، وكان تفسيري له أنه في غاية الوضوح والحوار الجاد والمعلن حول سياسة التعديل ومراميه، فإن الباب انفتح لسوء الظن والارتياب . وقد بلغ سوء الظن مداه حين فوجيء علماء الأزهر بالاتجاه الي تقليص سنوات الدراسة في

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١ .

المرحلة الثانوية من أربع الي ثلاث، الأمر الذي سيترتب عليه بالضرورة إجراء تقليص جديد- للمرة الرابعة- في دراسة العلوم الشرعية. وهو الاتجاه الذي أوقف مسيرته مؤقتا طلب رئيس مجلس الوزراء إعادة دراسة الموضوع بقدر أكبر من العناية. خصوصا أن التعديل المقترح لم يناقش لا في المجلس الأعلي للأزهر، ولا في مجمع البحوث الاسلامية وهما الجهتان المختصتان قانونا ببحث كل ما يتعلق بسياسة التعليم في الأزهر، حتي بدأ التعديل الأخير وكأنه يمثل حلقة في سلسلة القرارات المتعجلة التي صدرت في السابق واستهدفت حذف أجزاء من مناهج الدراسات الشرعية. وقد ترتب علي تلك العجلة أن حذفت موضوعات لم تعد تدرس أصلاً كما أشارت المذكرة التي قدمت الي رئيس مجلس الوزراء.

أدري ان هناك الكثير مما يحتاج الي مراجعة وتطوير في التعليم الازهري، وأحسب أن الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي يتحمل في هذا الصدد مسئولية جسيمة، هو فيها أحوج ما يكون إلي عون ودعم المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه وفي حدود علمي فإن لدي هؤلاء الكثير مما يريدون الإفصاح عنه.

ولا أعرف لماذا لا يوقف أي تعديل جزئي وتطرح للمناقشة بدلا من ذلك سياسة التعليم الأزهري في مؤتمر موسع يدعي اليه العلماء من أهل الاختصاص والخبرة، لبحث مختلف الجوانب المتعلقة بالنهوض بالزهر وتعزيز الثقة في خططه ودوره، فضلا عن قيادته، حتي تهدأ النفوس وتتبدد الشكوك، وتتضافر الجهود في الحفاظ علي تلك المؤسسة العريقة، التي كانت لها إضاءاتها المشهودة في شئون الدين والدنيا.

في الوقت ذاته فلا أفهم لماذا تضيق الصدور بالغيورين من العلماء الذين ما برحوا يرفعون أصواتهم للدفاع عن حياض الأزهر ورصيده. وقد أحزنني كثيرا أن بعضهم تعرض للمساءلة والتحقيق بسبب ما أبدوه من آراء في هذا الصدد. وكان الظن أن يتلقوا ردا مغايرا، وتقال لهم مقولة عمر بن الخطاب: « لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها ! ».(1)

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الأزهر فى خطر » الأهرام بتاريخ ٣ / ٣ / ٩٨ ص ١١.

الوثائق حين تتكلم ! (١)

إذا كان الأزهر حقا في تقدم ونهوض، فما سر تدهور مستوي طلابه وخريجيه، وبماذا نفسر الحالة المحزنة التي أصبح عليها الأئمة والدعاة، وإذا صح أنه بتلك العافية التي يدعيها البعض، بينما ينتج ذلك البؤس المشهود، فهل لنا أن نعتبر أن العملية نجحت بينما المريض دخل نوبة الموت؟

كانت هذه هي الفكرة المركزية في ٦٥ ٪ من الخطابات التي تلقيتها في أعقاب نشر مقالي «الأزهر في خطر» (٣/٣)، الذي رد عليه وكيل الأزهر يوم الثلاثاء التالي (٣/١٠) مؤكدا أن كل شئ علي ما يرام، وأن «الأزهر وجامعته في تقدم ونهوض»، وبعد أن قلت ما عندي، ورد عليه وكيل الأزهر، فقد اعتبرت أنني أبرأت ذمتي أمام الله، وأن الأمر لم يعد يحتمل مزيد كلام، غير أنني وجدت نفسي مضطرا للعودة إلي الموضوع لسببين : أولهما تلك الضغوط الشديدة التي مارسها علي القراء، وفي المقدمة منهم علماء الأزهر، الذين تلقيت رسائل حملت توقيعات ٤٣ واحدا منهم، وكان مطلب الجميع يلح علي الدعوة الي إنقاذ الأزهر ورد الاعتبار لرسالته. وفضلا عن رسائل ومذكرات علماء الازهر، فقد تلقيت ٦٩ خطابا من قرّاء آخرين بعضهم من أولياء أمور يشكون من تدهور مستوى أبنائهم الذين يدرسون في الأزهر، والبعض الآخر من قراء أعربوا عن حيرتهم بعد نشر رد وكيل الأزهر الذي نفي كل ما قلت، وكان سؤالهم الأساسي هو : أين الحقيقة؟

وهذا هو السبب الثاني الذي دعاني للعودة إلي الموضوع. لأن رد الوكيل فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف لم يلتق معي في نقطة واحدة، وكان نفيه شاملا لكل ما قلت، الأمر الذي يعني أن ثمة خلافا في التشخيص بحيث لم يعد السؤال منصبا علي كيفية علاج أزمة الأزهر، ولكنه أصبح يدور عما إذا كانت هناك أزمة حقيقية أم لا ؟

إزاء ذلك وجدت أن المشكلة بحاجة إلي إثبات وتحرير، وكنت قد أدعيت أن مناهج العلوم الشرعية تتراجع في معاهد الازهر وجامعته، وأن ذلك التراجع يفرغ الأزهر

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

من رسالته ويفقده ميزته الأساسية عن الجامعات الاخري، فضلا عن أنه ينقص من قدره ودوره المفترض، كمنارة علم ظلت تشع علي العالم الإسلامي لأكثر من ألف سنة.

أمام نفي ما أدعيته لم يكن أمامي سوي أن احتكم لوثائق الأزهر ذاته واستنطقها لكي تجيب عن السؤال: هل الأزهر في خطر أم لا ؟

تعالوا نطالع ما تخبرنا به تلك الوثائق..

شهادة من داخل البيت

الوثيقة الأولي أشرت إليها في مقالي الذي سبق نشره، والتذكير بمحتوياتها مهم، لأنها شهادة كاشفة عن حجم المأساة التي تعيشها المعاهد الأزهرية. وهي المذكرة الموجهة إلي مكتب وزير شئون الازهر، استجابة لطلب رئيس الوزراء دراسة أوضاع مناهج المعاهد الأزهرية وإمكان اختصارها، والمذكرة من خمس صفحات، وموقعه باسم مدير الخطة والمنهج للمرحلة الثانوية، الاستاذ جودة الصفتي وتاريخها ٩٧/١٢/٧.

تقول المذكورة أن المعاهد الازهرية كانت قبل تطبيق قانون التطوير سنة ٦١، تدرس المواد الدينية والعربية بتوسع، وتشترط حفظ القرآن الكريم قبل دخول المعهد، كما كانت تدرس مناهج مختصرة في العلوم العامة والحساب والهندسة. أضافت بعد ذلك ما نصه: لما طبق قانون التطوير، أضاف إلي هذه المواد جميع المواد المقررة علي مدارس التربية والتعليم. فاضطر إلي الاختصار في جميع المواد الأزهرية بنسبة الثلث (٣٣٪) ليتيح فرصة تطبيقة الخطة الثقافية الجديدة خصوصا بعد اختصار سنوات المرحلة الثانوية إلي اربع سنوات بدلا من خمس. لكن الطلاب وكثيرا من أولي الامر رأوا صعوبة في قدرة الطالب علي تحصيل كل هذه المواد. فتم اختصار المناهج الازهرية مرة أخري بنسبة تزيد علي ٢٠٪ من كل مادة علي حدة، مع بقاء المناهج المقررة في التربية والتعليم كما هي .. ومع ذلك ارتفعت الشكوي مرة ثالثة، وبناء علي توجيهات فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر، قام المتخصصون باختصار أغلب المواد المذكورة بما يتراوح بين ٥٪ و ١٠٪ من منهج كل مادة في المرحلة الثانوية (أي أن نسبة المحذوف من المواد الشرعية حتي سنة ٩٦ تراوحت بين ٥٨، ٩٣٪) بينما كان [1] الاختصار في

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨

المرحلة الاعدادية يعادل ٣٠ ٪ من المناهج الازهرية (مجموع المحذوف في هذه المرحلة وصل إلي ٨٣ ٪)، مع بقاء مناهج التربية والتعليم كما هي دون اختصار بل حذفت مادة مصطلح الحديث في المرحلة الثانوية ودرس مكانة علوم الحديث المختصرة، وحذفت بعض الموضوعات من تاريخ الإسلام المقررة علي المرحلة الاعدادية، والاكتفاء بالسيرة النبوية .

خلص التقرير إلي أن اختصار المناهج الأزهرية للمرة الرابعة من شأنه أن يؤدي إلي «مسخ المنهج الضعيف الحالي (لاحظ الإشارة إلي ضعف المنهج) وسيترتب عليه. تخريج أنصاف متعلمين، لايستطيعون التصدي لما يموج به المجتمع من انحرافات في العقيدة والسلوك، بل إنهم سيكونون وقودا لذلك الانحراف.

[**ملحوظة** : يستحق رئيس مجلس الوزراء الدكتور كمال الجنزوري أن نسجل له تقديرا خاصا في هذا الصدد، لأنه طلب إعادة دراسة مسألة اختصار سنوات الدراسة بثانوية الأزهر من أكثر من جهة، إذ فضلا عما سبق، فإنه طلب من المجالس القومية المتخصصة دراسة الموضوع، ونحمد الله علي أنها عارضت الاختصار مدركة خطره، بمثل ما عارضته إدارة المناهج بالأزهر، كما سبق أن عارضته لجان مجمع البحوث الإسلامية] .

الوثيقة الثانية تدحض الحجة التي قيلت لتبرير اختصار سنوات الدراسة في الثانوية الأزهرية من أربع إلي ثلاث سنوات، حيث استند وكيل الأزهر إلي مذكرة ادعت أن خريجي جامعة الأزهر فقدوا ميزة كانت لهم في السابق، وهي أنهم كانوا يستمرون في الخدمة حتي سن الخامسة والستين، وأصبح يسري عليهم ما يسري علي غيرهم من موظفي الدولة الذين يحالون إلي التقاعد في سن الستين. وهذه الحجة غير صحيحة، وبين يدي حكم لمجلس الدولة صادر في ٩٦/١٠/٣، خاص بقضية رفعها أمام المجلس ثلاثة من علماء الأزهر في شأن مدة بقائهم في الخدمة انتهت فيه « الجمعية العمومية لقسمي الفتوي والتشريع» إلي « أحقية المعروضة حالاتهم في البقاء في [1] الخدمة

---

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

حتي بلوغهم سن الخامسة والستين »، الأمر الذي يعني أن تلك الذريعة ليست قائمة من الأساس .

٥٥ حصة خطفت !

الوثيقتان الثالثة والرابعة تتعلقان بنصيب القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية الأزهرية، الأولي استشهد بها وكيل الازهر لكي يثبت أن مكانة القرآن الكريم لم تهتز في المعاهد الأزهرية، وهي صادرة في ٩٦/٨/٢١ وتحمل توقيع المدير العام للتعليم الابتدائي الأستاذ محمد إبراهيم خفاجي. تشير تلك الخطة إلي أن تلاميذ المرحلة الابتدائية يدرسون ٧١ حصة للقرآن الكريم كل أسبوع (٦ للصف الأول و ٨ للثاني و ١٢ للثالث و ١٥ لكل من الصفوف الثلاثة الأخري). غير أن هذه الخطة طبقت لأول مرة في تاريخ الازهر في العام الدراسي ٩٨/٩٧، وما لم يذكر في هذا الصدد أن الخطة تمثل تعديلا وتراجعا عن خطة سابقة ظلت منفذة إلي العام الدراسي ٩٧/٩٦، والوثيقة الثانية في الموضوع تبين تفاصيل تلك الخطة، وهي تحمل توقيع الأستاذ أحمد حلمي الصغير مدير التعليم الابتدائي، ومنها نكشف أنه كانت تخصص للقرآن الكريم في الصفوف الابتدائية ١٢٦ حصة. الصف الأول كان يدرس ١٨ حصة (أصبحت ستا فقط) والثاني ٢٠ حصة (أصبحت ثماني) وكل صف من الثالث الي السادس ٢٢ حصة (أصبحت ١٥ فقط).

معني ذلك إنه تم إلغاء ٥٥ حصة في الأسبوع من نصيب القرآن الكريم. وكانت الذريعة في ذلك أن طلاب الابتدائي اصبحوا مطالبين بحفظ ١٨ جزءا فقط من القرآن الكريم، وأنه تم ترحيل الإثني عشر جزءا المتبقية من المصحف الي المرحلتين الاعدادية والثانوية الامر الذي يطرح السؤال التالي : إذا كانت الحصص قد ألغيت بسبب ترحيل ١٢ جزءا إلي هاتين المرحلتين، فهل رحلت معهما الحصص الملغاة، ووزعت علي الاعدادي والثانوي؟ الإجابة التي تفصح عنها الوثائق هي : «لا» وإنما أضيفت تلك الحصص لصالح مناهج التربية والتعليم التي ابتلعتها! (١)

---

١ – الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

بين يدي وثائق أخري تتعلق بمُحَفظي القرآن الكريم، الذين قلت أن بعضهم يحمل شهادة دبلوم التجارة، ونفي وكيل الأزهر ذلك. إحدي الوثائق صدرت في عام ١٩٩١، وهي عبارة عن قرار أصدره فضيلة الشيخ جاد الحق شيخ الازهر السابق بتحويل معاهد المعلمين الأزهرية (٢٠ معهدا تقريبا) من معاهد لتخريج معلمين بالمرحلة الابتدائية الأزهرية، إلي معاهد لتخريج محفظي القرآن الكريم، مدة كل منها خمس سنوات ، وأصبحت تلك المعاهد تحفظ القرآن الكريم بمعدل ١٥ حصة أسبوعيا. ولكن في ٩٧/٩٦ اصدر شيخ الازهر قرارا بتخفيض حصص القرآن الكريم بهذه المعاهد من ١٥ إلي ثلاث حصص أسبوعيا وهذا العام (٩٨/٩٧) لم تقبل أحدا من الطلاب الجدد (؟!).

وإزاء نفي وكيل الازهر لما قلته من أن بعض المحفظين الجدد من حملة دبلوم التجارة فإنني أضيف إلي معلوماته أن الأمر لا يقف عند ذلك الحد، وإنما هناك عدد غير قليل من «شيوخ» المعاهد من حملة دبلوم التجارة، فضلا عن المحفظين من هذه المعاهد مثلا: معهد الرهاوي مركز إمبابة، ومعد أهل السنّة بأوسيم ومعهد جزاية بإمبابة (الجيزة). ومعهد العراقية وزاوية الناعورة بالمنوفية. وفي معهد «أكياد» بفاقوس يحمل المحفظات دبلوم التجارة، وفي المعهد ٦٠٠ تلميذ نجح منهم عشرون فقط في العام الماضي!! أكثر من ذلك فهناك حالة أعرفها في القاهرة يتولي تحفيظ القرآن الكريم فيها أحد حملة دبلوم« الصنايع» وليس التجارة فقط، واسماء الجميع عندي، ولا أريد أن أنشرها حتي لا أتسبب في قطع أرزاق أناس لسبب ليسوا مسئولين عنه.

من جراء التدهور في مستوي حفظ القرآن الكريم، كان طبيعيا أن يكون الرسوب فيه هو مصير السواد الأعظم من طلاب الثانوية الأزهرية الذين يلتحقون بالجامعة، لدي وثيقتان في هذا الصدد تتعلقان بنتائج امتحانات الفرقة الأولي في كلية اللغة العربية (الدور الأول) المعتمدة من رئيس الجامعة في ٩٧/٧/١٩ .. ونتائج الدور الثاني المعتمدة في ٩٧/٩/٤، علما بأن الامتحان كان في الربع الأول من القرآن الكريم فقط، وبمقارنة الوثيقتين نجد أن عدد الحاضرين في لجان الامتحان بجميع الشعب[1]

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

١٦٢٨ طالبا، رسب منهم عدد كبير جدا كان لهم الحق في دخول امتحان الدور الثاني. وكان مفترضا أن يتقدم للامتحان في هذا الدور ١١٣٥ طالبا، ولكن الذين حضروا الامتحان لم يتجاوز عددهم ٢٦٥ طالبا وتخلف عنه ٨٦٠ طالبا لانهم لم يكونوا حافظي القرآن الكريم، ومن ثم لم يكن لهم أن يدخلوا امتحانا نتيجته معروفه سلفا، في النهاية وصل عدد الناجحين في القرآن الكريم إلي ٤٧ طالبا فقط من مجموع ١١٢٥! وهذه نتيجة سياسة، « الاهتمام العظيم بتحفيظ القرآن الكريم» ، في الأزهر، التي تحدث عنها وكيله المحترم!

محنة الفقه في الجامعة

ثمة وثيقة أخري تتعلق بتنظيم تدريس المواد الشرعية في الكليات العملية، وهي قرار شيخ الازهر رقم ٦٨٠ لسنة ١٩٩٧، الصادر في ٩٧/٨/١٢. الذي يقضي بما يلي: «تدرس المواد الدينية في الكليات المستحدثة (العملية) بواقع ساعتين أسبوعيا لكل فصل دراسي. بما في ذلك الفقه». أي أنه اختصر ساعات دراسة الفقة التي كانت ثماني ساعات اسبوعيا في الكليات التي عدد سنواتها اربع. وعشر في الكليات التي عدد سنواتها خمس. إلي ساعتين فقط اسبوعيا ولصف واحد فقط.

وبعد أن كان الفقه مادة أساسية لكل صفوف الكليات العملية، تضاف إليها في كل صف مادة شرعية أخري (فقه+ تفسير في الصف الأول وفقه+ حديث في الصف الثاني، وفقه + عقيدة في الصف الثالث مثلا) أصبح الفقه مادة كغيرها من المواد لا يضاف إليها شيء وتدرس في صف واحد من صفوف الكلية هو الصف الأول ، بينما ألغي من الصفوف التالية من الثاني إلي الرابع أو الخامس، كما يتضح من القرار. (١)

وكان وكيل الأزهر قد أشار – وهو ينفي ما قلته– إلي أن مادة الفقه مقررة علي جميع الكليات العملية، وروعي التناسب بينها وبين المواد الدينية الأخري». وأغفل في رده حقيقة الكارثة التي حلت بدراسة مادة الفقه التي يحتاج إليها الطالب في كل مراحل حياته، والتي تميز خريج جامعة الأزهر عن غيره من خريجي الجامعات الأخري!

---

١ – الأستاذ / فهمي هويدي ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

بعد ٣٩ يوما (في ٩٧/٧/٢١) صدر قرار شيخ الازهر رقم ٧٣٩ الذي نص علي تعديل القرار السابق بحيث يصبح كما يلي: تدرس كل مادة دينية في الكليات المستحدثة لفرقة واحدة، وفي فصل دراسي واحد، ولمدة ساعتين أسبوعيا. أي أنه يقضي بأن تدرس المادة الشرعية بما فيها الفقه في فصل دراسي واحد بنفس الساعات المقررة (ساعتان لكل مادة).. ولما كان الفصل الدراسي الواحد لا يتجاوز ثلاثة أشهر، فمعني ذلك أن مادة العلوم الشرعية لا تدرس بساعتيها في أكثر من تلك المدة (فصل دراسي واحد طبقا لنص القرار الجديد) بحيث إذا ضممنا الفصل الدراسي الثاني الذي يخلو من العلوم الشرعية، لعدت الساعتان ساعة واحدة تقديرا!!

في سياق سياسة تقليص المناهج الشرعية في جامعة الأزهر- لسبب غير مفهوم - أصدر المجلس الأعلي للأزهر في جلسته رقم ١١٩ المنعقدة في ٩٧/٨/٣٠ قرارا يحمل رقم ٨ في بيان ما استقر الرأي عليه في تلك الجلسة، يقضي بما يلي : تقرر مادة الفقه علي كل فرقة دراسية بشعبة الدراسات الاسلامية بكلية التربية. بواقع ساعتين أسبوعيا في كل سنة ، في فصل دراسي واحد.

وكانت المواد التي تدرس في تلك الشعبة المتخصصة ستا هي : الفقه المذهبي- فقه الكتاب والسنّة - تاريخ الفقه - فقه مقارن - أحوال شخصية - أصول فقه. أما المدة التي خصصت لها في السنوات الاربع فهي ٤٤ ساعة اسبوعيا. وبموجب القرار سالف الذكر، تم التعامل مع تلك المواد جميعها باعتبارها «فقها» قسم اربعة اقسام: عبادات ومعاملات ومواريث وأصول فقه، وأصبحت جميعها تدرس في٨ ساعات فقط ولمدة فصل دراسي واحد .

أي أن خريج شعبة الدراسات الاسلامية، الذي يفترض أن يقوم بتدريس مادة الفقه في المعاهد الازهرية، أصبح يخرج من الجامعة بحصيلة بائسة من تلك المادة، تمثل أقل من خمس ما كان يحصله من قبل، الأمر الذي يؤدي إلي إضعافه وتدهور مستواه علي نحو غير مسبوق. (١)

١ - الأستاذ / فهمى هويدى ، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

تدريس القرآن الكريم ممنوع !

أختتم بوثيقتين أضعهما بين أيدي الجميع بغير تعليق، **الأولي** قرار شيخ الأزهر الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، الذي يحمل رقم ٥١٧ لسنة ١٩٨٩، الذي نص في مادته الأولي علي أنه : تكون مادة القرآن الكريم مادة أساسية في كل فرقة من فرق الدراسة لجميع الطلاب المصريين والوافدين في ١١ كلية تابعة لجامعة الأزهر (الكليات النظرية).

الوثيقة الأخري تتضمن قرارات المجلس الأعلي للأزهر في جلسته رقم ١١٤، المنعقدة يوم الأحد ٩٦/١٠/١٣. سابع تلك القرارات من فقرتين، الأولي تحدثت عن تطبيق نظام الفصلين بجميع كليات جامعة الأزهر ما عدا كليات الطب وطب الأسنان - الفقرة الثانية فوّضت رئيس الجامعة في اقتراح تعديل عدد ساعات المواد الدراسية بما يتلاءم مع نظام الفصلين، ثم أوردت العبارة التالية : مع مراعاة أن تنتهي المادة في فصل دراسي واحد ولا تمتد إلي فصلين، وألا يخصص أي عدد من الساعات لمادة القرآن الكريم (أي يلغي قرار شيخ الأزهر السابق). وأن يكون الامتحان فيها في الفصل الدراسي الثاني. وإذا رسب الطالب يعمل له امتحان دور ثان في موعد تحدده الجامعة !

هل لا يزال وكيل الأزهر مصرا علي أنه وجامعته في تقدم ونهوض؟ (١)

---

١ - الأستاذ / فهمي هويدى، مقال بعنوان « الوثائق حين تتكلم » الأهرام بتاريخ ٣١ / ٣ / ٩٨ .

وفي مجلة الإسلام وطن كتب الدكتور مصطفى محمود مقالا يصف فيه مشروع تطوير مناهج الأزهر بأنه هدم الأزهر نفسه بنفسه، يقول :

العولمـــة والأزهـــر (١)

العولمة والكوكبة مجموعة من الفخاخ اللفظية تنتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وهويته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي.. بحيث لا يبقي منه إلا خادم للقوي الكبري.

العولمة هي صناعة الأسواق الشاملة التي تضمن لأمريكا عالمية التصدير وأولوية السيادة وصنع القرار.

في ظل العولمة : الوطنية تخلف ، والإسلام إرهاب، والعروبة تفكير محلي وقبلية بائدة، ونعرة إقليمية .

تحرص أمريكا علي أن يتفوق السلاح الإسرائيلي من حيث الكم والكيف علي أسلحة كل الدول العربية مجتمعة.

أحب أن أسمع كلمة شيخ الأزهر ورأيه في مشروع هدم الأزهر نفسه بنفسه طواعية واختياراً، وأرجو ألا يحيلني إلي الشيخ الزفزاف وكيل الأزهر أو غيره.. وإنما يخاطبني مواجهة.. فأنا وهو أصدقاء تعودنا أن نتحاور مواجهة ولا حاجة بنا إلي وسيط.

بسبب النيات الإجرامية عند الغرب يضمرون العداوة لكل ما هو إسلامي ويلتمسون لنا التهم والشبهات في كل شيء.

يا فضيلة شيخ الأزهر واجب علينا أن نجلي هذا الدين ونجلي كمالاته لكل دارس وطالب معرفة، ولا نلجأ إلي أي اختصار أو تقليص في المناهج الدراسية الأزهرية بالذات.. فهذه مهزلة لن نسمح بها.

١- د / مصطفى محمود ، مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ، ص ١٢ وما بعدها .

ويستطرد الدكتور مصطفى محمود قائلاً تحت عنوان :

العولمة والأمركة :

المصطلحات الجديدة الفضفاضة .. مثل «العولمة» .. و«الكوكبة» التي نتبادلها كرمز للتطور والتقدم والحداثة.. هي مجموعة من الفخاخ اللفظية التي تحتوي علي الكثير من قلب الحقائق، وعلي كم هائل من التبعية والتنازلات بالنسبة للدول النامية، تنتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وهويته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي..

بحيث لا يبقي منه إلا خادم للقوي الكبري التي تسمي نفسها بالنظام العالمي الجديد.. وما هو إلا إستعمار جديد شامل، «وأمركة» تنزعك من جذورك، وتخلع عنك اسمك ورسمك وهويتك، وتحولك إلي مرمطون في بار أمريكي، يلبس الجينز ويأكل الهامبورجر، ويشرب الكوكاكولا، ويفكر علي طريقة .. الكاو.. بوي.. ويقضي أجازته آخر الأسبوع علي طريقة الويك إند والجيرل فرند.

إنها «قولبة» جديدة للملايين والبلايين من دول أفريقية وأسيوية توضع في مفرمة السياسة الأمريكية لتخرج وقد فقدت تنوعها الاجتماعي والبشري، وتحولت إلي سوائم وأبقار وديعة مستسلمة تحلب خيراتها لصالح المصنع الكبير، وبمواصفات خطوط الانتاج الجديدة التي تعد من الآن.

«والعولمة» هي صناعة الأسواق الشاملة التي تضمن لأمريكا عالمية التصدير وأولوية السيادة وصنع القرار.. وسيطرة رؤوس الأموال الأمريكية الفلكية علي كوكبنا الأرضي بأكمله.

ولكي يتم الترويج والدعاية لهذه الخدعة لابد من قلب الحقائق، فالوطنية يقال لنا إنها « تخلف »، والإسلام «إرهاب» والعروبة «تفكير محلي» وقبلية بائدة، ونعرة إقليمية لا تصلح لهذا الزمان. (١)

١- د/ مصطفى محمود ، مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ - يونيه ١٩٩٨ ، ص ١٢ وما بعدها .

ولا مانع من أن تنفق مليارات الدولارات لتصنيع هذا الإرهاب الإسلامي وفق المواصفات الامريكية علي أيدي رجال الـC.I.A في أفغانستان والصومال والجزائر بتسليح القبائل المتناحرة والإنفاق عليها وعلي زعاماتها في بذخ شديد.. فالثمرة تستحق .. والثمرة ستكون ضرب الإسلام واستبعاده من كل حسابات التطوير والتحديث في أقطار العالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا جميعها .. وفي البقاع القليلة الباقية في أوروبا.. ولن يبقي من قبيلة لا إله إلا الله سوي فلول هائمة.

عولمة الأزهر :

والكلام ينسحب علي توصياتهم بتطوير التعليم الديني كله تمهيدا لتقليصه وإلغائه.. وما يحدث في الأزهر قلعة التعليم الديني مثال بليغ.. فتحت مسميات التطوير والتحديث تختصر مقررات الشريعة والفقه والقرآن، وتلغي أبواب وفصول بكاملها من كتب الدين، ويجري نزع الإسلام من جذوره تحت عين شيخ الأزهر وبإشرافه.

وسوف تنفرط باقي المسبحة بالتبعية ولا يبقي معهد ديني واحد لا يضار مما يجري..

وفي مقابل هذا العدوان علي كل ما هو إسلامي.. يجري التوسعة علي كل ما هو إسرائيلي فالتوراة وسلطان الحاخامات والأحزاب الدينية.. هي مقدسات لا تمس.. والصهيونية وهي عنصرية تقوم علي التعصب الديني البغيض .. لا أحد يقترب من حماها .. بل تصدر هيئة الأمم المتحدة قراراً بإزالة تهمة العنصرية عنها.. وتسلحها أمريكا بالاسلحة النووية والكيمياوية وبجميع المحظورات التي لا تباح لأي بلد عربي أو إسلامي .. وتحرص أمريكا علي أن يتفوق السلاح الإسرائيلي من حيث الكم ومن حيث الكيف علي أسلحة كل الدول العربية مجتمعة.. وتصرح بهذا في جميع بياناتها .. زيادة في الإغاظة. (١)

نحن إذن الأبناء المغضوب علينا بين كافة أبناء آدم.. والأمل الوحيد الباقي لنا وهو

---

١ – د / مصطفى محمود ، مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ، ص ١٢ وما بعدها .

راية لا إله إلا الله.. أمر محاط بالمحاذير والتهم والشبهات والممنوعات، وأحب أن أسمع كلمة شيخ الأزهر ورأيه في كل هذا الذى يجري، وكيف تساهم الهيئة التعليمية الأزهرية فيه؟.. وكيف يهدم الأزهر نفسه طواعية واختيارا؟ ....

في مواجهة طوفان من العدوان علي الدول الإسلامية يأتينا فيه الهجوم من كل جانب.

وأرجو ألا يحيلني الشيخ الكبير إلي الشيخ الزفزاف وكيل الأزهر أو إلي أي شيخ آخر.. وإنما يخاطبني مواجهة .. فأنا وفضيلته أصدقاء تعودنا أن نتحاور مواجهة ولا حاجة بنا إلي وسيط .. وأنا أحب أن أسمع منه شخصيا رأيه في هذه القضايا.

والشيخ الفاضل لا شك يري ويسمع بحصار الكونجرس الأمريكي لنا، بالشبهات والأقاويل والتهم الكاذبة التي يذيعها عن اضطهادنا للأقباط .. وهي حلقة أخري من سلسلة التآمر علي الإسلام وأهله..

وقد أرسلت امريكا بعثة من رجال كنائسها للتحقيق في أمر هذا الاضطهاد للتجول في أرض مصر وتقصي الحقيقة لتعود بكلمة حق من أرض الواقع .. وقد عادت البعثة لتدلي بشهادتها ولتنكر أي شواهد أو أدلة علي هذا الاضطهاد المزعوم.

وبرغم هذه الشهادة من أرض الواقع مازال الاتهام يتردد صفيقاً في كل وسائل الإعلام الأمريكية ومن منابر الكونجرس، والمسألة تجاوزت الاتهام الكاذب.. إلي محاولات صريحة لإثارة الفتن الطائفية وللدس والوقيعة بين أبناء الوطن الواحد.

وتاريخ الإسلام كله يخلو من هذا الاضطهاد للملل الأخري.. والنصاري واليهود وجدوا في حضن الإسلام الملجأ والملاذ في كل المحن .. ويهود أسبانيا هربوا إلي المغرب المسلم من المحارق والمشانق التي علقها الفرنجة لليهود بعد سقوط الحكم الإسلامي.. وفي المغرب المسلم وجدوا الأمن والأمان.

والقرآن يذكر عيسي بكل إجلال، ومريم في القرآن ترنيمة حب، وقد أفردت لها سورة من أجمل سور القرآن. (١)

١- د / مصطفى محمود ، مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ، ص ١٢ وما بعدها .

ولكن النيات الإجرامية عند الغرب تتخطي كل هذا ولا تراه وهي تتلمس لنا التهم والشبهات.

وفرنسا أقامت الدنيا وأقعدتها من أجل بنات مغربيات يلبسن الحجاب.

وكل بلد حرٌّ في قوانينه، ولكن لماذا تكشر القوانين عن أنيابها أمام أي ظاهرة إسلامية حتي ولو كان حجابا بريئا تضعه طفلة علي رأسها .. وهل في الإيشارب الذي تضعه تلك الطفلة علي رأسها خطورة علي الأمن الفرنسي تستدعي كل هذه القيامة التي قامت. مجرد سؤال ؟!!..

والجواب حاضر فهم يضمرون العداوة لكل ما هو إسلامي ويلتمسون لنا التهم والشبهات في كل شيء.

والرئيس الأمريكي السابق نيكسون يقول في كتابه.. لقد انتهت الشيوعية ولم يبق لنا عدو سوي الإسلام.

أمام كل هذا يا فضيلة الشيخ تتعاظم مسئوليتنا عن إسلامنا، ويغدو واجبا علينا حماية للأجيال القادمة، وحماية لديننا الحنيف المتهم أن تجلي هذا الدين، وتجلي كمالاته لكل دارس ولكل طالب معرفة، ولا تلجأ إلي أي اختصار أو تقليص في المناهج والمقررات الإسلامية.. خاصة في الدراسة الأزهرية بالذات.. لأن الأزهر هو المرجع الوحيد لعلوم الأصول الإسلامية.. وهو الحافظ الوحيد لهذه الأصول من الضياع والتشويه.. ولا يمكن أن يتحول إلى ملخصات .. فهذه مهزلة لن نسمح بها.

وهذه هي رسالتك الأولي.

وإذا كان الأزهر سوف تقتصر الدراسة فيه علي الملخصات والمختصرات.. فأين يجد طالب المعرفة.. العلم المستوفي والمعارف الجامعة.. وأين يجد الدارسون ما يشبع تطلعهم.

أم هل تراني مخطئا؟!!. (١)

---

١ – د / مصطفى محمود ، مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ – يونيه ١٩٩٨ ، ص ١٢ وما بعدها .

هجوم جريدة الوفد [1]

أما جريدة الوفد فقد هاجمت أيضا مشروع تطوير منهج التعليم بالأزهر وكتبت مقالا بعنوان « مسلسل تخريب الأزهر مستمر » جاء فيه :

مسلسل تخريب الأزهر مستمرا

التيسير والتسهيل .. حذف الحشو والمكرر.. تقليل الساعات الدراسية تجنبا للإرهاق .. المساواة بين طلاب الازهر وطلاب الثانوية العامة.. جمل براقة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب أطلقها مروجوها الذين يدافعون باستماته لاقرار مشروع تطوير الأزهر الجديد.

التطوير جاء علي حساب حفظ كتاب الله واستيعاب سنة رسوله صلي الله عليه وسلم، وعلوم الإسلام.. تلك حقيقة لا ينكرها عاقل ويعلمها جيدا كل المهتمين بالأزهر. فالمشروع جاء تتويجا لخطة محكمة تم تنفيذ ٩٨٪ منها في العامين من ٩٦ إلي ٩٨ بداية بالمعاهد وانتهاء بالجامعة!!.

الأمر جلل والكارثة أكبر من الصمت والسكوت دائما لا يعني أن يكون ذهبا فأحيانا يكون علقما ومرا بل وعارا إذا تعلق الأمر بأمور تخص الدين ومستقبل الأمة.

«الوفد تكشف النقاب خلال هذا التحقيق بالمستندات عن عمليات التخريب التي تعرض لها الإزهر خلال السنوات الماضية من حذف لمواده وتدمير لدعائمه العلمية بهدف تفريغه من سر بقائه.

تقليص المواد الشرعية في الخطط الدراسية لصالح العلوم غير الدينية.

لما كان هذا التعديل جاء بعد حذف واجتزاء لكثير من علوم الشريعة واللغة العربية التي يتميز بها طلاب الأزهر وبها يحتل الأزهر مكانته المحلية والعالمية التي جعلته منارة للعالم الاسلامي كله وشعورا بخطورة هذا الأمر. فإن ما نريده هو المطالبة بالإبقاء علي شخصية الأزهر المتميزة بين معاهد العلم في العالم أجمع، وعدم الموافقة علي

١ - جريدة الوفد - الأربعاء ١٥ صفر ١٤١٩هـ ١٠ يونيو ١٩٩٨م ص ٣ .

حذف أي شئ مما بقي له من معالمه.. كما ترفض تحويل المرحلة الثانوية الأزهرية إلي ثانوية عامة وفنية وزراعية وصناعية وتجارية يترتب عليها ضياع مكانة مصر المتميزة بين العالم الإسلامي وظهور زعامات دينية غير مسئولة!!

والمشروع المقدم لمجلس الشعب لتقليص الدراسة الثانوية الأزهرية إلي ثلاث سنوات بدلا من أربع كان مثار جدل كبير بين كافة المهتمين إذ جاء المشروع تتويجا لخطط محكمة لتدمير الأزهر بعدما تم تضييعه مرحليا بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ . والآن نتعرض لهذه الخطة التدميرية والتي نفذت من عام ٩٦ حتي الآن.

تم إلغاء الكتاتيب من جميع المعاهد الازهرية والتي تم وضع خطتها في عهد الإمام الراحل الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.

تم إلغاء ٥٥ حصة من حصص تحفيظ القرآن الكريم في مرحلة التعليم الابتدائي حيث تقلصت من ١٢٦ حصة إلي ٧١ حصة وتحويل هذه الحصص الملغاة إلي مواد التعليم العام فتم طرد المحفظين والاكتفاء بتوزيع أشرطة مسجلة تتلي في طابور الصباح، كما تم تجميد حصص التحفيظ في الإعدادي والثانوي بالرغم من ترحيل ١٢ جزءا من المرحلة الابتدائية إلي المرحلتين الاعدادية والثانوية.

تم تجميد الدراسة في ٢٠ معهدا للمعلمين كانت قد خصصت لتخريج محفظين للقرآن.

تم إلغاء حصص تحفيظ القرآن في الجامعة التي صدر بها القرار رقم ٥١٧ لسنة ١٩٨٩ الذي أصدره المجلس الأعلي للأزهر في الجلسة رقم ١١٣ لسنة ١٩٩٦ كما تم حذف عشرة أجزاء من القرآن الكريم من المقرر علي طلاب الكليات العلمية بحيث تحفظ كل فرقة خمسة أجزاء فقط.. جاء في قرار المجلس الاعلي للأزهر تفويض رئيس الجامعة في اقتراح تعديل عدد ساعات المواد الدراسية بما يتلاءم مع نظام الفصلين ومراعاة أن تنتهي المادة في فصل دراسي واحد ولا تمتد إلي فصلين [1] وألا يخصص

---

١ - جريدة الوفد - الأربعاء ١٥ صفر ١٤١٩هـ ١٠ يونيو ١٩٩٨م ص ٣ .

أي عدد من الساعات لمادة القرآن الكريم وأن يكون الامتحان فيها في الفصل الدراسي الثاني وإذا رسب الطالب يعقد له امتحان دور ثان في موعد تحدده الجامعة.

تكرار الحذف

اقتصر الفقه الإعدادي علي تدريس فقه العبادات في الصفين الأول والثاني واقتصر التدريس للفصل الثالث الاعدادي علي فصول من كتاب البيوع مع كتاب النكاح وكتاب الطلاق وألغي فقه المعاملات بنسبة ٩٠ ٪ وألغي ما يتعلق بفقه التكاليف الشرعية بنسبة ١٠٠ ٪ بحيث يتخرج طالب الإعدادية وهو عاقل بالغ مخاطب بالتكاليف الشرعية وقد زاد عمره علي خمسة عشر عاما وهو لا يعرف حرمة النفس أو العرض أو العقل أو المال العام والخاص أو حرمة البغي والعدوان أو الانتماء إلي الوطن بل حجب عنه علم الميراث وقبل هذا وبعده لا يعرف شيئا من فقه المعاملات الإسلامية فماذا يكون إذا تخرج من هذه المرحلة بلا تكاليف شرعية!!.

ونعرض هنا خطة الدراسة بالمرحلة الإعدادية في أعوام ٩٥,٨٢ و١٩٩٨.

في الكليات العملية ألغيت مادة الفقه في السنوات الثلاثة بعد السنة الأولي وألغي من مقرر السنة الأولي «كتاب بيان للناس» الذي كان مقررا من قبل مع فقه السنة الأولي.

في كليات الشريعة – وهي الكليات الوحيدة التي تدرس الفقه الإسلامي بتوسع – تم تقليص ساعات تدريس مواد الفقه والفقه المقارن وأصول الفقه من خمس ساعات لكل مادة علي مدار العام إلي ست ساعات في فصل واحد.

في شعبة الدراسات الاسلامية بكلية التربية بالأزهر الغيت مواد : الفقه المقارن والأحوال الشخصية وفقه الكتاب والسنة، وتاريخ الفقه، كما تم تقليص ساعات المواد الشرعية والاسلامية من ١٤٠ ساعة إلي ٦٨ ساعة فقط. وهذا ما تؤكده خطط الكلية ودليلها ورسالة الدكتوراة المقدمة من الباحث الدكتور مصطفي [1] الطنطاوي المدرس

---

١ – جريدة الوفد – الأربعاء ١٥ صفر ١٤١٩هـ ١٠ يونيو ١٩٩٨م ص ٣ .

بالكلية والتي نوقشت عام ١٩٩٨ وشارك في مناقشتهما رئيس الجامعة.

تم إلغاء لجان الفتوي علي مستوي الجمهورية وتم طرد أعضائها.

وأخيرا وليس آخر يجري إلغاء تدريس المذاهب الأربعة في الفقه الإسلامي وروافده التي تغذي مصر ودول العالم الإسلامي كلها ويضيع تراث الفقه الإسلامي علي المذاهب الاربعة.

تقليص ساعات الدراسة

تم إلغاء ٧٥٪ من النصوص المقرر دراستها من القرآن الكريم والحديث النبوي في المرحلة الاعدادية والتي كانت بديلا للتفسير والحديث، والذي كان قد الغي من قبل.

تم إلغاء ٥٠٪ من مقرر النحو الاعدادي وضمّه إلي مادة الصرف بعد تقليص ساعات التدريس فيها من ١٦ ساعة إلي ١٢ ساعة وتقليص الدرجات من ٨٠ درجة إلي ٢٠ درجة وجري هذا الإلغاء والتقليص بنسب مختلفة في الوحيد في القسمين الإعدادي والثانوي وخصوصا في القسم العلمي الذي وصل فيه التقليص إلي النحو والبلاغة والأدب وغيرها. كما طغي نصاب اللغة الانجليزية علي نصاب كل من الفقه واللغة العربية في التعليم الاعدادي ومما يؤسف له أن اللغة الانجليزية ألغيت من الدراسات العليا بالكليات الأصلية والشعب المناظرة لها مع شدة الحاجة إليها في البحوث والرسائل العلمية للباحثين من الطلاب.

وأخيرا فانه في مشروع القانون الجديد الذي يقلص الثانوية الأزهرية إلي ثلاث سنوات تم توزيع مقرر السنة المقترح حذفها علي السنوات الثلاث يحمل الطالب ما لا يطيقه خاصة مع وجود علوم التعليم العام مما يؤدي إلي تضاعف العبء علي كاهل الطالب ثم يتم بعد ذلك إلقاء أثقاله من العلوم الشرعية والعربية والإبقاء في خاتمة المطاف علي علوم التعليم العام، وهكذا يتم الإبقاء علي مباني الأزهر وجامعته مع تضبيع المعاني والخصوصية ومع ذلك وغيره يضيع الهدف من الدراسة [1] الأزهرية ثم

---

١ - جريدة الوفد - الأربعاء ١٥ صفر ١٤١٩هـ ١٠ يونيو ١٩٩٨م ص ٣ .

الأزهر ذاته، كما يتلاشي دور مصر في الحفاظ علي الإسلام وتراثه وحضارته.

فهل يتحاشي المسئولون في الأزهر وجامعته تحقيق ما فشل فيه الغزاة والصليبيون وما أخفق فيه المستشرقون والمبشرون واليهود وأعداء الاسلام قبل أن تذهب ريح المسلمين وقوتهم ويبقي النظام العالمي الجديد ليسيطر علي أرض الإسلام ومقدرات المسلمين حيثما كانوا؟. أم يضيع الحق فتحل اللعنة علي الجميع؟!. [1]

---

١ – جريدة الوفد – الأربعاء ١٥ صفر ١٤١٩هـ ١٠ يونيو ١٩٩٨م ص ٣.

كما كتب الأستاذ أحمد بهجت في جريدة الأهرام في عموده «صندوق الدنيا» وتحت عنوان :

« ثانويـــة الأزهـــــر » (1)

مقالا قال فيه :

تحت عنوان يقـول « الموافقـة من حيث المبدأ علي أن يكون الدراسة بالثانوي الازهري ٣ سنوات فقط » .

بعد العنوان قال الخبر « أعلن فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر أن تخفيض سنوات الدراسة إلي ٣ سنوات بالثانوية الأزهرية سوف يسهم في الارتقاء بنوعية الطلاب والحفاظ علي الرسالة العلمية للأزهر وخدمة الدعوة الإسلامية» .

توقفت وأنا أقرأ وقد تملكتني الدهشة.. ساءلت نفسي كيف؟.. وثارت في نفسي أسئلة كثيرة .

كيف يكون تخفيض سنوات الدراسة سببا في الارتقاء بنوعية الطلاب والحفاظ علي الرسالة العلمية للأزهر وخدمة الدعوة الاسلامية ؟.

المفترض طبقا للمنطق أن تكون زيادة سنوات الدراسة سببا محتملا لوقوع هذا كله، أما خفض سنوات الدراسة فلا نظن أنه سيحقق أملا من هذه الآمال المعقودة عليه والتي وردت في حديث شيخ الأزهر .

ولو ألقينا المنطق وراء ظهورنا وسلمنا وآمنا بأن ما يقوله شيخ الأزهر صحيح فأين كان شيوخ الأزهر السابقون قبله ولماذا لم يلجأوا لهذا الحل السهل البسيط للارتقاء بنوعية الطلاب والمحافظة على الرسالة العلمية للازهر وخدمة الدعوة الإسلامية؟!

رحم الله شيوخ الأزهر السابقون، كان الحل أمامهم ولكن أحدا لم يمد يده لالتقاطه.. ثم ماذا يحدث لو طالبت المعاهد والجامعات بتطبيق هذه السياسة الجديدة

---

١ - جريدة الأهرام - ٢٧ / ٥ / ١٩٩٨م الأستاذ الكاتب / أحمد بهجت ص ٢ .

اقتداء وتأسيا بشيخ الأزهر.. ماذا يحدث لو طالبت كلية الطب بأن تنقص من سنوات دراساتها سنة أو سنتين، وطالبت المدارس والمعاهد والكليات بقصقصة سنة من الدراسة فيها أسوة بثانوية الأزهر رافعين شعار تطوير المقررات وتخليصها من الحشو.

نحن لسنا ضد تطوير المقررات، ولسنا ضد تخليصها من الحشو، وعدم لزوم ما لا يلزم .. انما تثور المخاوف في صدورنا من وقوع تطوير عكسي يؤدي بنا– رغم النيات الحسنة– إلي كارثة تزيد من ضعف الخريجين ولا يتم فيها ارتقاء بنوعية الطلاب.

هذا ما نخشاه .. وهذا رأينا قد عرضناه ونحن نرجو من مؤيدي مشروع القانون أن يتريثوا فيه .. وأن يعيدوا النظر في مواده. (١)

ثالثا : الموافقة علي التعديل

بعد هذا الهجوم أيدت جريدة الأهرام رأي مشيخة الأزهر في تقليل عدد سنوات بالازهر الشريف والتوصيات التي اتخذت بشأن مناهج الدراسة فيه فكتبت تحت عنوان :

نعم : لتخفيض المرحلة الثانوية الأزهرية. (٢)

ما نصه :

أثار الاقتراح الخاص بتخفيض سنوات المرحلة الأزهرية إلي ثلاثة سنوات.

ردود فعل صاخبة لدي بعض علمائنا الأجلاء حتي قبل أن يتبينوا مضمون الاقتراح ودوافعه والبرامج المقترحة للمواد الإسلامية والعربية في هذه المعاهد وبعيدا عن حساسية الاتهامات الشخصية. فإن ما قرآناه من هذه الردود الرافضة أوضحت ابعادا شديدة الأهمية.

في قضية مطروحة الآن علي الساحة الأزهرية أكثر من أي وقت مضي يقول الدكتور أحمد الحفناوي أستاذ التاريخ الإسلامي بفرع الجامعة بالمنصورة هذه الابعاد تتمثل في الحوار الذي كان يجب أن يكون موضوعيا حول النهوض بالتعليم الأزهري

---

١ – جريدة الأهرام – ٢٧ / ٥ / ١٩٩٨م الأستاذ الكاتب / أحمد بهجت ص ٢ .
٢ – جريدة الأهرام بتاريخ ٤ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ / أحمد بهجت ص ٢٤ .

في ظل أوضاع ثقافية محلية جديدة فرضتها أوضاع اقليمية ودولية جديدة أيضا!!

لم يطرح إلغاء الفقه، أو غيره، ولكن ترك لهذه اللجان أمر النظر في ترحيل المسائل الفقهية التي لا تتناسب وعمر التلميذ الي مرحلة أخري، يستطيع الطالب أن يدركها، وليسمح لي القارئ الكريم أن أذكر له مسألة من كتاب «تقريب فتح القريب المقرر علي الصف الثالث الاعدادي ص ١٧.

« الاستبراء هو انتظار الأمة مدة بسبب حدوث البلل فيها أو زواله عنها تعبدا أو براءة من الحمل. وأسبابه هي أن يموت سيدها عنها أو يعتقها أو أن يريد السيد تزويج موطوئته فيجب استبراؤها قبل تزويجها حذرا من اختلاط الماء إلي آخر » العديد من المسائل الفقهية الافتراضية الغريبة التي يجب ترحيلها إلي كليات الشريعة والتي لا تتناسب مطلقا مع طالب أو طالبة في سن ١٤ عاما!!

إن آلاف الطلاب ضجوا من الحشو والتكرار إذ ما يقال في الابتدائي يعاد في الإعدادي ثم في الثانوي وأيضا في كليات الجامعة، فلماذا لا ننتصر للكيف علي الكم، ولماذا نرهق أبناءنا الطلاب بتكرار هذه المسائل علي حساب استظهار القرآن الكريم. ثم- وأخيرا لماذا التصميم علي أن يتخرج الطالب مفتيا وهو لم يحصل بعد علي الإعدادية ؟!

- ماذا يضير الازهر إذا ما تم ترحيل هذه المسائل الغريبة إلي مراحل دراسية أخري وأدي هذا إلي تخفيض الدراسة الثانوية إلي ثلاثة سنوات ؟!

ويقول لقد سبق وقدمت إلي فضيلة الامام الاكبر خطة دراسة متكاملة لهذه المعاهد قائمة علي تخفيض الدراسة الثانوية إلي ثلاث سنوات.. وهي الأن تحت نظر اللجنة الموقرة الموكول إليها النظر في الخطط الدراسية ولا أخفي أنني سأكون سعيدا إذا ما تم تنفيذه هذه الخطة كاملة لأنها في رأيي المتواضع ستطمئن المحافظين علي مستقبل استظهار القرآن الكريم والعلوم الأزهرية. (١)

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٤ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ / أحمد بهجت ص ٢٤ .

إن من العدل أن ندرك أن الهامش الذي يتحرك فيه فضيلة الأمام الاكبر لتحقيق سياسة تعليمية أزهرية معاصرة هو هامش ضيق ولا يمكن أن يحتمل أن نثقل كاهله بالحديث عن أشياء هامشية لا تمت للتطوير بصلة لقد كنت آمل في أن يكون اهتمام المعارضين منصبا حول قضايا جوهرية تتصل مباشرة بخدمة الاسلام مثل اعادة النظر في عضوية القطاع الفقهي لمجمع البحوث الاسلامية تلك العضوية التي أصبحت مثار جدل واسع منذ وقف البعض حجر عثرة أمام كل من يحاول الاجتهاد لتيسير مصالح المسلمين تلك هي القضايا التي يجب أن يشغل بها العلماء أنفسهم لأنها تتصل بالوجود الإسلامي ذاته وصلاحيته للاستمرار وسط توازن دولي لن يرحم!!

إن حواراتنا يجب أن تحمل قدرا من التسامح والصبر علي المناقشة مادامت نقاط الاتفاق بين الجميع أكثر من نقاط الاختلاف. (١)

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ٤ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ / أحمد بهجت ص ٢٤ .

تأيد رئيس جامعة الأزهر

جاء أيضا في جريدة الاهرام مقال للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر نصه كما يلي :

الأزهر .. ومواصلة العطاء الحضاري [1]

إن الازهر جامعة وجماعة يمثل إرادة إلهية ليكون أحد الحصون التي تصون الإسلام وتحفظ دستوره السماوي تطبيقا لوعد الله تعالي «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فحفظه الله في الصدور وفي السطور علي أيدي حفاظ وعلماء، ومؤسسات في طليعتها الأزهر الشريف.

وهو يمثل حلقة في سلسلة الزمن وطبقات الأئمة والرواد يصل عهد الوحي الإلهي منذ الصحابة رضوان الله تعالي عليهم أجمعين فالتابعين فأتباعهم، ليظل عهد الوحي موصلا بالأزهر وعلمائه فمن القرن الأول عهد الصحابة إلي الثاني عهد التابعين إلي الثالث عهد أتباع التابعين إلي الرابع عهد من تبعهم بإحسان إلي يوم الدين علي أيدي الأزهر وعلمائه المخلصين.

وكانت مصر كنانة الله في أرضه تحمي حمي الدين، وتحتضن تراثه منذ الفتح الإسلامي .. وظلت بفضل الأزهر الشريف موئل العلوم الإسلامية، بعد سقوط بغداد حين كانت الهجمة التترية الشرسة من الشرق وسقوط الأندلس في الغرب وكان هذا وذاك من أكبر الأسباب في ضياع تراث أمتنا وديننا لولا نهوض الأزهر بعلمائه، فصانوا أشرف تراث فى الوجود.

إن مصر المحروسة كنانة الله في ارضه من ارادها بسوء قصمه الله.. وإن أزهرها الشريف هو قبلة علوم الإسلام ما أراده أحدٌ بسوءٍ إلا كبّه الله على وجهه.

لقد تنقلت مسيرة الثقافة الإسلامية في رحلتها من قرطبة إلي غرناطة إلي بغداد، ثم ألقت رحالها في أرض الكنانة بالقاهرة في الأزهر الشريف الذي أشرق في سمائها

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .

فأصبحت مصر عاصمة الثقافة الإسلامية الأصيلة المعتدلة البعيدة عن الجمود أو الشطط، وأصبح الأزهر يمثل المرجعية الإسلامية الكبري في العالم كله.

وإن الأزهر في هذه المرحلة المهمة، يواكب التقدم الحضاري بتحديث دقيق، وتقدم عميق. ويتمسك بالتراث والأصالة. فيجمع بين الحسنيين ويدأ الأزهر الشريف - جامعا وجامعة - يستثمر إمكانات العصر الحديث بكل وسائله المتاحة من شبكة المعلومات العالمية لبث العلوم والثقافة الإسلامية الأصلية، إلي العالم من حولنا، ويعمق رسالته العالمية بمد جسور التعاون والتواصل العلمي ونشر رسالته العالمية المستمدة من عالمية الإسلام.

وينهض الأزهر الآن بخطي حضارية كبري، ليصل مسيرة العطاء الزاهرة التي قضاها زهاء اكثر من ألف عام.. فلقد كان الأزهر ولا يزال الحارس الأمين للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وحضارة إنسانية كبري .

وواجه كل غزوات الاستعمار بجهاد وجلد، وحافظ علي العقيدة واللغة، فلم تستطع قوي الاستعمار بكل ما أوتيت أن تؤثر في أرض الكنانة، ولا في دينها ولا في لغتها، كما حدث في بعض الدول الأخري التي دخلها الاستعمار فغيرلغتها وتعليمها وثقافتها.

لقد استطاع الأزهر بجسارة واقتدار أن يصون الهوية الإسلامية والعربية لأمتنا، كما صان تراثها من قبل، منذ الحملة التترية الشرسة، ولولاه لضاع أشرف تراث في الوجود لهذه الامة.

إنه يمثل إرادة إلهية، وقبله عملية، فكما أن الكعبة في أم القري قبلة الصلاة، فالأزهر في ارض الكنانة قبلة العلوم الإسلامية ومرجعيتها، ينشر دعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبلغ الأمانة الإلهية مصونة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. (١)

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .

لقد وصل الأزهر القرون الأولي التي هي خير القرون، كما أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» فأشرق الأزهر اثر عهد اتباع التابعين ليصل مسيرة الوحي الألهي حيث تلقتها القلوب الامينة منذ عهد النبوة إلي أن نهض الازهر يحمل الأمانة الإلهية فبلغها إلي كل من في الارض، وقامت حوله أروقة كبري لدول العالم، يقيم أبناء المسلمين فيها، ليتعلموا ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، حتي اصبحت الآن مدينة هي مدينة البعوث الإسلامية التي تضم الآلاف من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

إنه يمثل كبري الحضارة العالمية الإسلامية علي أرض مصر، وكما قال أحد المؤرخين «من لم يذهب إلي مصر لم ير عز الإسلام ولا مجده، لأن بها الازهر». والازهر الشريف اليوم - جامعا وجامعة يعيش أسعد وأرغد مراحل عمره المديد، ومناخه العلمي المجيد، بما أولاه أياه قائد المسيرة، وداعية السلام السيد الرئيس القائد/ محمد حسني مبارك رعاه الله.

لقد أصبحت المعاهد الأزهرية في عهده أكثر من خمسة آلاف معهد بها أكثر من مليون طالب، واصبحت الكليات في جامعة الأزهر أكثر من خمس وخمسين كلية بها اكثر من مائة وخمسين الف طالب إلي جانب مراكز البحث العلمي والاتفاقيات العلمية، والمؤتمرات الدولية والندوات العلمية، إلي جانب جهود علماء الازهر- جامعا وجامعة- في سائر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة إلي جانب الانجازات التي لم تتوقف في المعاهد والكليات والمدن الجامعية وترميم وصلاح الازهر الشريف التي يقوم بتنفيذ برنامجها الاصلاحي الرجل المخلص الغيور الذي خفف بحنكته ودقته المعاناه عن أبناء مصر السيد الاستاذ الدكتور كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الازهر.(١)

إن الازهر يشهد نهوضا وتقدما لا يماري فيه إنسان ومعه عقله، فلقد أصبح الأزهر في عهد السيد الرئيس مبارك درة بين الجامعات ومنارة كبري من أعظم

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .

المنارات، وحسبنا تدفق طلبات معظم الجامعات في الوطن العربي، والمجتمع الدولي لعقد اتفاقيات علمية للتعاون مع جامعة الازهر ولقد نفذ الاستاذ الدكتور/ كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء مشروعات التجديد وبصدد استكمال الباقي من الكليات الجديدة.

كما أن فضيلة الامام الاكبر عاكف علي تقدم الازهر ونهوضه علميا وحضاريا بإخلاص أكيد ومنهج سديد وعزم قوي والآن يعيش الازهر- جامعا وجامعة- العصر الذهبي بفضل الجهود الموفقة التي تذكر فتشكر.

وبين الفينة والفينة عبر كل العصور الماضية، كانت تتنادي اصوات، يقول قائلها: آن الأوان لنجدد مناهج الدراسة، ونقدم هذه المادة العلمية التي كتبت بلغة عصرها، ووردت فيها افتراضات من الأجدي عرضها وبأسلوب أيسر.

فَقَيَّضَ الله للأزهر الشريف الامام الاكبر الاستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الازهر فأخذ علي عاتقه هذا الواجب وشمر عن ساعد الجد ودعا جميع الخبراء والمتخصصين والموجهين والمستشارين الفنيين في كل علم في تخصصه لينهض بالرسالة وليقدم علوم الازهر في ثوب قشيب بأصالتها نفسها ودون حذف ولانقصان، العلم هو العلم، فاذا الذين كانوا يتنادون بهذا التصحيح والتحديث يرجعون عن ندائهم ما كان علي ما كان، ولو أبقي ما كان لعادوا وقالوا : نريد التجديد والتوضيح فلدينا اساليب في الكتب القديمة لا يستطيع الأبناء هضمها وهكذا لا يعجبهم العجب، ولا يثبتون علي رأي .

ولما كان الأزهر في هذه المرحلة ينهض بخطط مدروسة ودقيقة وأمينة وبأسلوب أصيل وحضاري، وينهض العمل في المعاهد والجامعة علي قدم وساق كان من الأجدي والأجدر أن نقول لمن أحسن أحسنت وأن نقف بجواره وإن نساعده في الصحوة الكبري وإذا كان لأحد رأي أو اقتراح فمرحبا بالرأي والاقتراح. (١)

فإن الأزهر- جامعا وجامعة – تدار سياسته التعليمية من خلال مجالس متخصصة

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .

إلي جانب مجلس الجامعة الأعلي للأزهر.

فكان علي من يريد إبداء اقتراح أن يتقدم به إلي الأزهر نفسه فأبوا به مفتوحة وشيخه الوقور في سماحته يستقبل كل الناس ويستمع إلي كل الآراء.

وإن الأزهر وإن كان مصري الموقع فهو عالمي الرسالة ولذا فإن المسئولية فيه ضخمة وإن أداءها يستوجب علينا المتابعة آناء الليل وأطراف النهار، وهذا ما يحدث لانكتفي بالعمل سحابة اليوم بل كثيرا ما نجتمع في المساء مع فضيلة الامام الاكبر والمسئولين اخلاصا للعمل وحبا في مزيد العطاء، لأن العمل والكدح والعرق في خدمة الأزهر هو تبتل في محراب العبادة.

ونسأل الله تعالي التوفيق الدائم لخدمة الأزهر الشريف وخدمة الإسلام والمسلمين، وبالله التوفيق.[1]

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٩٨ مقال للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .

موافقة الشيخ الشعراوي لمشروع تطوير الأزهر : [1]

تحت عنوان : أوافق علي تخفيض سنوات الدراسة بالأزهر كتبت جريدة الأخبار تقول :

أعلن فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي موافقته علي تعديل مشروع تطوير الدراسة بالازهر. وقال في بيان أمس موافقته علي خفض سنوات الدراسة إلي ٣ سنوات بدلا من ٤ في المرحلة الثانوية الأزهرية، خاصة أن مشروع القانون لا ينقص شيئا من المواد الشرعية واللغوية التي تبقي للأزهر محتوي منهجه القديم قبل التطوير. وقال أنه يعتقد أن مشروع القانون المقترح سيرضي كل غيور علي الازهر ولو كان من غير الأزهر.

وأكد فضيلة الشيخ الشعراوي أنه اطمأن بعد الاطلاع علي التعديلات التي فوض شيخ الأزهر في اتخاذها وأن التعديلات خولت لشيخ الازهر أن يعدل ما شاء بعد ترسيخ القانون وموافقة المجلس الأعلي للأزهر. وقال في البيان الحمد لله الذي جمعنا جميعا على حب دينه والاخلاص للازهر والله خير الشاهدين وولي التوفيق. [1]

---

١ - جريدة الأخبار بتاريخ ٣١ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى.

بيان من الأزهر الشريف

كلمات واضحات عن مناهج الدراسة بالأزهر [1]

كثر الكلام في هذه الايام عن مناهج الدراسة بالازهر، وهؤلاء المتكلمون منهم من يتكلم وهو لا يعرف شيئا عن الدراسة في الازهر. ومنهم من يتكلم بقصد المباهاة والتفاخر. ومنهم من يتكلم بما يخالف الحقيقة مع أنه يعرفها، ولكن سوء نية حَمَلَهُ على كتمان الحق، فهو ممن قال الله تعالي فيهم: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» (البقرة : ١٤٦).

ولكي نقيم الدليل الساطع والبرهان القاطع علي أن مناهج الدراسة بالأزهر قامت وتقوم علي الحفظ التام للقرآن الكريم، وعلي الدراسة السليمة للعلوم الشرعية وللعلوم العربية، وعلي معرفة ما تجب معرفته من العلوم الحديثة.

نقول – لكي نقيم الدليل الساطع علي ذلك – الحقائق التالية :

١ – الدراسة في المرحلة الابتدائية بالأزهر مدتها ست سنوات ويدخلها الطالب أو الطالبة وهما في سن السادسة.

ومنهج الدراسة في هذه المرحلة يقوم على حفظ ثمانية عشر جزءا من القرآن الكريم، يمتحن الطالب أو الطالبة في كل سنة في المقرر عليه في تلك السنة، وفيما سبق حفظه في السنوات الماضية.

وعدد حصص حفظ القرآن الكريم في تلك المرحلة كالآتي : ست حصص للصف الأول، وثماني حصص للصف الثاني، واثنتا عشرة حصة للصف الثالث ،خمس عشرة حصة للصف الرابع، وخمس عشرة حصة للصف الخامس، وخمس عشرة حصة للصف السادس، كما أن الطالب أو الطالبة في تلك المرحلة يدرس: التربية الاسلامية، واللغة العربية، والخط العربي، والحساب، والهندسة، والعلوم، والدراسات الاجتماعية، والتربية الفنية، والتربية الرياضية، واللغة الاجنبية في بعض الصفوف، وفي

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى .

كل الصفوف بالنسبة للمعاهد الأزهرية النموذجية.

٢- فإذا ما انتقلنا إلي منهج الدراسة في المرحلة الاعدادية الازهرية التي مدتها ثلاث سنوات وجدناها كالاتي :

المقرر علي الطالب أو الطالبة في هذه المرحلة حفظ سبعة أجزاء من القرآن الكريم ولا يقتصر الامتحان عليها، وإنما يمتحن فيها وفيما سبق أن حفظه في المرحلة الابتدائية وهو ثمانية عشر جزءا، وعدد حصص حفظ القرآن الكريم في هذه المرحلة الاعدادية أربع حصص في الأسبوع لكل صف، ويدرس الطالب أو الطالبة إلي جانب ذلك في هذه المرحلة الاعدادية:

مادة الفقة علي المذاهب الأربعة بواقع أربع حصص لكل صف وكتاب الفقة المقرر علي الطلاب الاحناف هو كتاب «تيسير نور الايضاح» ومؤلفه العلاّمة حسن بن عمار - الشرمبالالي.

وكتاب الفقة المقرر علي المالكية هو كتاب «شرح متن العشماوية» ومؤلفة الشيخ أحمد بن تركي المالكي.

وكتاب الفقه المقرر علي الطلاب الشافعية هو كتاب «تقريب فتح القريب» ومؤلفه العلاّمة محمد بن قاسم.

وكتاب الفقه المقرر علي الطلاب الحنابلة هو كتاب «تيسير الدليل» ومؤلفة مرعي ابن يوسف المقدسي.

كما أنه يدرس مادة «النحو والصرف» بواقع أربع حصص في الأسبوع ومواد التوحيد والسيرة النبوية والمطالعة والنصوص والاملاء والخط بواقع حصة أو حصتين في الاسبوع.(١)

وإلي جانب هذه المواد الدينية واللغوية يدرس في هذه المرحلة المواد الثقافية الآتية : اللغة الاجنبية بواقع خمس حصص في الاسبوع لكل صف. المواد الاجتماعية بواقع

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى .

حصتين في الاسبوع لكل صف الرياضيات بواقع اربع حصص في الاسبوع لكل صف. إلي جانب التربية الفنية والرياضية والاقتصاد المنزلي بواقع حصة أو حصتين في الاسبوع لكل صف.

٣- فاذا ما انتقلنا إلي المرحلة الثانوية ومدتها حاليا اربع سنوات والتي نطالب أن تكون مدتها ثلاث سنوات، نجد أن خطة الدراسة المقترحة نظام ثلاث سنوات هي كالاتي بالنسبة للقسم الادبي :

المقرر علي الطلاب والطالبات بالنسبة للقرآن الكريم خمسة أجزاء ويمتحنون فيها وفيما سبق حفظة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية وهو خمسة وعشرون جزءا.

أما بالنسبة للمواد الشرعية واللغوية فهي كالاتي:

مادة الفقه بواقع ست حصص في الأسبوع لكل صف. وكتاب الفقه المقرر علي الطلاب الاحناف هو كتاب «الاختيار» ومؤلفه العلامة عبد الله بن مودود.

وكتاب الفقه المقرر علي الطلاب المالكية هو كتاب «الشرح الصغير» ومؤلفه الشيخ أحمد الدردير.

وكتاب الفقه المقرر علي الطلاب الشافعية هو كتاب «الاقناع» ومؤلفه العلامة أبو شجاع الاصفهاني.

وكتاب الفقه المقرر علي الطلاب الحنابلة هو كتاب «الروض المربع» ومؤلفه العلامة شرف الدين الحجاوي.

مادة النحو والصرف : بواقع ست حصص في الأسبواع للصفين الأول والثاني وسبع حصص للصف الثالث.

مادة التفسير وعلوم القرآن : بواقع ثلاث حصص في الأسبوع لكل صف.

مادة الحديث وعلومه : بواقع حصتين في الأسبوع لكل صف.[1]

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى .

مادة البلاغة : بواقع ثلاث حصص في الاسبوع لكل صف.

إلي جانب مواد التوحيد والمنطق والأدب والنصوص والمطالعة والإنشاء والعروض بواقع حصتين لكل صف.

أما المواد الثقافية التي يدرسها الطالب أو الطالبة في هذا القسم الأدبي إلي جانب دراستهم لهذه المواد الشرعية والعربية فهي كالاتي:

مادة اللغة الاجنبية بواقع خمس حصص في الاسبوع للصفين الأول والثاني وست حصص للصف الثالث إلي جانب مواد : التاريخ والجغرافيا وعلم النفس والفلسفة والمنطق الحديث والدعوة الإسلامية والتربية الفنية والتربية الرياضية بواقع حصة أو حصتين لكل مادة في الأسبوع.

فإذا ما انتقلنا إلي القسم العلمي في هذه المرحلة الثانوية وجدنا الدراسة المقترحة فيها كالاتي :

بالنسبة لحفظ القرآن الكريم والامتحان فيه كالقسم الادبي تماما. الكل يمتحن في المقرر عليه وفيما سبق حفظه في المرحلتين الابتدائية والاعدادية.

أما بالنسبة للمواد الشرعية واللغوية فهي كالاتي :

مادة الفقة بواقع أربع حصص في الأسبوع لكل صف.

مادة التفسير والحديث بواقع حصتين في الأسبوع لكل صف.

مادة النحو والصرف بواقع ثلاث حصص في الأسبوع لكل صف.

مادة البلاغة والادب بواقع ثلاث حصص في الأسبوع لكل من الصفين الأول والثاني وأربع حصص للصف الثالث. إلي جانب مواد التوحيد والإنشاء والمطالعة والقراءة الحرة بواقع حصة في الأسبوع لكل صف.

أما بالنسبة للمواد الثقافية لهذا القسم فهي كالاتي : (١)

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى .

اللغة الاجنبية بواقع ست حصص في الأسبوع لكل صف.

الرياضيات بواقع خمس حصص في الأسبوع للصفين الاول والثاني وست حصص في الاسبوع للصف الثالث.

الفيزياء بواقع ثلاث حصص في الأسبوع للصف الثالث.

الكيمياء بواقع ثلاث حصص في الأسبوع لكل صف.

التاريخ الطبيعي بواقع ثلاث حصص في الأسبوع لكل صف.

ومن كل ما سبق يتبين بوضوح عدم صحة ما قاله أولئك الذين يزعمون أن الازهر نقص شيئا من حفظ القرآن الكريم لطلابه أو من المواد الشرعية أو اللغوية.

نقول لهم : كفوا عن القول بغير علم.

نقول لهم : احضروا إلي الازهر واطلعوا بانفسكم علي نظام الدراسة بالازهر الشريف، وناقشونا كما شئتم فقلوبنا ومكاتبنا وبيوتنا مفتوحة لكم.

فإذا لم تستطيعوا ذلك فاذهبوا إلي أي معهد من المعاهد الازهرية وعددها يزيد علي خمسة الاف معهد واطلعوا علي نظام الدراسة به ثم ناقشونا.

اذهبوا إلي أي معهد أزهري ستجدون طابور الصباح يبدأ بقراءة من المصحف المعلم للشيخ محمود الحصري- رحمه الله - والطلبة والطالبات يرددون خلفه القراءة الصحيحة حتي يتعودوا عليها.

نقول لهؤلاء الذين لا صلة لهم بالأزهر وليس لهم أبناء أو بنات بالأزهر ولم يعرفوا كتابا واحدا من الكتب التي تدرس بالأزهر، نقول لهم : ما دمتم تجهلون الحقيقة فاسكتوا وكفوا عن دعواكم، ونقول لغيرهم ممن يعرفون الحقيقة ولكنهم يكتمونها لسوء نياتهم وخبث طوياتهم : توبوا إلي الله تعالي واتركوا هذا الجهر بالسوء(١) .

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى .

ونقول لكل من يعترض علي مطالبتنا بأن تكون مدة الدرسة في المرحلة الثانوية الأزهرية ثلاث سنوات بدلا من أربع سنوات - نقول للجميع : أننا نطالب بذلك باسم العدالة والمساواة والرحمة بالطالب الازهري، لأنه ليس من العدل ولا من المساواة ولا من الرحمة أن تكون الدراسة في المرحلة الثانوية ثلاث سنوات في وزارة التربية والتعليم وغيرها، وتكون في الأزهر أربع سنوات.

نقول للجميع إننا نطالب بهذه المساواة بعد أن ألح أولياء أمور الطلاب والطالبات الذين يدرسون في الأزهر بهذه المساواة في المرحلة الثانوية، وبعد أن تحول آلاف الطلاب والطالبات من الأزهر إلي غيره.

نقول للجميع : أن حفظ القرآن الكريم وأن دراسة المواد الشرعية واللغوية بجميع مراحل التعليم بالازهر سنحافظ عليها محافظة تامة، ولن ننقص منها شيئا، وهذا لا يمنع من مراجعتها وتهذيبها عن طريق الخبراء والأمناء.

نقول للجميع : أن كل ما يقوله وما يفعله المسئولون في الأزهر من أجل خدمة الدين ومن أجل خدمة العدالة، ومن أجل مصلحة أبنائنا الذين يدرسون في الأزهر.

نقول للجميع : إن المجلس الأعلي للأزهر عندما اتخذ قراره في ١٩٩٧/١٢/١٨ باقتراح أن تكون مدة الدراسة في المرحلة الثانوية الازهرية ثلاث سنوات بدلا من أربع سنوات كان هذا الاقتراح نابعا من اقتناعه التام بأن العدالة والمساواة والمصلحة تقتضي ذلك، وليس نابعا من أية جهة أخري كما يزعم أصحاب الهوي.

نقول للجميع : غدا سنلقي الله تعالي، وسيحاسبنا جميعا علي أقوالنا وأفعالنا، وسنري جميعا « أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نَديا ». [1]

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٩٨ مقال لفضيلة شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى .

النهوض بالتعليم الأزهري يعتمد علي المنهج والمعلم وليس علي عدد سنوات الدراسة. (١)

أي مسلم غيور علي الازهر لا يقبل تخفيض سنوات الدراسة به إذا تم علي حساب مصلحة المناهج الأزهرية، ولكن إذا أمكن الاحتفاظ بالقدر المطلوب من المناهج الدينية والعربية لإعداد الطالب الأزهري إعدادا سليما فلماذا نرفض ذلك؟

والحقيقة أن القدر المطلوب من المواد لإعداد طالب الأزهر إعدادا علميا متينا لا يتوقف علي عدد سنوات الدراسة بقدر ما يتوقف علي منهج جيد ودقيق، وايضا مدرس كفء يماثل مدرسي الأزهر القدامي أصحاب الفضل والمكانة العلمية العالية.

إن الموضوع يحتاج منا إلي نظرة هادئة ومتعقلة .

ومن وجهة نظري فإن مقارنة بسيطة بين حالة الطالب الأزهري في أيامنا وحالته في الماضي تظهر وجوب إعادة النظر في المنهج وفي عدد السنوات معا، فقد كان هذا الطالب قديما يأتي من (الكتاب) مباشرة إلي المرحلة الابتدائية الأزهرية، حيث يمضي أربع سنوات يحصل بعدها علي الشهادة الابتدائية ثم يدخل بعدها المرحلة الثانوية، حيث يقضي خمس سنوات دراسية ليحصل علي الثانوية الازهرية باجمالي تسع سنوات دراسة قبل الجامعة.

أما الآن فيمضي الطالب الأزهري ست سنوات ابتدائي وثلاث سنوات إعدادي وثلاث سنوات ثانوي حسب التعديل موضع النقاش الذي يثار فيه الكثير من اللغط والجدل أي بمعدل ١٢ سنة دراسة.

وأري أن هذا النظام الجديد إذا– وأؤكد علي كلمة إذا– أحسن استغلال المناهج ووزع حفظ القرآن الكريم علي هذه السنوات، وأصبح المنهج قادرا علي التمييز بين ما ينفع وما لا ينفع من المواد الاخري من المواد غير الازهرية، فاعتقد أن هذا لمصلحة طالب الأزهر وأفضل من النظام القديم، خاصة أننا – سنربح ثلاث سنوات كاملة

---

١ – جريدة الأهرام بتاريخ ٥ / ٦ / ٩٨–ملحق الجمعة – مقال لمحرر صفحة الفكر الديني بالأهرام ص ٢ .

ولاشك أنها ستكون في قمة الفائدة وترجع أهميتها إلي أنها ستكون إضافة إلي سنوات تأسيس الطالب من ناحية حفظ القرآن الكريم وحفظ المتون العلمية الأزهرية البسيطة، وأتساءل لماذا لا نلتقي ونفكر ونركز علي اعداد منهج متكامل يستمر ١٢ عاما مع طالب الأزهر ليعده اعدادا تاما وقويا لدخول الجامعة الأزهرية فيما بعد؟ وأنا أعلم من اصدقائي الازهريين القدامي أن مناهج كثيرة مكررة في التعليم القديم، حيث تختار كتب قديمة في الابتدائي وتكرر بتوسع في الثانوي فيما يعني أن النظام القديم كان يعتمد علي كتب كاملة، ونحن لا ننكر فضل هذه الطريقة في تثبيت المعلومات وفي صقل الذهن، لكن لماذا لا نركز الآن مع المتغيرات الحديثة علي نظام الموضوعات وليس علي نظام الكتب وبحيث يتخرج الطالب من المرحلة الابتدائية وهو يحفظ كبيرا - كما هو الآن - من القرآن الكريم، ويعي قدرا معينا من الموضوعات الدينية التأسيسية التي تناسب المرحلة العمرية له ثم يواصل بعد ذلك دراسته في عمق واتساع في الاعدادي والثانوي وأنا لا أفهم كيف نجح نظام (الكتاب) القديم بإمكاناته المتواضعة جدا، والتي كان يجلس فيها المعلم فقط علي (حصير) ويجلس التلاميذ علي (التراب) كيف نجح هذا النظام القديم في تخريج تلميذ يحفظ القرآن الكريم كاملا وهو في سن الثانية عشرة وينضبط به لسانه في النطق وفي الحديث وتتضح معانيه المقدسة علي ذهنه وعلي قلبه ومشاعره، في الوقت الذي تفشل فيه مؤسسات تعليمية في أن تخرج تلميذا يعجز عن الإلمام بالقدر الأقل من القراءاة والكتابة، كيف نجح الخطيب البسيط في تخريج تلميذ يقرأ قراءة جيدة ويفشل التربيون في تخريج تلميذ يعجز عن قراءة عنوان عريض في جريدة مثلا؟ إذن المسألة ليست مسألة سنوات بل ولدي الشجاعة لأن أقول إنما المسألة أولا وأخيرا تتركز في المنهج والمعلم فقط وهذا هو اتجاه فضيلة الإمام الاكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الازهر وأسأل الله تعالي أن يوفقه في مهمته الخطيرة. (١)

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٥ / ٦ / ٩٨- محلق الجمعة - مقال لمحرر صفحة الفكر الدينى بالأهرام ص ٢ .

حول تطوير التعليم الأزهري [1]

تلقت الصفحة رسالة من الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلي للشئون الاسلامية سابقاً حول قضية تطوير التعليم الأزهري وتقصير مدة الدراسة في المرحلة الثانوية منه والتي لا تزال محل مناقشة يقول فيها إن الغيرة علي حفظ القرآن الكريم واتقان اللغة العربية كان الدافع الأول لمن أسهموا بالكتابة في هذا الموضوع أيا كان وجه الصواب فيما ابدوه من آراء، وقد كان لما كتبه الإمام الاكبر شيخ الأزهر أخيرا وبسط فيه تفصيلات مناهج ومقررات الدراسة وعدد الساعات في صفوف الدراسة بمراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية أثر كبير في فهم الموضوع علي حقيقته حتي لقد كان مقال الشيخ الجليل شاملا لأسماء بعض الكتب التي تدرس فجاء البيان شافيا وكافيا ومؤديا إلي معرفة وجه الصواب في الموضوع، ولاشك أن الدولة والإمام الأكبر وعلماء الأزهر هم أحرص الناس علي نشر حفظ القرآن الكريم ومعرفة علوم الإسلام لأن ذلك أهم جوانب مسئوليتهم الدينية والعلمية.

وهناك جوانب في الموضوع لها أهميتها الكبيرة لم تأخذ حظها من البحث والمناقشة لاسيما من جانب الذين انتقدوا تقصير مدة الدراسة أو عدم كفاية المقررات لا سيما في حفظ القرآن الكريم بالذات ويمكن أن نوجز أهمها فيما يلي :

أولا : إن التسوية في مدة الدراسة بالمرحلة الثانوية العامة - وهي ثلاث سنوات - تحقق المساواة بين أبناء الوطن لأن الذين يتجهون إلي الدراسة الأزهرية هم أبناء شرائح اجتماعية وثقافية لا تختلف عن غيرها ممن يتجه أبناؤهم إلي التعليم العام، وهم يبحثون كغيرهم عن المردود الفردي والاجتماعي لهذا التعليم الذي اختاروه بحسب ميولهم أو امكاناتهم الدراسية، إن الدراسة في الازهر في مراحلها الأولي وحتي الثانوية لها طابع خاص بلا شك، ولكن ذلك لا يبرر من وجهة نظر أولياء الامور أو الطلاب أن يتحملوا ما لا يتحمله نظراؤهم من حيث السن والمرحلة الدراسية لاسيما وأن العائد الاجتماعي لا يختلف وهو أمر ينظر إليه بعين الاعتبار .

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٥ / ٦ / ٩٨-ملحق الجمعة - مقال د/ جمال الدين محمود ص ٢ .

ثانيا : إن المقررات وعدد الساعات التي بسطها الإمام الاكبر شيخ الأزهر في المرحلة الثانوية بالذات تبدو كافية بالنسبة لحفظ القرآن الكريم واللغة العربية والفقه، بل إنني لاحظت أن بعض الكتب من التراث الفقهي في صفوف المرحلة الثانوية تدرس في الجامعات الإسلامية في بعض البلاد العربية في المرحلة الجامعية وقد قمت بذلك في جامعة إسلامية كبيرة.

ثالثا : إن حفظ القرآن الكريم لا ينبغي ألا يقتصر علي طلاب التعليم الأزهري بمراحله المختلفة وهو مطلوب لذاته وتسهم فيه جمعيات اهلية كثيرة، وأن كان من أهم المقاصد وأفضل الوسائل لإعداد الدعاة وعلماء الاسلام في الأزهر الشريف، وأعتقد أن ما أورده مقال الشيخ الجليل في مقررات وساعات الدراسة بالنسبة لحفظ القرآن الكريم واللغة العربية مراحل الدراسة وصفوفها يعتبر كافيا نوعا وكما لاسيما في المرحلة الثانوية التي لا يقصد منها تخريج حفاظ فحسب.

رابعا : إنه في ظل ازدواج التعليم في مصر والذي نشأ بسبب ظروف فرضت نفسها ولا داعي للخوض فيها، ينبغي أن نعمل على تشجيع التعليم الأزهري وتطويره من حيث المناهج والمقررات والجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، والتقريب بينه وبين الأصالة والمعاصرة، والتقريب بينه وبين التعليم العام، لا سيما في المراحل قبل الجامعية، وينبغي الا نرسخ هذا الازدواج في التعليم في هذه المراحل بالذات وبالنسبة لشرائح عمرية واجتماعية متماثلة مما يترتب عليه من مردود اجتماعي سلبي، بل إن المصلحة قد تكون ايضا في التقريب بين التعليم العام وبين التعليم الأزهري في هذه المراحل في المناهج والمواد والمقررات، إذ التخصص في الدراسات الدينية والاسلامية يبدأ من الجامعة وهو الأفضل تربويا وعلميا بالنسبة للدراسات الإسلامية وآفاقها الواسعة في هذا العصر.[1]

خامسا : إن العبرة في المراحل قبل الجامعية في التعليم الازهري هي بتوفير المعلم الكفء القادر علي تنمية الاعتزاز لدي الطلاب بنوع الدراسة ومردودها الاجتماعي،

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٥ / ٦ / ٩٨- ملحق الجمعة - مقال د/ جمال الدين محمود ص ٢ .

وتنمية ملكة التفكير والاستنباط والفهم الصحيح لتراث الاسلام وعلومه وقدرتها علي الاسهام في تطوير المجتمع المعاصر إلي الأفضل، لا سيما وأن آفاق الدراسات الإسلامية في هذا العصر قد توسعت إلي حد كبير واتصلت أو لامست جميع الدراسات الانسانية الحديثة ، وهو أمر يتعلق بالتعليم الجامعي الازهري ومستوياته العليا، والذي تعتبر المراحل الدراسية قبلة تمهيدا له في شتي فروعه وتخصصاته.

وأخيرا فإنه ينبغي أن نحسن الظن بمقاصد التطوير في التعليم الازهري لاسيما وأن من يقومون بتنفيذه هم من شيوخ الازهر وعلمائه وأكثر المسئولين خبرة وتجربة في هذا المجال.[1]

رأى المؤلف

إن استراتيجية الأزهر في التعليم استراتيجية سليمة مائة في المائة ولهذا نجد كثيرا من العلماء يتصدون لأي تغيير يطرأ علي هذه الاستراتيجية، وينادون بألا تمس المناهج التعليمة الأزهرية بحيث تزاحمها المناهج التربوية المضافة إليه فيصر هشا لاغناء فيه ثم يصير رويدا رويدا إلي تعليم تربوي والتعليم التربوي كما نعلم ضعيف لا يرقي إلي التعليم الأزهري. بدليل اعتراف القيادات ومطالبتها بإصلاح التعليم التربوي في مصر. ناهيك عن تدهور التعليم الفني بنوعيه الصناعي والزراعي، ونحن نعلم أن قرار وزير التعليم الأسبق الدكتور فتحي سرور لتخفيض سنوات التعليم إلي خمس سنوات كان قراراً خاطئا ولا يزال كثير من الناس يطالبون بإعادة السنة السادسة للتعليم الابتدائى.

كما كان قرار السيد وزير التربية والتعليم الدكتور/ حسين كامل بهاء الدين بالتحسين في امتحانات الثانوية العامة قرارا خاطئا لكنه أعيد النظر فيه وتم إلغاؤه، ومثل هذه القرارات تحدث كثيرا من البلبلة فى مسيرة التعليم وتؤتي ثمارا فجة تعاني منها مصر لمدي أجيال طويلة، ولهذا تخوف الكارهون

---

١ - جريدة الأهرام بتاريخ ٥ / ٦ / ٩٨- محلق الجمعة - مقال د/ جمال الدين محمود ص ٢ .

للتعديل في مناهج التعليم الأزهري من مغبة القرارات الجديدة خشية الوقوع في الخطأ الذي يضر بمناهج التعليم الأزهري وسنوات الدراسة المعتمدة فيه.

نخرج من معترك المناقشات السابقة بين الرافضين لمشروع تطوير التعليم بالأزهر والمؤيدين له بحقيقة واحدة هي الغيرة علي دين الله عز وجل وأن الجميع يري سلامة هذا الدين فوق كل اعتبار، ولكل وجهة نظره في المعالجة، ولم يبق لنا إلا أن نؤيد كل من يعمل على حماية العقيدة ويخلص لها ويبذل من أجلها النفس والنفيس، وطالما أن الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ورئيس جامعة الأزهر وصاحب الفضيلة الاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ، ومجدد الدين مفسر هذا العصر صاحب الفضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي رحمة الله رأوا جميعا أن مصلحة الأزهر في هذا التطوير .

فنحن معهم قلبا وقالبا، منحهم الله وإيانا القوة والثبات وما فيه الخير لهذه الأمة ووفقنا جميعا إلي رضاه ورضى رسوله الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خاتمة البحث

تكمن أهمية هذا البحث فى توضيح معانى مصطلحات فكرية لها خطورتها فى العصر الحديث على الصعيدين العربى والإسلامى لما لها من تحديات حقيقية فى مواجهة الحضارة العربية والإسلامية ، وخطورتها تبدو فى سياسات الاحتواء والتقويض وفرض السيطرة الغربية على الشعوب العربية ومناهضة الدول الإسلامية فى كل مكان كى تنضوى تحت لواء الدول الغربية المتفوقة اقتصاديا وعسكريا وعلميا ، لاسيما أننا على مشارف قرن جديد هو القرن الحادى والعشرون .

ومن أهم هذه المصطلحات الفكرية مصطلح العلمانية والعولمة والحداثة ، فالعلمانية دعوة لتهميش الدين ، والعولمة دعوة للدوران فى فلك الأقوى ، والحداثة دعوة لنبذ التراث .

وقد تعرض البحث لشرح تلك المصطلحات بالتفصيل من واقع ما ورد فى كتابات العلماء والمفكرين فى الكتب والمؤلفات وصفحات الجرائد والمجلات ، بحيث يقع القارىء على كل ما يريد إذ لا زيادة فيه لمستزيد .

كما تعرض البحث لتوضيح موقف الأزهر الشريف تجاه هذه المصطلحات، ومدى صموده ضد تيارات العلمانية والعولمة ، مناقشا موضوعات الخلاف على تعديل الأزهر للمناهج والمقررات الدراسية فى المعاهد والكليات التابعة له بين موافق ومعارض .

وقد خلص البحث إلى النتائج التالية :

١ - أن العلمانية بكسر العين خطأ شاع عن سوء قصد حيث يحيل اللفظة إلى (العلم) بينما النطق الصحيح لها (العَلمانية) بفتح العين نسبة إلى (العلْم) بمعنى العالم وهى بهذا المعنى تفيد مجرد نظام يرفض كل صورة من صور الإيمان أو العبادة الدينية واعتبارها من الأمور التى لاينبغى لها أن تدخل فى أعمال الدولة . وترجع خطورة هذا المصطلح إلى توجيه الاهتمام إلى ما يتعلق بالحياة الدنيا وإسقاط الاهتمام بالحياة الآخرة . وإن كانت العَلمانية بهذا المفهوم معروفة فى أوربة والبلاد التى ترفع شعار الديمقراطية الرأسمالية إلا أن خطورتها امتدت إلى الشعوب الإسلامية تحت مسميات التطور والتجديد ؛ والحرية والحداثة . ويصفها بعض المفكرين بأنها رؤية مادية للكون تهتك القداسة ولاتعترف بالغيب .

٢ - أن اليهود من وراء الترويج لفكرة العَلمانية لغرض القضاء على الملتين المنافستين للملة اليهودية وهما المسيحية والإسلام فاليهود هم الذين روّجوا لفكرة النشوء والتطور التى خرج بها « دارون» اليهودى الأصل على العالم فنقلوا فكرة التطور من مجال الدراسات البيولوجية إلى مجال الدراسات الاجتماعية ولاشك أن هذه النقلة إنما تستهدف غاية خطيرة هى واحدة من أهداف المادية الوثنية التى تحاول أن تسيطر على الفكر البشرى كله ، وتفرغه من مفاهيم الأديان والرسالات السماوية . ولقد كان القول بالتطور المطلق سبيلاً إلى نزع القداسة عن الأديان والقوانين والقيم والأخلاق والسخرية منها والدعوة إلى التحلل والإباحية وإنكار مقومات المجتمعات والعقائد على النحو الذى كشفت عنه نظريات « فرويد» و «دوركاييم» وغيرها .

٣ - أن كلمة الحرية فى الإسلام تعنى التحرر من قيود الوثنية واستعباد الإنسان للإنسان ، وهى ضد عبودية الأوثان ، وضد الرق ، وهى حرية الفرد وحرية الجماعة ، لكنها لم تلبث أن بدت على أقلام بعض الكتاب ، ومن خلال بعض النظريات والفلسفات والدعوات الأجنبية وهى تحمل صورة أخرى تختلف اختلافا واضحا عن هذا المفهوم حين صاحبها القول برفع القيد عن كل إنسان ليمارس ما يشاء من شئون ، واتسع نطاق هذا القول المستحدث إلى القول بحرية التربية وحرية العلاقات بين الجنسين وحرية الفنان والكاتب ودخل زيف كبير على هذه اللفظة ذات التاريخ المجيد فى مقاومة الظلم والاستعمار والاستبداد ؛ فقد اتخذت الصهيونية الدعوة إلى الحرية سلاحا لها لتدمير كل العقائد والقيم التى جاءت بها الأديان السماوية تحت اسم (التقاليد والأساطير الموروثة) كما أعطت النظريات الفلسفية التى صاغها الدائرون فى فلك الصهيونية معنى يتسق مع الدعوات التى حمل لواءها (فرويد) و (سارتر) وغيرهما وهى (انسلاخ الفرد من كل ما تواضع عليه المجتمع من آداب وقوانين فى رغباته وشهواته) .

٤ - أن الحداثة مفهوم ثقافى تتحدد به سمات المجتمع الحديث أو العصرى، ولكن بعض المغرضين ودعاة التضليل ذهبوا بها إلى أنها دعوة إلى التمرد على الحاضر بكل أشكاله ، ليس فقط فى النواحى الأدبية بل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأيضا الإلحاد الكامل وعدم الاعتراف بوجود إله وعدم الخضوع للمنطق بأى صورة من الصور، والاعتماد على الخواطر الباطنية للإنسان فى التعبير عن رؤيته، ومذهب الحداثة فى الأدب لايعترف بوجود قاعدة أيا كانت بل إن الغموض عنصر أساسى فيه. ولو تأملنا جيدا فى هذا المذهب

لتأكدنا أننا أمام نظرية تدعو إلى الفوضى وعدم العقلانية والانعزال الكامل بين المبدع والمتلقى . وأن «أدونيس» الذى نقل مذهب الحداثة الغربى إلى الأدب العربى شخص مشكوك فى إسلامه لأن الحداثة تعنى عنده الخلاص من المقدس والمحرّم وإباحة كل شىء للحرية المطلقة .

٤ - أنه نتيجة للاضطراب والفوض والتلاعب بالألفاظ ولما انطوى عليه معنى العلمانية من التقليل من شأن الدين ، خرج معظم الشباب فى أوربا وأمريكا عن حدود المألوف حيث صار الدين لدى الكثير منهم غريبا عنهم وأصبح الأدب فى عرفهم ضربا من الجنون، وصارت الفنون لديهم لونا من العبث ، وتفشت مظاهر الوثنية بين قطاعات متزايدة من الناس وراحوا يبحثون عن الإشباع الروحى فى «كائنات الفضاء وعالم الخرافة والتنجيم والخواص السحرية للكريستال وقراءة الكوتشينة والكف وغير ذلك من المصادر المريبة والغامضة » .

٥ - أنه يوجد فى عالمنا العربى والإسلامى كثير من المفكرين تأثروا بروح العلمانية ، منهم من تاب إلى رشده وعاد ومنهم من أصر واستكبر، ومنهم من يتخذ من حرية الصحافة ردءاً لهم ولايزالون يحتمون بالحصانة الصحفية وغير الصحفية .

٦ - أن العلمانية تركت بصماتها على الإذاعة والتليفزيون فى شكل البرامج التافهة والأفلام الهابطة والأغانى الماجنة، وما إلى ذلك من دواعى الترفيه التى تصرف الناس عن الحلال وتزيّف لهم الحرام من أقرب طريق تحت مسميات التطور والتقدم والحرية إلى أن فاجأتنا الصحف بنشر فضيحة جماعة الشيطان أو عبدة الشيطان من الشباب

الذين راحوا ضحية تلك المسلسلات الهدامة والإعلانات التى تتميز بالمجون والخلاعة التى يعرضها التليفزيون وسائر وسائل الاعلام صباحَ مساءَ .

٧ - أن التعليم الحديث المتأثر بالعلمانية قد جنى على هذا الجيل جناية عظيمة إذ اعتنى بتربية عقول الطلاب وتثقيف ألسنتهم ، ولم يعتن بتغذية عقولهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم ، فنشأ جيل غير متوازن النشأة وصارت المسافة بين ظاهره وباطنه وعقله وقلبه وعلمه وعقيدته مساحة شاسعة ، وكانت نتيجة ذلك فوضى فكرية عظيمة وضعف فى الأخلاق مع لكنة فى اللسان العربى فلا تكاد تسمع لأدباء أو لشعراء كأمير الشعراء أو شاعر النيل أو طه حسين أو العقاد أو غير أولئك .

ولا بد من بدء عملية تطوير المناهج وسبك منهج تعليمى جديد يتغلغل فى أحشائه الإيمان بالله بحيث يسيطر على جميع فروعه وجزئياته من التعليم الأساسى حتى التعليم الجامعى .

٨ - أن من المصطلحات التى ذاعت على ألسنة المثقفين والمفكرين فى مختلف التخصصات مصطلح « العولمة»، وهو مصطلح ذو مضمون ديناميكى يشير إلى عجلة مستمرة من التحول والتغير والصيرورة، كما تتضمن اتجاها متناميا ليصبح معه العالم فى كثير من المجالات دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى فى داخلها الحدود بين الدول ، ويجدر بنا فى هذا الصدد أن نفرّق بين العولمة والعالمية، فالعالمية يقصد بها عملية تكثيف الاتصالات والانفتاح بين الوحدات القومية أو الدول وتزايد الاعتماد المتبادل بينها وإن كانت كل منها تظل متميزة ومنفصلة عن مثيلاتها من

الوحدات، أما العولمة فهى تنزع إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والاندماج بين الدول بما يعنى أن السيادة لن تكون لها نفس الأهمية من الناحية الفعلية، فالدول قد تكون فى ظل العولمة ذات سيادة من الناحية القانونية ولكن من الناحية العملية قد تضطر إلى التفاوض مع جميع أنواع الفاعلين مما ينتج عنه أن حريتها فى التصرف حسب مشيئتها تصبح مقيدة أو ناقصة، وهنا يكمن الخطر الحقيقى الناجم عن الدخول فى حيز العولمة. ولذا فإنه يجب التصدى لتيار العولمة بالتحذير من أخطارها التى يمكن أن تحيق بنا مع تبيين أن (العولمة السعيدة لمن يعرف ألا يكون ضحيتها) .

٩ - أن الأزهر الشريف قد أصدر فتواه تجاه العلمانية وأوضح موقف الدين منها وأفاد بأن الإسلام يرفض العلمانية ، ولئن كان بعض دول المسلمين قد نقلوا معارف غيرهم ممن يدينون بالعلمانية فليس ذلك دليلا على أنهم آمنوا بالعلمانية ، وإنما هو للإفادة من علوم الغير حتى يعاملوهم على أساسه، وإذا كانوا قد قبسوا مظاهر الحضارة عند العلمانيين فذلك للاستفادة من نتائج علمهم وخبرتهم فيما يقوى شوكة المسلمين ويدفع السوء عنهم .

وما ينطبق على العلمانية فى هذه الفتوى ينطبق أيضا على العولمة .

١٠ - أن مشيخة الأزهر قد تعرضت لسهام النقد اللاذع حين أصدرت القرار باختصار مدة الثانوية الأزهرية لكى تصبح ثلاث سنوات بدلا من أربع سنوات كما هو متبع فى مدارس التعليم التربوى وانقسم الناس إلى فريقين، فريق يؤيد هذا الاختصار وفريق يعارضه ، ووصفه

بعض العلماء بأنه مظهر من مظاهر العولمة فى العصر الحديث . بينما وصفه بعضهم بأنه جزء من مسلسلات التخريب التى تعرض لها الأزهر خلال السنوات الماضية من حذفٍ لمواده وتدمير لدعائمه العلمية بهدف تفريغه من سر بقائه .

١١ - أن مشيخة الأزهر أعلنت أنه من الرحمة أن تكون الدراسة فى المرحلة الثانوية ثلاث سنوات وأنها تلبى بذلك دافع العدالة والمساواة بين الطالب الأزهرى والطالب فى التعليم التربوى لاسيما بعد أن تحول آلاف الطلاب والطالبات من الأزهر إلى غيره. وأن المجلس الأعلى للأزهر عندما اتخذ قراره فى ٩٧/١٢/١٨ بأن تكون الثانوية الأزهرية ثلاث سنوات بدلا من أربع كان هذا الاقتراح نابعا من اقتناعه التام بأن العدالة والمساواة والمصلحة تقتضى ذلك . وليس نابعا من أية جهة أخرى كما يزعم أصحاب الهوى .

١٢ - أن الأزهر العتيق هو الملاذ فى مختلف المراحل الصعبة ، وهو وإن كان مصرى الموقع فهو عالمى الرسالة ، وما أقبل عليه مجلسه الأعلى من جعل الثانوية العامة ثلاث سنوات ومن تغيير فى بعض مواده أو تعديل فى بعض مناهجه إنما جاء ذلك من أجل المصلحة العامة وبحسب مقتضيات العصر ، وإنما يتم التعديل برؤية واعية لأساتذته وعلمائه حيث لاضغوط خارجية تلزمه أو تفرض ذلك عليه .

فهرس المراجع

١ - إبراهيم حجازى ؛ « شكوى أحد الطلاب بالأزهر» ، مقال نشرته الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٣/٢٠ .

٢ - أحمد بهجت ؛ « ثانوية الأزهر» ، مقال بجريدة الأهرام فى ١٩٩٨/٥/٢٧ .

٣- ------------ ؛ « لغويات » مقال عمود صندوق الدنيا نشرته الأهرام فى ٣٠ / ٥ / ١٩٩٨ .

٤- د/ أحمد الحفناوى ؛ « الأزهر .. والفكر الدينى الرشيد » ، مقال بجريدة الجمهورية فى ١٠ / ٩/ ١٩٩٦ .

٥- أحمدعباس عبد البديع؛ « من العالمية إلى العولمة » ، مقال نشرته جريدة الأهرام فى ٣ / ٥ / ١٩٩٨ .

٦- أحمد عبد المعطى حجازى؛ (ماذا تريد هذه الهيئات بالضبط ؟!) ، مقال نشرته جريدة الأهرام .

٧ - أحمد عمرهاشم ؛ « الأزهر ومواصلة العطاء الحضارى » ، مقال بجريدة الأهرام فى ٢٧ / ٥ / ١٩٩٨ .

٨- أحمد فؤاد متولى ؛ « الامتيازات الأمريكية فى عصر العولمة» ، مقال بجريدة الأهرام فى ٢٨/ ٤ / ١٩٩٨ .

٩- ألفريد فرج ؛ « العولمة فى مرآة الثقافة القومية » ، مقال بجريدة الأهرام فى ١٥ / ١٠/ ١٩٩٨م .

١٠- أنور الجندى ؛ « مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الإسلام » سلسلة البحوث الإسلامية العدد ٥١ (١٣٩٢- ١٩٧٢) .

١١- ثروت أباظة ؛ « لا أزهر بلا قرآن » ، مقال بجريدة الأهرام فى ١٩٩٧/١/٢٧ .

١٢- جمال الدين محمود ؛ « حول تطوير التعليم الأزهرى» ، مقال بجريدة الأهرام ملحق الجمعة فى ٥ / ٦/ ١٩٩٨ .
١٣- د/ رفعت فوزى عبد المطلب ؛ « نقض كتاب نصر أبو زيد» ، مكتبة الخانجى بالقاهرة .
١٤- د/ زكريا أحمد محمد نور ؛ « العلمانية دعوة تخريب وإفساد» ، مقال بجريدة الحقيقة العدد ٥١٣ فى ٢٠/ ٥/ ١٩٩٨ .
١٥- سامح كريم ؛ « ساعة مع ناصر الدين الأسد تكشف مخاطر العلمانية فى ثقافتنا » ، حوار بجريدة الأهرام فى ١٩٩٨/٢/٢٤ .
١٦- السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم؛ « العلمانية الوجه الآخر لليهودية» ، مقال نشرته مجلة الإسلام وطن العدد ١٣٨ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٧- السيد يس ؛ « الحالة الدينية والوحدة الوطنية» ، مقال نشر بجريدة الأهرام فى ٢٨ / ١١/ ١٩٩٦ .
١٨- ——— ؛ « واقعية الحلول الممكنة » ، مقال نشر بجريدة الأهرام فى ٥ / ١٩٩٦/٩ .
١٩- ——— ؛ « الإبحار فى محيط العولمة » مقال بجريدة الأهرام فى ٧/ ٥ / ١٩٩٨ .
٢٠- عبد الحليم إبراهيم العزمى ؛ « العولمة بين سماحة الإسلام وهيمنة الغرب » ، مقال بمجلة الإسلام وطن فى يونية ١٩٩٨ العدد ١٣٨ .
٢١ - الشيخ / عطية صقر ؛ « أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» ، المجلد الثانى نشر دار الغد العربى - العباسية - القاهرة ، العدد رقم ٩٠ .

٢٢- عطية فتحي الويشي ؛ « العلمانية وصدام الحضارات»، مقال نشرته مجلة الوعي الإسلامي . العدد ٣٨٦ لسنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٢٣- علي عياد ؛ « الهجرة والعولمة » مقال بجريدة الأهرام في ١٩٩٨/٤/٢٧.
٢٤- فاطمة بنت عبد الله ؛ « الموضة في التصور الإسلامي»، المكتبة الإسلامية عمان - الأردن ، طبعة أولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م
٢٥- فتحي رضوان ؛ « الإسلام ومشكلات الفكر المعاصر» ، مجموعة اقرأ - دار المعارف بمصر العدد ٣٧٧ .
٢٦- فتحي غانم ؛ « أزمة الإسلام مع السياسة »، سلسلة كتاب اليوم عدد يولية سنة ١٩٨٨.
٢٧- فهمي هويدي ؛ « الوثنية الجديدة »، مقال نشرته الأهرام بتاريخ ١٠/ ١٢ /١٩٩٦.
٢٨- ———؛ « الأزهر في خطر»، مقال نشرته جريدة الأهرام في ٣/ ٣/ ١٩٩٨.
٢٩- ———؛ « الوثائق حين تتكلم » ، مقال بجريدة الأهرام في ٣١ / ٣ / ١٩٩٨.
٣٠ - د/ محمد البهي ؛ « كتاب العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق » ، من مقال بمجلة الضياء العدد ٥١، ابريل سنة ١٩٨٨. عرض وتقديم فاروق حسان .
٣١- د/ محمد سيد طنطاوي ؛ « كلمات واضحات عن مناهج الدراسة بالأزهر»؛ بيان من الأزهر نشرته الأهرام في ١٩٩٨/٥/٢٨.
٣٢- محمد الغزالي ؛ « من هنا نعلم » ، مطبعة دار الكتاب العربي

بالقاهرة طبعة سنة ١٩٥١م.

٣٣- ـــــــــ : « محاضرات فى إصلاح الفرد والمجتمع» ، نشر دار البشير بمصر سنة ١٩٨٩ .

٣٤- محمد فريد خميس : « مجموعة الـ ١٥ وتحديات التنمية المتواصلة »، مقال بجريدة الأهرام فى ٧/٥/ ١٩٩٨ .

٣٥- محمد متولى الشعراوى : « موافقة على مشروع تطوير الأزهر»، نشرته جريدة الأهرام فى ٣١/ ٥/ ١٩٩٨ .

٣٦- د/ محمد محمد حسين : « حصوننا مهددة من داخلها » ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٢- ١٩٨٢م.

٣٧- د/ محمد محمود ربيع : « أين موقعنا من العولمة»، مقال بجريدة الأهرام فى ٥ / ٦/ ١٩٩٨ .

٣٨- محمد همّام : « الحداثة غيرت أخلاقيات الناس»، حوار مع فضيلة الإمام الأكبر بجريدة الأهرام فى ٢٤/ ١٠/١٩٩٧ .

٣٩- د/ مسعود ضاهر : « إشكالية توصيف الحداثة وما بعدها»، مقال نشرته مجلة العربى . العدد ٤٦٢ لسنة ١٩٩٧ .

٤٠- مرسى عطا الله : « خواطر سياسية وقضايا مستقبلية »، مقال بجريدة الأهرام سنة ١٩٩٨ .

٤١- مصطفى عبد الغنى : « الجمعيات الأهلية والعولمة» ، مقال بجريدة الأهرام فى ١ / ٦/ ١٩٩٨ .

٤٢- ـــــــــ : « الجمعيات الأهلية .. التمويل » ، مقال بجريدة الأهرام فى ٨ / ٦ / ١٩٩٨ .

٤٣- ـــــــــ : « نابليون هل كان أبو العولمة »، مقال نشرته جريدة الأهرام فى ١٣ / ٤ / ١٩٩٨م.

٤٤- ـــــــــ : « العولمة والمقاومة .. اتصال أم انفصال »، مقال

بجريدة الأهرام فى ١٥ / ٦/ ١٩٩٨م.
٤٥- ---------؛ « العولمة وقضايا الهوية الثقافية » ، مقال بجريدة الأهرام فى ١٩ / ٤ / ١٩٩٨م.
٤٦- د/ مصطفى محمود؛ « العولمة والأزهر » ، مقال بمجلة الإسالم وطن العدد ١٣٨ فى يونية سنة ١٩٩٨م.
٤٧- مصطفى هدّارة ؛ « حوار عن الحداثة » ، مجلة الوعى الإسلامى العدد ٣٨٦ لسنة ١٤١٨-١٩٩٨م.

متفرقـــات :

٤٨- « مصطلحات فكرية - المجموعة الثانية »، نشرته الأهرام بملحق الجمعة بتاريخ ١٠ / ٤/ ١٩٩٨م.
٤٩- « مسلسل تخريب الأزهر مستمر » ، مقال بجريدة الوفد في ١٥/٦ / ١٩٩٨م.
٥٠- « النهوض بالتعليم الأزهرى يعتمد على المنهج والمعلم وليس على عدد سنوات الدراسة » ، مقال لمحرر صفحة الفكر الدينى بجريدة الأهرام ملحق الجمعة ٥/ ٦/ ١٩٩٨ .
٥١- « معجم الوجيز » ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣) ، مجمع اللغة العربية .

فهرس الموضوعات